المساعد

في أصول التفسير

على ضوء الكتاب والسنة

تأليف

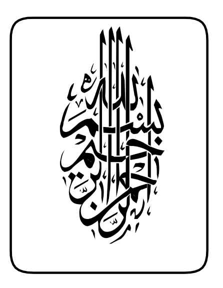
أبي إسلام

مصطفى بن محمد بن سلامة

مكتبة الهدف

للنشر والتوزيع

ت: ٠١١١٣٥٥٦٤٠٩



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة الهدف للنشر والتوزيع

٠١١٣٥٥٦٤٠٩

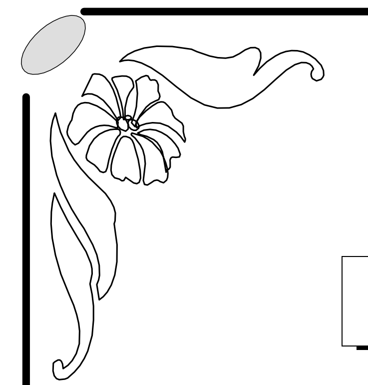
اسم الكتاب: «المساعد في أصول التفسير»

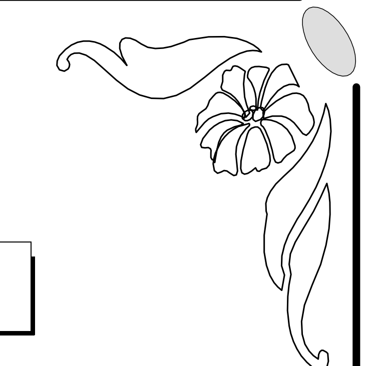
اسم المؤلف: مصطفى بن محمد بن سلامة

عدد الصفحات: ٤١٦ صفحة .

مقاس الكتاب : ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع:





إهــداء

إلى الابن الحبيب / أنس مصطفى سلامة

- حفظه اللَّه -

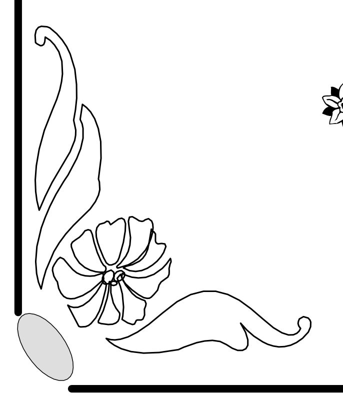
رجـــاء قبــولــه

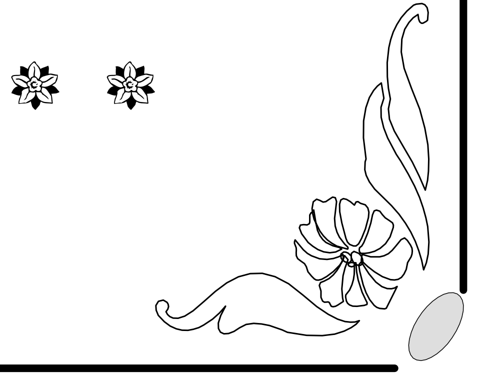
أسأل اللَّه أن ينفعني وإياك به ،

وأن يجعله خالصًا لوجه الكريم.

أبــو إســلام

مصطفى بن محمد بن سلامة





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمدَ للَّهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا.

مَن يهدِهِ اللَّهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضْللْ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعدُ:

فإن أصدقَ الحديثِ كتاب اللَّه تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

وبعـد :

فهذا كتابٌ كتبته لنفسي تذكرة، ولمن شاء اللَّه من الناس، وهو يقرر أصلًا من آلات النظر والاستدلال، ألا وهو أصول التفسير، وبهذا الأصل يكون قد تم الإطار العام لآلات النظر والاستدلال، ويتضمن :

١- شرح علمي النحو والصرف (مسموع) :

* (الآجرومية، وقطر الندى، وشذور الذهب، والقواعد الأساسية للَّهاشمي، والألفية).

٢- أصول الفقه :

* التأسيس (مطبوع ومسموع).
* الحجة في تثبيت خبر الواحد (مطبوع).
* هذا عهد نبينا ﷺ (مطبوع).
* نصب المجانيق لنسف التفريق بين الفرض والواجب (مسروق).

٣- أصول الحديث :

* صقل الأفهام الجلية بشرح المنظومة البيقونية (مطبوع ومسموع).
* مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح (مسموع).
* الحديث في أصول الحديث (مطبوع ومسموع).

٤- أصول التفسير :

* المساعد (مطبوع).
* البر بحرف الجر (مطبوع).

وأما الإطار الخاص فيتم - إن شاء اللَّه - بطبع :

١- مقدمة في أصول الفهم.

- وقد ذكرتُ في علم أصول التفسير أمهات المسائل، وحررتُها في ضوء الكتاب والسنة.

فجاءت - وللَّه الفضل والمنَّة - بأسلوبٍ سهل يسير.

- وقد سميتُه «المساعد في أصول التفسير في ضوء الكتاب والسنة».

وأسأل اللَّه - عز وجل - أن ينفع به.

أبــــو إســـــلام

مصطفى بن محمد بن سلامة

« اللهم متِّعني بسمعي وبصري،

واجعلهمـا الـــوارث منـــي،

وانصرني على من ظلمني،

وخذ منه بثأري »

[رواه الترمذي عن أبي هريرة]

المبادئ العشرة

* جمع الصبَّان - رحمه اللَّه - المبادئ العشرة في :

إنَّ مبادئَ كلِّ فن عشرة   الحدُّ والموضوع ثم الثمرهَ
وفضله ونسبة والواضعُ   والاسمُ الاستمداد حكم الشارعْ
فمسائل والبعض بالبعض اكتفى   ومن درى الجميع حاز الشرفا

الشـرح

١- **الحد** : حدُّ علم أصول التفسير ؛ هو العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى فهم مراد اللَّه - عز وجل - من كلِّ آية ، ومراد رسوله من كلِّ حديث .

٢- **الموضوع** : بيان طرق الاستنباط .

٣- **الثمرة** : فهم معاني الألفاظ ودلالتها ، وضبط مدلولات الآيات ، ومعرفة المناسبة بين الآيات ، والمناسبة بين السور ، وغير ذلك .

٤- **الفضل** : هو أشرف من غيره باعتبار الفائدة ، فهو من أجلِّ العلوم الشرعية لأنه الوسيلة لمعرفة مراد اللَّه ، عز وجل .

٥- **النسبة** : نسبته إلى غيره التباين ، وهذا لا ينفي القدر المشترك بينه وبين غيره .

٦- **الاستمداد** : من الكتاب والسنة .

٧- **الواضع** : قطعًا كان هذا العلم في أذهان الصحابة والتابعين ، أما

من بدأ في تبويب وتهذيب مسائله وجمعها فلا أدري من هو على وجه التحديد.

٨- **الاسم**: علم أصول التفسير.

٩- **المسائل**: تدوين المسالك التي يلتزمها المفسِّر، ويسترشد بها، ويجتهد في ضوئها.

١٠- **الحكم**: الوجوب العيني على كلٍّ من له قدرة على النظر والاستدلال، ما لم يمنعه مانع.

❁ ❁ ❁

الأصـــل الأول

الـوحـــي

وفيه سبعة مباحث :

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

معنى الوحي

معنى الوحي :

«هو الإعلام السريع الخفي، إما في اليقظة وإما في المنام»

[فتاوى ج١٢ ص (٣٩٧-٣٩٨)].

ففي اليقظة؛ قال تعالى :

١ - ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾

[النجم : ٩، ١٠].

٢ - ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص : ٧].

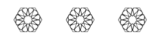
في المنام؛ قال تعالى :

١ - ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾

[الصافات : ١٠٢].

٢ - قال ﷺ : «رأيتُ كأنَّ امرأةً سوداءَ، ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مَهْيَعَةَ، فأوّلتها أن وباء المدينة نقل إليها».

[رواه البخاري عن ابن عمر].



المبحث الثاني

أنواع الوحي

الوحي نوعان :

النوع الأول : وحي من الرحمن .

النوع الثاني : وحي من الشيطان .

النوع الأول : وحي من الرحمن :

١ - وحي إلى الأنبياء والرسل :

قال تعالى : ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم : ١٠] .

٢- وحي إلى عموم البشر :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة : ١١١] .

وقال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص : ٧] .

٣ - وحي إلى الكائنات :

قال تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل : ٦٨] .

٤ - وحي إلى السماء :

قال تعالى : ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت : ١٢] .

٥ - وحي إلى الأرض:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

النوع الثاني: وحي من الشيطان:

وقد يكون من الإنس، ومن الجن:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

الفرق بين الإلهام والوسوسة

الإلهام من الرحمن، والوسوسة من الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨].

فإلهام الشيطان يكون بالفجور.

وإلهام الرحمن يكون بالتقوى.

فتبين الآتي:

١ - أن التمييز بين الإلهامين؛ بالفجور، والتقوى.

٢ - أن التمييز بين الفجور والتقوى يكون بالكتاب والسنة.

٣ - فإذا كان الأمر بفعل الخيرات، كان من الرحمن.

٤ - وإذا كان الأمر بفعل المنكرات، كان من الشيطان.

۞ ۞ ۞

المبحث الرابع

وحي من الرحمن

وهو نوعان:

النوع الأول: وحي بوساطة ملك، وهذا النوع في حق الأنبياء وغير الأنبياء.

١ - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

٢ - وعن أبي هريرة- رضي اللَّه عنه- عن النبي ﷺ: «أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد اللَّه تعالى على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه. قال: لا، غير أني أحببته في اللَّه عز وجل، قال: فإني رسول اللَّه إليك بأن اللَّه قد أحبك كما أحببته فيه» [رواه مسلم].

النوع الثاني: وحي بلا وساطة ملك، وهذا النوع أيضًا في حق الأنبياء وغير الأنبياء.

١ - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

٢ - وقال تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [النجم: ٩، ١٠].

٣ - وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

المبحث الخامس

أنواع الإيحاء إلى الرسول ﷺ

مراتب الوحي سبعة، وقد ذكرها ابن القيم في « الزاد » (٧٨/١) وهاكم مع زيادات:

الأولى: الرؤيا الصادقة:

روى الشيخان عن عائشة- رضي اللَّه عنها- قالت: «أول ما بُدئ به رسول اللَّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح».

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه:

روى أبو نعيم في «الحلية» عن أبي أمامة- رضي اللَّه عنه- قال: قال ﷺ: «إن رُوْحَ القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا اللَّه وأجملوا في الطلبِ، ولا يحملن أحدكم استبطاءُ الرزقِ على أن تطلبوه بمعصية اللَّه، فإن ما عند اللَّه لا يُنالُ إلا بطاعته».

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلًا:

كما في حديث عمر المشهور، قال ﷺ: «يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: اللَّه ورسوله أعلم، قال: جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

[رواه مسلم والنسائي].

الرابعة : أنه ﷺ كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس :

كما عند أحمد من حديث عائشة- رضي اللَّه عنها- قالت : إن الحارث بن هشام سأل رسول اللَّه ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ! كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشدُّه عليَّ فَيَفْصُمُ عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا ، فيكلمني ، فأعي ما يقول» .

قالت عائشة : «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقًا» . [رواه أحمد والترمذي] .

الخامسة : أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها وهذا وقع مرتين :

وقد ذكر اللَّه ذلك في سورة النجم ؛ قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم :١٣-١٤] .

وروى مسلم عن عائشة ؛ أن النبي ﷺ قال : «لم أره- يعني جبريل- على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض» .

السادسة :

ما أوحاه اللَّه إليه وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

السابعة :

كلام اللَّه له منه إليه بلا واسطة ملك ، وثبت هذا في حديث الإسراء والمعراج .

المبحث السادس

الفرق بين الإيحاء والتكليم

١ - الإيحاء نوعان:

النوع الأول: الإيحاء العام:

وهذا النوع يدخل فيه التكليم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١١-١٣].

النوع الثاني: الإيحاء الخاص:

وهذا النوع لا يدخل فيه التكليم.

قال تعالى لزكريا - عليه السلام -: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ [مريم: ١٠].

ثم قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [مريم: ١١].

٢ - التكليم نوعان:

النوع الأول: التكليم العام:

وهذا النوع يدخل فيه الوحي.

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [الشورى: ٥١].

النوع الثاني: التكليم الخاص:

كما كلم اللَّهُ موسى- عليه السلام- وكما كلم محمدًا ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢].

قال ابن تيمية (ج١٢ ص٤٠) من مجموع الفتاوى:

«والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا صوتًا مسموعًا، فهذا مما اتفق عليه سلف المسلمين وجمهورهم وأهل الكتاب يقولون: إن موسى ناداه ربه نداءً سمعه بإذنه. وناداه بصوت سمعه موسى، والصوت لا يكون إلا كلامًا، والكلام لا يكون إلا حروفًا منظومة».

فتبين: أن التكليم الخاص أمر زائد عن الوحي الخاص.

قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].



المبحث السابع

كلام اللَّه بعضه أفضل من بعض

كلام اللَّه- عز وجل- بعضه أفضل من بعض، وقد دل كثير من النصوص على صحة ذلك ومنها:

١ - قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته». [رواه أهل السنن والمسانيد عن أبي هريرة].

٢ - وقال ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس». [رواه مسلم عن عقبة بن عامر].

٣ - وقال ﷺ: «ألا أخبرك بأخير سورة في القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾». [رواه أحمد عن عبد اللَّه بن جابر البياضي].

قال ابن تيمية (ج١٧ ص ٧٣-٧٤) من مجموع الفتاوى:

« . . . وإلا فلا ينقل عن أحدٍ من السلف والأئمة أنه أنكر فضل كلام اللَّه بعضه على بعض؛ لا في نفسه، ولا في لوازمه ومتعلقاته . . . ».

قلت:

أولًا: السر في هذه المسألة؛ أن بعض الناس اعتقد أن صفات اللَّه- عز وجل- لا تتفاضل؛ والقرآن من صفات اللَّه، فهو كذلك لا يتفاضل.

ولم يوفق من قال هذا؛ فإن الصفات تتفاضل، وقد بينتُ طرفًا منها في الجزء الثالث من فيض المجيد.

ثانيًا: من الذين قالوا بالتفاضل:

١ - أصحاب الشافعي.

٢ - أصحاب أحمد.

٣ - أبو حامد الإسفرائيني.

٤ - القاضي أبو الطيب.

٥ - أبو إسحاق الشيرازي.

٦ - القاضي أبو يعلى.

٧ - الحلواني الكبير.

٨ - عبد الرحمن بن الحلواني الكبير.

٩ - ابن عقيل.

ثالثًا: ليس معنى أن الأسماء تتفاضل أو الصفات تتفاضل، أن المفضول معيب منقوص فهذا خطأ ظاهر.



الأصل الثاني

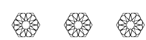
أسماء القرآن

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسماء القرآن .

المبحث الثاني : وصف القرآن .

المبحث الثالث : القرآن من كلام اللَّه .



المبحث الأول

أسماء القرآن

أسماء القرآن كثيرة، وكلها يصدق على ذاتٍ واحدةٍ.

وكما هو معلوم أن اختلاف المباني يلزم منه اختلاف المعاني وعليه:

فالاسم يتضمن المعنى الملاحظ بالنظر إلى جهة معينة، وسيظهر هذا من خلال بعض الأمثلة:

ومن أسماء القرآن كما ذكرها ابن تيمية مع زيادات طفيفة (ج١٤ ص١-٢):

١ - القرآن؛ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢ - الفرقان؛ ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤].

٣ - الكتاب؛ ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢].

٤ - الهدى؛ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣].

٥ - النور؛ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٦ - الشفاء؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ﴾ [يونس: ٥٧].

٧ - البيان؛ ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

٨ - الموعظة؛ ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٩ - الرحمة ؛ ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .

١٠ - بصائر ؛ ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٣] .

١١ - نذير ؛ ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم : ٥٦] على قول .

١٢ - البلاغ ؛ ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

١٣ - العزيز ؛ ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ : ٦] .

١٤ - التنزيل ؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٢] .

١٥ - المنزل ؛ ﴿أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام : ١١٤] .

١٦ - الصراط المستقيم ؛ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة : ٦] .

١٧ - حبل اللَّه ؛ ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

١٨ - الذكر ؛ ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران : ٥٨] .

١٩ - الذكرى ؛ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى : ٩] .

٢٠ - تذكرة ؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة : ٤٨] ، ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدثر : ٥٤] .

٢١ - مصدق ؛ ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام : ٩٢] .

٢٢ - تصديق ؛ ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف : ١١١] .

٢٣ - المهيمن عليه ؛ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة : ٤٨] .

٢٤ - تفصيل كل شيء ؛ ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ١٥٤] .

٢٥ - تبيانًا لكل شيء ؛ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل : ٨٩] .

٢٦ - المتشابه ؛ ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر : ٢٣] .

٢٧ - المثاني : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر : ٨٧] .

٢٨ - الحكيم ؛ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس : ١] .

٢٩ - محكم ؛ ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧] .

٣٠ - المفصل ؛ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام : ١١٤] .

٣١ - البرهان ؛ ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ على أحد القولين [النساء : ١٧٤] .

٣٢ - الحق ؛ ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس : ١٠٨] .

٣٣ - عربي مبين ؛ ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل : ١٠٣] .

٣٤ - أحسن الحديث ؛ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر : ٢٣] .

٣٥ - أحسن القصص على قول ؛ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف : ٣] .

٣٦ - كلام اللَّه ؛ ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٦] .

٣٧ - العلم ؛ ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران : ٦١] .

٣٨ - العلي الحكيم؛ ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

٣٩ - القيم؛ ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ [البينة: ٢، ٣].

٤٠ - وحي؛ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

٤١ - حكمة؛ ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾ [القمر: ٤-٥].

٤٢ - حكمًا؛ ﴿أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾ [الرعد: ٣٧].

٤٣ - نبأ؛ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ على قول. [النبأ: ٢].

فكل اسمٍ من الأسماء السابقة يدل على معنى في المسمى غير المعنى الذي يدل عليه الاسم الآخر مع اتحاد المسمى.

فالاسم يدل على نفس الذات.

ويدل على الصفة التي تضمنها الاسم.

ويدل على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم.

فمثلًا: اسم القرآن، واسم الفرقان:

* فالاسم الأول يدل على الذات، والثاني يدل على نفس الذات.

* والاسم الأول يدل على صفة وهي القراءة، والاسم الثاني يدل على صفة وهي الفرق.

* الاسم الأول يدل على الصفة في الاسم الثاني؛ وهذه بطريق اللزوم.

❑ المصدر قد يضاف إلى الفاعل، وقد يضاف إلى المفعول.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ [طه: ١٢٤].

فإن قيل:

١ - لفظ الذكر مصدر أضيف إلى الفاعل، كان معنى الآية: «ومن أعرض عن القرآن».

٢ - لفظ الذكر مصدر أضيف إلى المفعول، كان معنى الآية «ومن أعرض عن الذكر، أي ما يذكر به».

مثل: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر.

قلت:

والمراد من الآية المعنى الأول. أي أن المصدر أضيف إلى الفاعل بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

- لفظ القرآن:

القرآن مصدر قرأ يقرأ قرآنًا.

١ - قد يراد به في بعض الآيات نفس مسمى المصدر، وهو التكلم بالكلام، وهذا فعل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧].

٢ - وقد يراد به نفس الكلام، والغالب أنه يأتي بهذا المعنى:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء : ٤٥] .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

۞ ۞ ۞

المبحث الثاني

وصف القرآن

١ - يقص ؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [النمل : ٧٦] .

٢ - ينطق ؛ ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ [الجاثية : ٢٩] .

٣ - يحكم ؛ ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج : ٥٢] .

٤ - يفتي ؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء : ١٢٧] .

٥ - يبشر ؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الإسراء : ٩] .

٦ - يهدي ؛ ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] .

٧ - المجيد ؛ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق : ١] .

٨ - المبارك ؛ ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء : ٥٠] .

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

القرآن من كلام اللَّه

الكتاب هو القرآن، ولا فارق بينهما إلا من جهة اللفظ، حيث إن الكتاب من المادة (ك ت ب)، والقرآن من المادة (ق ر أ).

والقرآن من كلام اللَّه تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

وقولنا (من) أي للتبعيض.

قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان: ٢٧].

وعليه: فإن القرآن من كلام اللَّه، منه بدأ وإليه يعود، تكلم به بصوت ولفظ فسمعه جبريل- بإذن اللَّه- وبلغه نبينا ﷺ بإذن اللَّه.

وكما سبق: أن القرآن من كلام اللَّه:

❊ وكلام اللَّه من علم اللَّه، وعلم اللَّه صفة من صفاته.

❊ وصفات اللَّه- عز وجل- غير مخلوقة.

❊ إذن: القرآن غير مخلوق.

❊ وبرهان ذلك:

أولًا: قال تعالى: ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ [الزمر: ٦٢].

ووجه الاستدلال:

أن الكلام المخبَر به عن شيء ليس منه، ألا ترى مريم- رضي اللَّه عنها- تقول: ﴿ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا﴾

[مريم: ٢٦].

وعليه فقوله تعالى: ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ ليس من الخلق.

فليخرص كل معتزلي عنيد.

ثانيًا: قوله ﷺ: «قل أعوذ بكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق».

[رواه أحمد عن عبد الرحمن بن خنبش. صحيح الجامع: ٧٤].

ووجه الاستدلال:

لا يستعاذ بمخلوق.

اللفظ يتكون من جزأين: مبنى ومعانٍ.

وكلاهما من عند اللَّه تعالى، والمعاني تتضمن كل الأحكام العملية والعلمية.

كل حرفٍ من القرآن- من الفاتحة إلى الناس- مجمع عليه، أنه من في النبي ﷺ كما سمعه من جبريل- عليه السلام- حرفًا حرفًا، وكما سمعه جبريل- عليه السلام- من اللَّه - عز وجل- حرفًا حرفًا.

* وهذا الإجماع هو مستند قطعية الثبوت لكل حرفٍ.

* أما أن يقال: إن مستند قطعية الثبوت، هو التواتر المعتمد على

الكثرة العددية في كل طبقة، فغير مسلم، وشاهدها آخر آيتين من التوبة لم توجدا إلا عند خزيمة الأنصاري، واعتذار ابن حجر في الفتح غير معتمد، بل غير صحيح.

* ولكن من الممكن أن يقال بالتواتر على طريقة ابن تيمية؛ حيث قسم التواتر إلى خاصٍّ وعام، والعام هو الذي يعتمد على العدد، والخاص هو خبر الآحاد الذي احتف به من القرائن ما لا يمكن دفعه، كالخف، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، وغير ذلك.

وعن ثبوت القراءات، فإنها ثابتة بخبر الآحاد، وأما القول بأنها متواترة فليس له نصيب من الصحة.

* ومن هنا نجد أن نص أئمة القراء أنه يكفي صحة السند ولو كان آحاديًّا، كقول ابن الجزري- رحمه اللَّه- .

- والقرآن هو الوحي المتلو.

۞ ۞ ۞

الأصل الثالث

عظمة القرآن وإعجازه

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : لغة القرآن .

المبحث الثاني : أمية النبي ﷺ .

المبحث الثالث : أسماء الحروف التي في القرآن .

المبحث الرابع : القرآن نزل منجمًا مفرقًا .

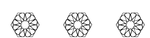
المبحث الخامس : لا يمكن الطعن في القرآن .

المبحث السادس : القرآن يتحدى الثقلين .

المبحث السابع : ألفاظ القرآن متقاربة لا مترادفة .

المبحث الثامن : هيمنة القرآن على الكتب .

المبحث التاسع : لا تكرار في القرآن .



المبحث الأول

لغة القرآن

❑ القرآن نزل بلغة العرب.

❑ واللسان العربي متعدد، فكان بلغة قريش.

* قال تعالى: ﴿بِثْلِهِۦ مَسَّبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ﴾ [إبراهيم: ٤].

* قال عمر وعثمان- رضي اللَّه عنهما-: «إنَّ هذا القرآن نزل بلغة هذا الحي من قريش» [ذكره ابن تيمية ج٢٠، ص٤٨٢ من مجموع الفتاوى].

قلتُ:

فمن زعم أن لغة العرب فيها مجاز، والقرآن لا مجاز فيه؛ فقد تناقض.

ويلزمه الإثبات فيهما أو النفي عنهما وهو الحق.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

أمية النبي ﷺ

تدل أمية النبي ﷺ على أمورٍ منها :

الأول : أن القرآن معجزة، وخارق للعادة .

وبيان ذلك : أن الأمي لا يقرأ ولا يكتب ، قال تعالى : ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

الثاني : أن تعليمه ﷺ أعظم من كل تعليم .

وبيان ذلك : أن علم الناس مما كتبه غيره ، وعلم النبي ﷺ مما أوحاه اللَّه- عز وجل- إليه .

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

أسماء الحروف التي في القرآن

- أسماء الحروف التي في القرآن أربعة عشر حرفًا.

وقد جمعها الجمزوري فقال:

ويجمع الفواتح الأربع عشر (صله سحيرًا من قطعك) ذا اشتهر

- أما بقية الحروف فلا توجد إلا في ضمن الأسماء والأفعال وحروف المعاني.

- إذن:

١ - يوجد فرق بين الحروف الهجائية، وأسماء الحروف.

٢ - فالحرف الهجائي نحو (لَ، لِ، لُ).

واسم الحرف نحو: لام.

٣ - أن الحسنات معلقة بأسماء الحروف لا بالحروف الهجائية، كما ورد النص بذلك؛ قال ﷺ: «اقرءوا القرآن؛ فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول آلم حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر، فتلك ثلاثون». [رواه أبو جعفر النحاس في الوقف والابتداء. السلسلة الصحيحة، رقم (٦٦٠)، وأخرجه الخطيب في التاريخ (٢٨٥/١)، والديلمي (١٣/١/١)].

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

القرآن نزل منجمًا مفرقًا

- أنزل اللَّه- عز وجل- القرآن منجمًا مفرقًا ليحفظ في القلوب، وما حفظ في القلوب لا يحتاج إلى كتابة، ولا يقبل التبديل ولا التحريف.

قال تعالى: ﴿ نَفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

- أما التوراة فقد نزلت مكتوبة جملة واحدة، لذلك قبلت التغير تبديلًا وتحريفًا.

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

لا يمكن الطعن في القرآن

- لا يمكن الطعن في القرآن لا بنقلٍ ولا عقل.

❊ فأما النقل:

إن كان صحيحًا فهو مطابق لما في القرآن، وإن كان غير صحيح فهو مردود.

❊ وذلك كما في قصة عبد اللَّه بن سلَام، لما قال لحبرهم: «ارفع يدك عن آية الرجم».

❊ وقد قال ابن عباس- رضي اللَّه عنهما- في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [المائدة: ٤٤].

محمد ﷺ من النبيين الذين أسلموا، وقد حكم فيهم بما أنزل اللَّه عليه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

❊ وأما العقل:

فالنقل حاكم على العقل، فكل ما وافق النقل من المعقولات فهو الصحيح، وكل ما خالف النقل من المعقولات فهو خطأ، لذلك يقال: العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

المبحث السادس

القرآن يتحدى الثقلين

١ - القرآن يتحدى الثقلين، ويثبت عجزهم، وهذا التحدي والتعجيز ثابتٌ في لفظه ونظمه ومعناه.

قال تعالى :ٱلْمَجِيدِ ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الإسراء: ٨٨].

٢ - فإن تبين ما سبق:

عُلِمَ أن القرآن آية وبرهان على نبوة محمدٍ ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣].

❁ ❁ ❁

المبحث السابع

ألفاظ القرآن متقاربة لا مترادفة

- المراد أنه لا يعبر عن جميع المعنى بلفظ واحد، وهذا في الغالب الأغلب بل الألفاظ المستعملة للتقريب لا للتحقيق، ومجموعها للتحقيق وعليه: فالمراد بالمترادفة أي التي تطابق المعنى.

بل تأويل بعض الحروف يكون بالتقريب لا التحقيق.

- **أمثلة :**

١ - قال تعالى ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ٱلۡتَمَعَتِ﴾ [الطور: ٩].

فإن المور هو الحركة الخفيفة السريعة.

فإن قيل: معنى المور الحركة كان تقريبًا.

٢ - «الوحي»: هو الإعلام السريع الخفي.

فإن قيل: معنى الوحي الإعلام فهذا للتقريب لا للتحقيق.

٣ - «لا ريب»:

فإن قيل: معناها لا شك فهذا تقريب لا تحقيق، فإن الريب فيه معنى زائد كما سيأتي- إن شاء اللَّه-.

ولذلك يُقال: شكٌّ مريب، ولا يُقال: ريب مشكك.

❁ ❁ ❁

المبحث الثامن

هيمنة القرآن على الكتب

- مهيمن؛ قيل أصل الهاء مبدلة عن الهمزة أي مؤيمن وقيل بل الهاء أصلية.

- صور هيمنة القرآن على جميع الكتب المنزلة.

قال ﷺ: «أعطيتُ مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيتُ مكان الزبور المئين، وأعطيتُ مكان الإنجيل المثاني، وفضلتُ بالمفصل» [السلسلة الصحيحة، رقم (١٤٨٠): أخرجه الطيالسي (١٩١٨/٩/٢)، والطبري في التفسير (١/ ١٠٠ رقم ١٢٦)، رواه الطبراني في الكبير عن واثلة].

فهذا النص يبين الهيمنة ثم الزيادة، فالزيادة واضحة في التفضيل بالمفصل. والهيمنة بالبدل، بل لا يلزم من البدل أن يكون مطابقًا للمبدل منه بل قد يكون زائدًا عنه، وبهذا حصلت الزيادة من طريقين.

وقد تجلت صور الهيمنة في الآتي: وهي مستفادة من ابن تيمية- رحمه اللَّه-:

١ - قرر الخبر عن اللَّه وزاده بيانًا وتفصيلًا.

٢ - قرر الخبر عن اليوم الآخر وزاده بيانًا وتفصيلًا.

٣ - قرر نبوة الأنبياء كلهم.

٤ - قرر رسالة المرسلين.

٥ - قرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم.

٦ - جادل المكذبين بالكتب والرسل، بأنواع الحجج والبراهين.

٧ - بين عقوبات اللَّه لهم، ونصره لأهل الكتب المتبعين لهم.

٨ - بين ما حرف منها وبدل.

٩ - بين ما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة.

١٠ - بين ما كتموه مما أمر اللَّه ببيانه.

١١ - شاهد بصدق الكتب السابقة.

١٢ - شاهد بكذب ما حرف منها.

١٣ - حاكم بإقرار ما أقره اللَّه.

١٤ - حاكم بنسخ ما نسخه اللَّه.

١٥ - شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات.

١٦ - معجزة في نفسه.

١٧ - آية وبرهان على صدق نبوة محمد ﷺ.

١٨ - برهان على ما جاء به الرسل.

١٩ - ضرب الأمثال.

٢٠ - ترجمة القرآن من العربية إلى لغة أخرى أتم من ترجمة أي كتاب إلى العربية(١).

- فإن تبين لك ما سبق، حُلّ إشكال قوله ﷺ: «إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحدٌ فعمر».

(١) لأن عقل المسلمين أكمل، وكتابهم أقوم قيلا وأحسن حديثًا، ولغتهم أوسع.

في الرواية عند الحميدي : « فهو عمر بن الخطاب » .

[البخاري ومسلم ، والحميدي عن عائشة] .

والإشكال أنه ﷺ جزم بوجود المحدَّثين في الأمم السابقة ، وعلق ذلك في أمته .

قلت :

أولًا : السرُّ في ذلك هيمنة القرآن على سائر الكتب ، فلا حاجة لنا في محدَّثين ، فقد كفانا الكتاب والسنة .

ثانيًا : وبهذا يتبين استغناء هذه الأمة بالكتاب والسنة .

ثالثًا : وبهذا تبين أن قلة المحدَّثين في الأمة ليست صفة ذم ولا صفة نقص في منزلة الصحب ومن بعدهم .

رابعًا : من كان محدَّثًا في هذه الأمة يعرض ما ألهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة أخذناه ، وما خالفهما تركناه .

خامسًا : وبهذا تبين أن كثرة المحدَّثين في الأمم السابقة لأنها تحتاج إلى ذلك ، كما كانت تحتاج إلى نبي بعد نبي ، وكتاب بعد كتاب .

❁ ❁ ❁

المبحث التاسع

لا تكرار في القرآن

١ - لا في اللفظ ؛ قال ابن تيمية (ج١٦ ص٥٣٦) مجموع الفتاوى .

«ليس في القرآن تكرار للفظ بعينه عقب الأول قط» .

* لا يُذكر في القرآن لفظٌ زائدٌ، فزيادة اللفظ يعني زيادة المعنى .

* وقوة اللفظ تتناسب طرديًّا مع قوة المعنى .

* والمراد اعتبار الشكلة، وصورة الحرف .

* فالضم أقوى من الكسر، والكسر أقوى من الفتح .

فمثلًا : كُره، كَره .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

ومعناه هو الشيء المكروه .

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ قُل لَّوْ﴾ [التوبة : ٥٣] .

ومعناه كره الشيء .

ومعلومٌ أن الشيء الذي في نفسه مكروه أقوى من نفس كراهة الكاره .

مثال آخر : ذِبح، ذَبح .

١- كقوله تعالى : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات : ١٠٧] .

ومعلوم أن ما يذبح أكمل من نفس الفعل.

٢- ولا تكرار في القصص، كما سيأتي- إن شاء اللَّه-.

۞ ۞ ۞

الأصل الرابع

قراءة القرآن والذكر

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : حكم النسيان .

المبحث الثاني : قراءة القرآن .

المبحث الثالث : القرآن والذكر .

المبحث الرابع : تقديم المفضول على الفاضل .

المبحث الخامس : الذكر أفضل من قراءة القرآن .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

حكم النسيان

- نسيان القرآن ذنب .

قال ﷺ : «بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت كيت ، بل هو نُسِّي ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم» .

[رواه البخاري عن ابن مسعود] .

وعليه :

١ - من نسي آية فهو مذنب .

٢ - لا يقال نَسِيتُ ، ولكن يقول نُسِّيتُ .

٣ - من قرأ القرآن مخافة نسيانه ، فإنه يثاب لأنه تجنب المحظور طاعة .

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

قراءة القرآن

- قراءة القرآن منفردًا أفضل من قراءة الجماعة:

١ - سواء أكان بصوت واحد.

٢ - أم يقرأ أحدهما ويتم الذي بعده.

وذلك لأن الصورة الأولى يصعب فيها التدبر، وقد ينعدم وهو الأصل.

والصورة الثانية لم يقرأ ما قرأه غيره، والثواب معلق على الحرف المقروء لا الحرف المسموع.

قال ﷺ: «اقرءوا القرآن؛ فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقولُ: «آلم» حرف، ولكن ألفٌ عشر، ولام عشر، وميم عشر. فتلك ثلاثون». [رواه أبو جعفر النحاس في «الوقف والابتداء»].

* وتسمى قراءة المجتمعين بصوت واحد قراءة الإرادة.

- الجمع بين القراءات- على سبيل التلاوة والتدبر- بدعة قبيحة.

* وإن كانت على سبيل التعليم فلا بأس.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

القرآن والذكر

❏ قراءة القرآن أفضل من الذكر بالنص والإجماع.

١ – قال ﷺ: «أفضل الكلام وهن من القرآن أربع، وهي من القرآن، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر» [رواه أحمد عن سمرة بن جندب].

٢ – وقال له ﷺ رجل: «إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئًا فعلمني ما يجزئني منه». فقال ﷺ: «قل: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر». [رواه أحمد وأبو داود عن عبد اللَّه بن أبي أوفى الأسلمي].

٣ – وقال ﷺ: «إن للَّه أهلين من الناس، قيل: مَن هم يا رسول اللَّه؟ قال: أهل القرآن هم أهل اللَّه وخاصته». [رواه أحمد والنسائي عن أنس].

٤ – وكان ﷺ يقدم أهل القرآن في المواطن، كما قدمهم يوم أُحد في القبور.

فأذن لهم أن يدفنوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد، وقال: قدموا إلى القبلة أكثرهم قرآنًا.

– **فإن قيل:**

سُئِل النبيُّ ﷺ أي الكلام أفضل؟ فقال:

« سبحان اللَّه وبحمده ». [رواه أحمد ومسلم عن أبي ذر]

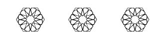
فهنا جعل الذكر أفضل من القرآن.

قُلْتُ:

أولًا: هذا فهم باطل بالنص والإجماع.

ثانيًا: أن هذا الجواب خرج على سؤال سائل: أي أفضل الكلام من الذكر كذا لا من القرآن.

ثالثًا: هذه الصورة ليست أفضل من «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». فدل ذلك على أن الصورة المذكورة أفضل في حق السائل، ولا يلزم من ذلك أنها أفضل من غيرها من الذكر، فضلًا عن القرآن.



المبحث الرابع

تقديم المفضول على الفاضل

- تقديم المفضول على الفاضل من حيث الجملة، لا يلزم منه:

١ - أن يكون أفضل في كل موطن.

٢ - أو أن يكون أفضل لكل أحد.

والذي يدلّ على ما سبق:

١ - قال ﷺ: «إني نهيتُ أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم». [رواه مسلم من حديث ابن عباس].

٢ - وقال ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب اللَّه، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سنًّا أو إسلامًا».

[رواه مسلم من حديث أبي مسعود عقبه بن عمرو الأنصاري].

وقد أتبع ﷺ ذلك بقوله:

«ولا يؤمن الرجل في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه».

[رواه مسلم من حديث أبي مسعود].

فقد يكون الإمام مفضولًا كما ترى.

٣ - بل أمير الحرب يؤم الجنود، وليس بأقرئهم.

٤ - أئمة المساجد قد يكونون مفضولين بالنسبة لبعض المأمومين .

٥ - والشهادتان في وقت الدخول إلى الإسلام أفضل من قراءة القرآن .

٦ - والشهادتان عقب الوضوء .

٧ - والشهادتان دبر الصلاة .

٨ - وموافقة المؤذن أفضل من القراءة، لأن عبادة الأذان تفوت والقراءة لا تفوت .

٩ - بل الحديد يقدم على الذهب في عامة الصناعات كالسلاح .

فتبين :

أنه يجب على العبد أن يشتغل بما ينفعه ولو كان مفضولًا .

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

الذكر أفضل من قراءة القرآن لكثير من الناس

وذلك لأن الذكر يورثه الإيمان، والقرآن يورثه العلم، ومعلوم أن الإيمان قبل العلم.

قال تعالى: ﴿مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ﴾

[المجادلة: ١١].

وقال ابن عمر وجندب بن عبد اللَّه: «تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا».

❁ ❁ ❁

الأصل الخامس

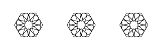
تبليغُ القرآن

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى تبليغ القرآن .

المبحث الثاني : بم يثبت العلم .

المبحث الثالث : أسباب عدم علم معنى الآية .



المبحث الأول

معنى تبليغ القرآن

❑ النبي ﷺ بين :

١ - ألفاظ القرآن .

٢ - معاني القرآن .

وأدلة ذلك :

١ - قال تعالى : ﴿ كُرُهُ لَّكُمُ مَا نُزِّلَ وَهَـٰذَا﴾ [النحل : ٤٤] .

والتبيين يتناول الألفاظ والمعاني .

٢ - وقال تعالى : ﴿ لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء : ٨٢] .

وقال تعالى : ﴿كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ﴾ [المؤمنون : ٦٨] .

والتدبر متضمن لفهم المعاني ولابد .

٣ - وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَـٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ٢] .

وعقل الكلام متضمن لفهم معانيه .

٤ - الصحابة كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . فقالوا : «فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا» .

- فإن علمت ما سبق :

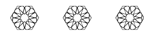
١ - تبين أن الصحابة لم يختلفوا في تفسير القرآن، لأن النبي ﷺ قد فسره.

٢ - وإن وجد الاختلاف فهو قليل جدًّا، وهو من اختلاف التنوع لا التضاد. كما سيأتي بيانه- إن شاء اللَّه-.

٣ - إذن: المراد بتبليغ القرآن:

أولًا: تبليغ ألفاظه.

ثانيًا: تبليغ معانيه.



المبحث الثاني

بم يثبت العلم

❑ العلم يثبت:

١ - إما بنقل مصدق عن معصوم.

٢ - وإما بقول عليه دليل معلوم.

- وضد النقل المصدق، النقل المزيف، وكما أن الأول مقبول فالثاني مردود.

- وضد الدليل المعلوم، ما قام على غير دليل.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

أسباب عدم علم معنى الآية

١ - غرابة اللفظ.

٢ - اشتباه المعنى بغيره.

٣ - شبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق.

٤ - عدم التدبر التام.

❁ ❁ ❁

الأصل السادس

المحجوبون عن فهم القرآن

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المحجوب عن فهم القرآن .

المبحث الثاني : أقوالهم بين الإفراط والتفريط .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

المحجوب عن فهم القرآن

- الأسباب التي تحجب عن فهم القرآن كثيرة منها[(١)] :

١ - الوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك.

٢ - شغل النطق بـ (آانذرتهم)، وضم الميم من (عليهم)، ووصلها بالواو وكسر الهاء أو ضمها ونحو ذلك.

٣ - مراعاة النغم وتحسين الصوت.

٤ - تتبع وجوه الإعراب.

٥ - استخراج التأويلات المستكرهة التي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان.

٦ - الاشتغال بحكاية أقوال الناس، ونتائج أفكارهم.

٧ - تأويل القرآن على قول من قلد دينه أو مذهبه، فهو يتعسف بكل طريق حتى يجعل القرآن تبعًا لمذهبه، وتقوية لقول إمامه.

٨ - الظن بأن القرآن غير كافٍ في معرفة التوحيد والأسماء والصفات وما يجب للَّه وينزه عنه.

٩ - الاعتقاد في سلامة عقول الحيارى والمتهوكين الذين كل منهم قد

---

(١) مستفادة من مجموع الفتاوى.

خالف صريح القرآن مخالفة ظاهرة، وهؤلاء أغلظ الناس حجابًا عن فهم كتاب اللَّه تعالى.

١٠ - عدم معرفة الحدود الشرعية لألفاظ الكتاب والسنة.

١١ - تأويل ألفاظ الكتاب والسنة بمدلول لغوي أو مدلول محدث قال أحمد: «أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس».

١٢ - سماع الشعر أو الملاهي:

فمن التذ بها حصل له نفور عن سماع القرآن، فاستغنى بسماع الشيطان عن سماع الرحمن.

١٣ - عدم الاستعاذة؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

١٤ - إقامة حروفه دون تدبر معانيه.

١٥ - إقامة كلام غير اللَّه مقام كلام اللَّه في الأمر، والنهي، والمباح، والإذن.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

أقوالهم بين الإفراط والتفريط

- ما من مسألة تفرق فيها الناس، إلا وكانت كلُّ طائفة ذا وصفٍ معين، وجمعها طرفان ووسط:

إفراط، عدل، تفريط.

فالقول الأول: الإفراط:

وهذا فيه خداع واحتيال، المتضمنان للظلم والفاحشة والعار.

القول الثاني: العدل:

وهذا فيه علم واعتدل. وهذا سبيل المهاجرين والأنصار.

القول الثالث: التفريط:

وهذا فيه آصار وأغلال، وقد تضمن التضييق والتعسير.

- فالمحجوب إما من أهل الإفراط، وإما من أهل التفريط.
- والمرحوم هو من اتبع سبيل المهاجرين والأنصار.

❁ ❁ ❁

الأصل السابع

جمع القرآن وما يتعلق به

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : مراحل جمع القرآن .

المبحث الثاني : النقط والشكل .

المبحث الثالث : صورة المصحف العثماني .

المبحث الرابع : البسملة .

المبحث الخامس : زمان إثبات التنقيط والتشكيل وأسبابه .

المبحث السادس : تحزيب القرآن .

المبحث السابع : أقل مدة للختمة وأكثرها .

المبحث الثامن : الأحرف السبعة .

المبحث التاسع : أنواع القراءات .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

مراحل جمع القرآن

١ - كما هو معلوم أن القرآن نزل بلغة قريش؛ قال تعالى: ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤].

وكان ﷺ قرشيًّا.

* وقد قال عثمان: «إن القرآن نزل بلغة قريش». كما عند البخاري.

* وقال عمر لابن مسعود- رضي اللَّه عنهما-: «أقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، فإن القرآن لم ينزل بلغة هذيل».

٢ - وقد جمع القرآن كله على عهد النبي ﷺ بعضُ الصحابة؛ مثل: عبد اللَّه بن مسعود، وعبد اللَّه بن عمرو، وأُبي بن كعب، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد اللَّه بن الزبير.

٣ - الاعتماد في نقل القرآن كان على حفظ القلوب، لا على المصاحف.

قال ﷺ: «إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال يخلفه عبادي حلالٌ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا، ثم إن اللَّه عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عجمهم وعربهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء

تقرأه نائمًا ويقظانًا، ثم إن اللَّه عز وجل أمرني أن أحرِّق قريشًا، فقلت: يا رب، إذًا يثلغوا رأسي فيدعوه خُبْزة. فقال: استخرجهم كما استخرجوك فاغزهم نغزك وأنفق عليهم فستنفق عليك، وابعث جندًا نبعث خمسة مثله».

[مسلم عن عياض بن حمار]

* معنى «لا يغسله الماء» أي ليس في كتابٍ فيضره الماء، بل هو محفوظ في القلوب. والذي يدلك على ذلك أن هذه الجملة صفة للمنزل، والذي نزل كان يحفظ في الصدر لا في الكتب.

* وهذه مزية اختص بها القرآن عن سائر الكتب، ولعلها من أسباب حفظه، وعدم تحريفه.

٤ - وكان جبريل- عليه السلام- يُعرض عليه القرآن من النبي ﷺ مرة كل عام، وفي العام الذي مات فيه ﷺ عرضه مرتين على جبريل.

* والعرضة الأخيرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره.

٥ - في خلافة أبي بكر، أمر هو وعمر- رضي اللَّه عنهما- زيد بن ثابت بجمع القرآن فكتبه زيد- رضي اللَّه عنه- بخط يده.

* وكُتب في صحف.

* وقد جعلها عمر- رضي اللَّه عنه- عند بنته حفصة زوج النبي ﷺ.

٦ - وفي خلافة عثمان، وبعد رجوع حذيفة بن اليمان من الشام بعدما اشترك في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق.

* وقد رأى اختلاف الناس في القراءة، فخاف أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى، فقال لعثمان- رضي اللَّه عنه-: «يا أمير

المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى» .

٧ - أرسل عثمان إلى حفصة يسألها الصحف التي جمعت في خلافة أبي بكر لينسخها في مصاحف ثم يردها إليها، فأرسلت بها حفصة .

٨ - أمر عثمان- رضي اللَّه عنه أربعة بنسخ الصحف، وهم: زيد بن ثابت، وهو الكاتب للصحف الأولى، وعبد اللَّه بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

* وقال لهم: «إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش» .

* فلم يختلفوا إلا في حرفٍ وهو «التابوت» أو «التابوه» فأمر عثمان أن يكتب بلغة قريش «التابوت» .

٩ - ثم ردّ عثمان- رضي اللَّه عنه- الصحف إلى حفصة- رضي اللَّه عنها- .

١٠ - ثم أرسل إلى كلّ مصر من الأمصار بمصحف مما نسخوه، وقد اشتهر بالمصحف العثماني .

١١ - أمر أن يُحرق كلُّ مصحفٍ خلاف ما أرسله .

١٢ - أهل الشورى من الصحابة هم: علي بن أبي طالب، الزبير، طلحة، سعد، عبد الرحمن بن عوف، وعثمان سادس ستة- رضي اللَّه عنهم- كان الخمسة لكل واحدٍ منهم مصحف يخالف رسم مصحف عثمان .

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

النقط والشكل

❑ المراد بالنقط ؛ أي النقطة أو النقطتان أو الثلاثة . كالباء « ب » ، التاء « ت » ، الثاء « ث » .

* فتبين أن النقط يدل على الحرف . بمعنى أن بالنقط تميز الباء عن التاء .

❑ المراد بالشكل ؛ أي السكون أو الفتحة أو الكسرة أو الضمة .

بْ ، بَ ، بِ ، بُ .

* فتبين أن الشكل يدل على الإعراب .

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

صورة المصحف العثماني

❑ ليس فيه إلا كلام اللَّه الذي نطق به النبي ﷺ وبلّغه لأصحابه .

❑ فلا تنقيط فيه، ولا تشكيل .

* ولا أسماء السور، ولا عدد آياتها، ولا مكان نزولها .

* ولا أرقام الصفحات .

* ولا الأجزاء، ولا الأحزاب، ولا الأرباع .

« فكل ما سبق ليس من القرآن » .

❑ والنزاع الحاصل كان في مسألة البسملة .

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

البسملة

❑ البسملة آية من سورة الفاتحة للنص .

قال ﷺ : «إذا قرأتم «الحمد للَّه» فاقرءوا «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» إنها أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، وبسم اللَّه الرحمن الرحيم إحداها» . [رواه الدارقطني بسنده عن أبي هريرة] .

❑ البسملة جزء من آية من سورة النمل .

❑ البسملة آية مستقلة عن كلّ سورة خلا الفاتحة .

والذي يدل على ذلك : أن الصحابة كتبوها في صدر كلّ سورة خلا التوبة .

فدلّ على أنها من المصحف ، وكانوا لا يكتبون إلا ما هو من كلام اللَّه- عز وجل- .

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

زمان إثبات التنقيط والتشكيل وأسبابه

❑ ظهر التنقيط والتشكيل في أواخر القرن الثاني وأول القرن الثالث.

❑ وسبب ذلك فشو اللحن بين الناس.

* ولم يفعل الصحابة التنقيط ولا التشكيل في المصحف العثماني لأنهم كانوا عربًا لا يلحنون.

* فمثلًا: يعملون وتعملون، وحيث إن النقطتين لم يثبتهما الصحابة في موضع دون الآخر دل عدم التقييد على جواز الصورتين، فلم يقيدوه بأحدهما ليمنعوه من الأخرى، فتبين الآتي:

أن التنقيط والتشكيل معلقان باللحن، فمتى وجد اللحن تعين التنقيط والتشكيل، ومتى انتفى اللحن جاز ترك التنقيط والتشكيل.

❑ وكانت الشكلة:

١ - بنقطة حمراء فوق الحرف للفتح، وتحته للكسرة، وأمامه للضمة.

٢ - الشدة في بداية الأمر بلفظ «شدَّ» ثم خففت إلى رأس السين «ـّ».

٣ - المدة في بداية الأمر بلفظ «مد» ثم خففت على «~» أو جعل الهمزة بين الحرفين نحو «وبالأخرةِ».

٤ - والهمزة تشبه العين لأنها أختها.

❑ قال ابن تيمية (ج١٢ ص ١٠٢) من مجموع الفتاوى:

« . . . لكن لا نزاع بينهم أن المصحف إذا شكل ونقط وجب احترام الشكل والنقط، كما يجب احترام الحرف، ولا تنازع بينهم أن مداد النقطة والشكل مخلوق، كما أن مداد الحرف مخلوق، ولا نزاع أن الشكل يدلّ على الإعراب والنقط يدل على الحروف، وأن الإعراب من تمام الكلام العربي» .

❁ ❁ ❁

المبحث السادس

تحزيب القرآن

❑ المراد بتحزيب القرآن هو تقسيم قراءة القرآن على عدد معين من الأيام.

❑ والتحزيب في زمان الصحابة كان على السورة التامة، ولم يحزب أحد منهم على السورة الواحدة.

* قال أوس: «سألتُ أصحاب رسول اللَّه ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل واحد». [رواه أبو داود واللفظ له، ورواه أحمد وابن ماجه].

* وفي رواية لأحمد قالوا: «نحزبه ثلاث سور، خمس سور، سبع سور، تسع سور، إحدى عشرة، ثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم».

❑ وأما التحزيب بعد عصر الصحابة فقد حدث في زمن الحجاج، وقيل بأمر منه ولم يكن على نسق الصحابة، بل كان أثناء السورة، بل وأثناء القصة، وغير ذلك.

* فتبين مما سبق: أن التحزيب ليس أمرًا توقيفيًّا.

❑ ولكن تحزيب الصحابة خير من تحزيب من بعدهم للأسباب الآتية:

الأول: الوقوف على رءوس السور لا ينقص المعنى بأي حال.

* ولكن الوقوف أثناء السورة يترتب عليه ما يخل بالمعاني .

ومثال ذلك :

١ - الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه .

* كقوله تعالى : ﴿ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ﴾

[النساء : ٢٤] .

* وكقوله تعالى : ﴿يَهۡدِى لِلَّتِى هِىَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ﴾ [الأحزاب : ٣١] .

٢ - الوقف على كلام أحد المتخاطبين :

* كقوله تعالى : ﴿ذِكۡرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ﴾

[الكهف : ٧٥] .

الثاني : كان ﷺ يقرأ بالسورة في الركعة الواحدة ك(ق)، وقرأ عمر بسورة ك(يونس) .

فإن قيل : لما صلى ﷺ بسورة المؤمنون في الفجر أدركته سعلة فركع في أثنائها .

وقال : «إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي، فأخفف لما أعلم من وجد أمه به» . [رواه الشيخان واللفظ لمسلم] .

قلت :

١ - هذا لعارض، والكلام عن الشيء السالم من العارض .

٢ - قطعًا يجوز قراءة أواخر السور، وأوساطها، ولكن يجب ألا تكون عادة- وهذا هو الواقع- فهجر ما مضت به السنة وما عمل به الصحابة والتابعون .

الثالث: أن التجزئة المحدثة بعد عصر الصحابة بنيت على عدد الحروف الهجائية. ولا سبيل لذلك البتة لأسباب منها:

١ - أننا نثبت في القطع ما لا يثبت في الوصل.

٢ - وقد يثبت في المنطوق ما لا يثبت في المكتوب.

فإن قيل: التجزئة بالحروف من باب التقريب.

قلت: والتجزئة بالسور أيضًا من باب التقريب، وهي أولى لأنها سنة مضت.

الرابع: أن التساوى في القدر لا يلزم منه التساوى في الفضل فمثلًا:

١ - «الإخلاص» تعدل ثلث القرآن.

٢ - «آية الكرسي» أعظم آية في القرآن.

٣ - «الفاتحة» لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها.

❁ ❁ ❁

المبحث السابع

أقل مدة للختمة وأكثرها

١ - عن عبد اللَّه بن عمرو: سألتُ النبي ﷺ في كم يقرأ القرآن؟ قال: «في أربعين يومًا». [رواه أبو داود].

٢ - وقال ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهرٍ، اقرأه في خمس وعشرين، اقرأه في خمس عشرة، اقرأه في عشر، اقرأه في سبع، لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث». [رواه أحمد عن عبداللَّه بن عمرو].

٣ - وقال ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهرٍ، اقرأه في عشرين ليلة، اقرأه في عشر، اقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك».

[رواه الشيخان عن ابن عمر].

٤ - وكان ﷺ: «لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث».

[رواه ابن سعد عن عائشة].



المبحث الثامن

الأحرف السبعة

❑ الأحرف السبعة التي نزلت غير القراءات السبعة المشهورة، وهذا بلا نزاع بين العلماء المعتبرين.

- الحروف السبعة متفقة المعنى أو متقاربة المعنى، وليس بينها أدنى تناقض أو تعارض. وهذا باتفاق أهل العلم.

* قال ابن مسعود: «إنما هو كقول أحدكم: أقبل، وهلم، وتعال».

- ولا يخرج الاختلاف عن اختلاف التنوع، وإن كان معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، وذلك إذا كان كلا المعنيين حقًّا، وقد صُرح بذلك في بعض الأحاديث: قال ﷺ: «يا أُبَيُّ إني أقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذي معي: قل على حرفين، قلتُ: على حرفين، فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة، فقال الملك الذي معي: قل على ثلاثة، قلت على ثلاثة. حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شافٍ كافٍ؛ إن قلت: سميعًا عليمًا عزيزًا حكيمًا، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب». [رواه أبو داود عن أبي بن كعب].

فكما ترى: كلا المعنيين حق، فلا تضاد، ولا اختلاف.

- وقد سبق أن عثمان- رضي اللَّه عنه- قد جمع الناس على مصحفٍ واحد لما نقل حذيفة لعثمان الاختلاف الواقع في الشام.

* وهذا الجمع كان على الحرف القرشي، وأمر بحرق كلّ مصحف

خلاف المصحف العثماني.

- فإن قيل: اجتماع الصحابة على حرفٍ فيه إهمال لبقية الحروف وهذا لا يجوز!

قلت:

أولًا: الإهمال المعتبر هو ما ترتب عليه نقص في التشريع، وهذا منتفٍ تمامًا، لأن اختلاف الحروف ليس معناه اختلاف التناقض والتضاد في الأحكام، بل الإجماع منعقد على أن الخلاف بين الحروف خلاف تنوع.

ثانيًا: أن الحروف الباقية ليست معروفة الآن، فلو كان الإهمال من النوع المعتبر، لكان طعنًا في أمرين:

الأول: في صفة الكمال.

الثاني: في صفة الحفظ.

ثالثًا: أن التعبد بالحروف السبعة إن كان واجبًا فالحفاظ على كلمة المسلمين أوجب، وتقديم خير الخيرين متعين، سيما مع الإجماع بالائتلاف لا الاختلاف.

- وكما هو معلوم:

أن المصحف العثماني كان غير منقوط ولا مشكل فقرأ بعض الناس تعملون، وآخرون يعملون، وقرأ البعض «يَخافا»، وآخرون «يُخافا»، «بل عجبتَ، بل عجبتُ».

❊ ومن هنا نشأ علم القراءات.

- فقام أبو بكر بن مجاهد بجمع القراءات، وكان ذلك على رأس المائة الثالثة ببغداد.

* وقد جمع المشهور من القراءات من القرى الخمسة؛ الحرمين، العراقين، الشام.

* والسبب في اختيار هذه الخمسة أن علم النبوة منها خرج.

* وقد اختار سبعة من القرّاء المشاهير من أئمة هذه الأمصار، وذلك ليكون موافقًا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن؛ ولكن:

١ - كان لا يعتقد أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة.

٢ - ولا كان يعتقد أن كلَّ القراءات سبعة.

* وهذا واضح من:

١ - أن مشكلة الحروف قد حسمت في عصر عثمان- رضي اللَّه عنه-.

٢- فتخريج القراءات كان عليها.

إذن:

١- مصحف عثمان كان حرفًا من الحروف السبعة.

٢ - القراءات خُرجت عليه، إذن: مجموع القراءات هو حرف من الحروف السبعة، وهو الحرف القرشي.

* وطالما أن القراءات السبعة مختارة فتعين الآتي:

١ - عدم جواز حمل الناس على قراءة دون الأخرى.

٢ - كل مصر يقرأ بما يراه، بل كل واحد، لذلك كان ابن عيينة وأحمد وبشر بن الحارث وغيرهم يقرءُون بقراءة أبي جعفر بن القعقاع

وشيبة بن نصاح المدنيين، مع أنهم أدركوا قراءة حمزة.

وخلاصة القول: «اقرأ بما تعلمه، ودع ما لا تعلم».

٣ - أن هناك قراءات أخرى صحيحة، فإن من جمع القراءات من الأمصار الخمسة قد اختار سبعة من قراءات منتشرة ومشهورة بين الناس، والرجل لم يشترط الاستيعاب، بل هو محض اختيار. ولم يقل أحدٌ من سلف الأمة وأئمتها: إن القراءة مختصة بالقراء السبعة.

❁ ❁ ❁

المبحث التاسع

أنواع القراءات

❑ القراءة نوعان:

الأول: القراءة الصحيحة، وهي التي توفرت فيها الشروط الثلاثة المعروفة، وهي:

١ - صحة الإسناد ولو كان آحاديًّا.

٢ - موافقة العربية.

٣ - موافقة الرسم العثماني ولو احتمالًا.

وكما سبق أن القراءات المشهورة مختارة من قراءات كانت منتشرة آنذاك ومن أمثلة ذلك:

١ - «ربنا باعد»، «ربنا وباعد».

٢ - «بل عجبتَ»، «بل عجبتُ».

٣ - «إلا أن يَخافا ألا يقيما»، «إلا أن يُخافا ألا يقيما».

٤ - «وإن كان مكرهم لتزول»، «وليزول منه الجبال».

وقد يكون في القراءات الاتفاق من وجه والتباين من وجه، وذلك من جهة المعنى، ولكن كلاهما حق، ومثال ذلك:

١ - «يخدعون، ويخادعون».

٢ - «ويكذبون، ويكذِّبون».

٣ - « لمستم » ، و« لا مستم » .

٤ - « حتى يَطْهُرن » ، و« يطَّهَّرن » .

وقد يتحد اللفظ والمعنى ، ويقع التباين من جهة النطق بالحرف ، وهذا لا يؤثر بحال في المعنى ، بل لا يخرجها عن المعنى الواحد الحق ، ومثال ذلك الهمزات ، والمدات ، والإمالات ، ونقل الحركات ، والإظهار ، والإدغام والاختلاس ، وترقيق اللامات والراءات أو تغليظها .

فكل ما سبق حق لا تناقض فيه ولا تضاد .

- فإن قيل : كيف اختلفت القراءات مع أن الحرف العثماني كان محفوظًا .

قلتُ :

أولًا : كانت المصاحف غير منقوطة ولا مشكولة .

ثانيًا : قد سوغ الشارع القراءة باللغة العربية ، فلا وجه لخروج أي قراءة وافقت العربية .

ثالثًا : بل يعدُّ ذلك وجهًا من وجوه الإعجاز ، حيث اختلاف النقط أو الشكلة لم يترتب عليه خلاف تناقض أو تعارض .

رابعًا : أن الأمة تلقت ما صح من القراءات بالقبول ، وهذا إجماع قطعي ، ولا تجتمع الأمة على ضلالة .

الثاني : القراءة الشاذة :

- والمراد بالقراءة الشاذة ، أي التي خالفت المصحف العثماني من جهة الرسم ومن أمثلة ذلك :

١ - قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء :

«والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، والذكر والأنثى»

٢ - وقراءة ابن مسعود :

«فصيام ثلاثة أيام متتابعات» .

٣ - «إن كانت إلا زقية واحدة» .

٤ - «الحي القيام» .

٥ - «صراط من أنعمت عليهم» .

- فإن قيل : هل يجوز القراءة بهذه القراءات الشاذة؟

وقد عُلم أنها صحيحة الإسناد إلى قائلها فلِمَ المنع؟!!

قلتُ :

أولًا : أتكلم عن قراءة ابن مسعود، وما نتوصل إليه من نتائج يحتذى به في كلِّ قراءة شاذة .

ثانيًا : إمّا أنها خرجت من مصحف عثمان، وعليه فلابد من القول بشذوذها لمخالفة الرسم العثماني، وعليه! لا يجوز القراءة بها .

ثالثًا : وإما أن يقال لم تخرج من المصحف العثماني .

قلتُ : وهو الصواب عندي، ما لم يكن الإجماع على خلاف ذلك للأسباب الآتية :

الأول : أن ابن مسعود حمل القرآن من النبي ﷺ، وقد ثبتت قراءته بالسند الصحيح، وهي التي كان يقرأ بها في العهد النبوي، فتعين أن قراءته حرف من الحروف التي أنزل عليها القرآن، فلا يصح إطلاق

الشذوذ عليها، لأنها لم تشذ عن حرفه إنما شذت عن الحرف العثماني .

الثاني: والذي يؤكد أنه حرف أن ترتيب السور في مصحف ابن مسعود غير ترتيب السور في مصحف عثمان .

- فلم يبق إلا النظر في :

١ - هل أجمع الصحابة على مصحف عثمان؟

الجواب : نعم .

٢ - هل أجمع الصحابة على ترك غيره؟

الجواب :

أ - من قال : نعم، قال إن مستند الإجماع نسخ قراءة ابن مسعود التي كانت على حرفٍ آخر .

ب - ومن قال : لا، اعتمدها حرفًا آخر، وعمل بها .

قلتُ :

١ - ترجيح أحد القولين مبني على نوع الخلاف بين الحرفين .

٢ - فإن كان الاختلاف اختلاف تنوع تعين اعتماد قراءته .

٣ - وإن كان الاختلاف اختلاف تضاد وتعارض تعين عدم اعتماد قراءته .

٤ - قد أجمعت الأمة على أن اختلاف الحروف اختلاف تنوع وعليه : فقراءة ابن مسعود معتمدة، ولا توصف بالشذوذ لأنها حرف مستقل .

والله أعلم .

الأصل الثامن

نزول القرآن

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: متى نزل القرآن؟

المبحث الثاني: أولُ ما نزل من القرآن.

المبحث الثالث: أسباب النزول.

المبحث الرابع: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المبحث الخامس: العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

المبحث السادس: معنى قول الصحابي هذه الآية نزلت في كذا.

المبحث السابع: طرق فض الاختلاف في أسباب النزول.

المبحث الثامن: فوائد معرفة أسباب النزول.

المبحث التاسع: المكي والمدني.

المبحث العاشر: الأسلوب والموضوع في المكي والمدني.

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

متى نزل القرآن؟

– نزل القرآن على نبينا ﷺ وهو على رأس الأربعين من عمره.

– وكان ذلك في شهر رمضان، وكان في ليلة القدر منه.

١ – قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢ – وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

٣ – وقال تعالى: ﴿غَيْرِ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٣ ٱلْمَجِيدِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الدخان: ٣ – ٤].

٤ – وقال ﷺ: «أنزلت صحفُ إبراهيم أول ليلةٍ من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآنُ لأربع وعشرين خلت من رمضان». [رواه الطبراني في الكبير عن واثلة].

۞ ۞ ۞

المبحث الثاني

أولُ ما نزل من القرآن

- أول ما نزل من القرآن وثبتت به النبوة، هي الآيات الأولى من سورة العلق؛ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

والذي يدلك على هذا؛ ما رواه الشيخان عن عائشة- رضي اللَّه عنها- قالت: «أول ما بدئ به رسول اللَّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه- وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءهُ الملك فقال: اقرأ قال ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ﴾ . . .».

- أول ما نزل من القرآن وثبتت به الرسالة، هي الآيات الأولى من سورة المدثر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥].

والذي يدلك على هذا:

ما رواه الشيخان عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري قال: قال رسول اللَّه ﷺ وهو يحدثُ عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتًا من السماء، فرفعتُ بصري فإذا الملَكُ الذي جاءني بحراء جالس على كُرسي بين السماء والأرض فرُعبتُ منه، فرجعتُ، فقلتُ زملوني زملوني فأنزل اللَّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾...».

* وعلى ما سبق يتنزل حديث جابر في الصحيحين، وفيه: «فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد اللَّه أي القرآن أنزل أول، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾...».

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

أسباب النزول

أولًا :

١ - اعلم أن سنة اللَّه- عز وجل- في الخلق والأمر تقوم على الأسباب، فما من شيءٍ إلا وقام على سبب أو أكثر.

٢ - وعليه: فتقسيم النزول إلى ابتدائي وسببي، لا يصح؛ لأنهم يريدون بالابتدائي أن النزول لم يسبقه سبب، وقد مثلوا للابتدائي بالقصص، والترغيب والترهيب، والأحكام.

٣ - ولكن: يمكن تقسيم السبب إلى نوعين: ملفوظ، وملحوظ.

* والمراد بالملفوظ؛ هو النص الذي تضمن سبب النزول، وهذا قليل.

* والمراد بالملحوظ؛ ما يفهم من السياق، وهذا هو الغالب الأغلب من نزول الآيات والسور.

٤ - من أمثلة الملفوظ:

* قال تعالى: ﴿ بِمِينكَ إِذَا لَآأَمْتَلبْطِلُوِتْشَلِهِۦ مُفْتَرَيَتٍ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

* وقال تعالى: ﴿ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا ﴾ [التوبة: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿ حَكِيمٌ سَمِعَ نز قَوْلَ ثر إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [المجادلة: ١].

٥ - من الأمثلة الملحوظة :

* القصص ؛ بل فيه سبب ملفوظ وهو تثبيت الفؤاد ، والاعتبار ، وفيه سبب ملحوظ وهو التسلية .

* الترغيب والترهيب ؛ السبب الملحوظ تشحيذ الهمم لفعل ما يرضي الرب سبحانه من فعل مأمور ، وترك محظور .

* الأحكام ؛ السبب الملحوظ مصلحة العباد ، من جلب المنافع ، ودفع المضار .

٦ - والفرق بين السبب الملفوظ والملحوظ :

* أن السبب الملفوظ ؛ نزل في معين .

والسب الملحوظ ؛ نزل عامًّا .

* وإن تأملت : وجدت أن السبب الملفوظ عمومه مستفاد من اللفظ لا من سبب النزول ، وأن السبب الملحوظ عمومه من اللفظ وسبب النزول .

٧ - فتبين مما سبق فساد تقسيم النزول إلى ابتدائي وسببي ، والذي يؤكد ما سبق :

قال ابن مسعود : «والذي لا إله غيره ! ما نزلت آية من كتاب اللَّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب اللَّه مني تناله المطايا لأتيته» .

وقال الحسن البصري : « ما أنزل اللَّه آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما أنزلت وماذا عني بها» .

المبحث الرابع

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

❑ اعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، بمعنى: كلُّ من فعل فعلته فله حكمه. قال تعالى: ﴿ جِئْنِمَثْلِهِۦ مَسَٰلَبعَةُ﴾ [الأنعام: ١٩].

* ومن أمثلة ذلك:

١ - آية الكلالة [النساء: ١٧٦] نزلت في جابر بن عبد اللَّه.

٢ - آية اللعان [النور: ٦-٩] نزلت في عاصم بن عدي أو هلال بن أمية أو عويمر العجلاني.

٣ - ﴿مُبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ لِيَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [البقرة: ١٩٥] نزلت فينا معشر الأنصار.

٤ - آية المحاربة [المائدة: ٣٣] نزلت في العرنيين.

٥ - آية الظهار [المجادلة: ٣-٤] نزلت في أوس بن الصامت.

٦ - ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] نزلت في بني قريظة وبني النضير.

٧ - ﴿قَوْلَ ثر إِنَّ هَٰذَا﴾ [الأنفال: ١٦] نزلت في بدر.

٨ - ﴿ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ سَمِعَ﴾ [المائدة: ١٠٦] نزلت في قضية تميم الداري وعدي بن بداء.

- وقد قال البعض بأنه يقصر على سببه.

قال ابن تيمية ج١٦ ص ١٤٨: «فمرادهم على النوع الذي هو سببه،

لم يريدوا بذلك أنه يقتصر على شخص واحد من ذلك النوع» .

وقال (ج١٣ ص٣٣٩) : «وإنما غاية ما يقال أنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ» .

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ

❑ لا يكون ذلك ألبتة إلا بدليل.

١ - قال تعالى: ﴿ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الأحزاب: ٥٠].

٢ - وقال ﷺ: «تجزئ عنك ولا تجزئ عن أحدٍ بعدك». [رواه البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب].

٣ - وقد قيل من أمثلتها قوله تعالى: أَنزَلۡنَٰهُ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ وَقُرۡءَانًا﴾ [النور: ٢٣].

فقيل هؤلاء هن أزواج النبي ﷺ.

قلتُ:

أولًا: هذا القول بُني على أن قوله تعالى: ﴿ كُرۡهٞ لَّكُمۡ مَلَّمۡ هَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [النور: ٤].

يَعُمُّ، والأولى تخصُّ. وهذا ضعيف جدًّا.

والصواب:

أنهما سواء ولا تعارض بينهما ألبتة، ولكن الأولى ذكرت عقوبة اللَّه- عز وجل- وهي اللعنة في الدارين، والثانية ذكرت العقوبة التي تجري على أيدي المكلفين.

❁ ❁ ❁

المبحث السادس

معنى قول الصحابي هذه الآية نزلت في كذا

❏ إذا قال الصحابي هذه الآية نزلت في كذا، فإنه يراد:

١ - إما سبب النزول الحقيقي.

٢ - وإما أن الشيء المشار إليه داخل في الآية وإن لم يكن هو سبب النزول.

- فإن عُلِمَ ما سبق:

١ - فُضَّ الاشتباك في اختلاف الصحابة في سبب نزول بعض الآيات.

٢ - أن البعض أراد السبب الحقيقي، والبعض السبب الحكمي لأن لفظ الآية يتناولها.

- مع التنبيه على:

١ - إذا قال الصحابي أول سورة نزلت بالمدينة البقرة، لا يقصدون أن جميعها نزلت في أول العهد المدني.

* والذي يوضحه: أن آية الربا [سورة البقرة: ٢٧٥] نزلت متأخرة.

* والذي يؤكده: أن قوله تعالى: ﴿ كُرْهٌ لَّكُمْ مَا نُزِّلَ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨١]. من آخر ما نزل.

* والذي يثبت صحة المعلومة: أن قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا﴾ [البقرة: ١٩٦]. نزل عام الحديبية، وهذا في السنة السادسة.

وكذلك سورة الحشر نزلت قبل الحديبية لأنها تضمنت قصة بني النضير .

❊ ويوضحه : أن سورتي الأنعام ويس نزلتا قبل آية الكرسي بالاتفاق .

❁ ❁ ❁

المبحث السابع

طرق فض الاختلاف في أسباب النزول

الطريقة الأولى:

أن أحد الصحابة يقصد سبب النزول الحقيقي[١]، والآخر يقصد أن السبب يتناول الآية أو السورة[٢].

الطريقة الثانية:

أن يذكر عدة أسباب للآية الواحدة أو السورة، فيحكى كلٌّ واحدٍ سببًا، وحقيقة أمرها أن الآية أو السورة نزلت بعد مجموع الأسباب، كقصة العجلاني وهلال بن أمية.

الطريقة الثالثة:

أن يذكر للآية أو السورة سببين، فيحكى على أنه خلاف والحقيقة أن الآية أو السورة نزلت مرتين، لكل سبب على حدة، ومثال ذلك:

أولًا: سورة الإخلاص:

١ - لو نظر إلى سؤال المشركين فهي مكية.

٢ - ولو نظر إلى سؤال أهل الكتاب فهي مدنية.

ولا مانع من تكرار النزول لتكرار السؤال من صنفين مختلفين.

ثانيًا: ثلاث آيات من آخر سورة النحل.

---

(١) النزول الحقيقي من قبيل المسند.

(٢) النزول الحكمي من قبيل التفسير.

المبحث الثامن

فوائد معرفة أسباب النزول

١ - أن اللَّه- عز وجل- يحب من عبده أن يعرف سبب نزول كلّ سورة؛ بل كل آية.

وذلك لأن سبب النزول يعين على معرفة مراد اللَّه، والعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

قال الحسن البصري: «ما أنزل اللَّه آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما أنزلت، وماذا عني بها».

وقال ابن مسعود: «والذي لا إله غيره: ما نزلت آية من كتاب اللَّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب اللَّه مني تناله المطايا لأتيته» البخاري، باب القراءة من أصحاب النبي ﷺ.

٢ - ومثال ذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

فما المراد من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾؟

هل المراد إثبات حكم السعي، أم المراد شيء آخر؟

قلتُ:

أولًا: هذا الحرف لا تعلق له بإثبات مشروعية الطواف بين الصفا والمروة، لأن هذا الحكم قد ثبت قبلُ حيث قال تعالى: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

ثانيًا: أن الصحابة كانوا يرون الطواف بين الصفا والمروة من أمور الجاهلية، فأراد اللَّه- عز وجل- أن يرفع الحرج.

روى البخاري عن عاصم بن سليمان قال: سألتُ أنس بن مالك- رضي اللَّه عنه- عن الصفا والمروة: قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾إلى قوله: ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

٣ - ومن الفوائد؛ إثبات الحق، وإبطال الباطل.

* قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

* ومن أعظم الأمثلة في هذه الفائدة حادثةُ الإفك، فإنها بينتِ الأفاكين، وأثبتت طهارة فراش النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

المبحث التاسع

المكي والمدني

١ - المكي هو ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وعليه:

فقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٦].

من السور المدنية وإن نزلت في مكة.

* وهذا التعريف للمكي والمدني أسلم تعريف، لأن:

أولًا: به يمكن معرفة المتقدم من المتأخر، فيميز الناسخ من المنسوخ.

ثانيًا: به تعرف تسلسل الأحداث في فترة الرسالة، وهذا من أعظم وسائل التفقه في الدين.

٢ - كيف نتعرف على المكي والمدني؟

* بالنص، فإن لم يوجد.

* فبالنظر إلى الجو العام لمضمون السورة.

* وهذا لا يمنع أن يحكم على سورة بأنها مكية أو مدنية، وبعض آياتها مدنية أو مكية، ولابد لذلك من أمارات.

* فمثلًا:

سورة الحديد مدنية وذلك لأن اللَّه ذكر فيها صنفين لم يوجدا إلا في

المدينة؛ وهما المنافقون وأهل الكتاب.

* ومثلًا:

سورة البقرة مدنية، لأن فيها تحريم الربا، وفيها ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وفيها ذكر المنافقين وأهل الكتاب.

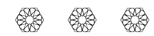
* ومثلًا:

سورة الحج فيها المكي والمدني.

٣ - وكما ترى أن الاهتمام المكاني له هذه الأهمية القصوى، فكذلك يجب الاهتمام بالأمر الزماني؛ من الليل والنهار، والشتاء والصيف، وكذلك يجب الاهتمام بالأمر الحالي؛ من سفر وحضر.

قال ابن تيمية (ج١٥ ص ٢٦٦) من مجموع الفتاوى:

«سورة الحج فيها مكي ومدني، وليلي ونهاري، وسفري وحضري، وشتائي وصيفي.».



المبحث العاشر

الأسلوب والموضوع في المكي والمدني

- مقارنة بين الأسلوب المكي والمدني :

١ - يغلب على الأسلوب المكي القوة ، وشدة الخطاب ، وذلك لأن مشركي مكة كانوا مستكبرين معرضين .

* ويغلب على الأسلوب المدني اللين وسهولة الخطاب ، وذلك لأن المخاطبين مقبلون على اللَّه .

٢ - يغلب على الأسلوب المكي قصر الآيات ، ولكن مع قوة الحجة .

* ويغلب على الأسلوب المدني طول الآيات .

٣ - لفظ « كلا » لم توجد إلا في السور المكية فقط ، ولا توجد في المدني .

- مقارنة بين الموضوع المكي والمدني :

١ - يغلب على الموضوع المكي تقرير العقيدة الصحيحة من توحيد الألوهية والإيمان باليوم الآخر .

* يغلب على الموضوع المدني تقرير العبادات والمعاملات .

* وكذلك يغلب عليه ذكر الجهاد وأحكامه ، وذكر المنافقين وخطرهم .

قال ابن تيمية (ج١٥ ص ١٥٩-١٦٠) من مجموع الفتاوى :

« فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية .

فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع ، كعامة ما في السور المكية ، فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل اللَّه إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة ، وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة ، كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب اللَّه ورسله ، ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل اللَّه بها الدين ؛ كالقبلة والحج والصيام والاعتكاف والجهاد وأحكام المناكح ونحوها ، وأحكام الأموال بالعدل كالبيع ، والإحسان كالصدقة ، والظلم كالربا وغير ذلك مما هو من تمام الدين .

ولهذا كان الخطاب في السور المكية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لعموم الدعوة إلى الأصول ؛ إذ لا يدعى إلى الفرع من لا يقر بالأصل ، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وعَزَّ بها أهل الإيمان ، وكان بها أهل الكتاب خوطب هؤلاء وهؤلاء ؛ فهؤلاء : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ، وهؤلاء ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أو ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ، ولم ينزل بمكة شيء من هذا ، ولكن في السور المدنية خطاب : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ كما في سورة النساء وسورة الحج وهما مدنيتان ، وكذا في البقرة» .

❁ ❁ ❁

الأصل التاسع

استمداد علم التفسير وما يتعلق به

وفيه خمسة مباحث:

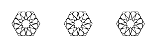
المبحث الأول: استمداد علم التفسير.

المبحث الثاني: أحسن طرق التفسير.

المبحث الثالث: السنة منزلة من عند اللَّه، عز وجل.

المبحث الرابع: وجوب اتباع النبي ﷺ.

المبحث الخامس: لم يؤثر النبيُّ ﷺ أحدًا بعلم دون آخر.



المبحث الأول

استمداد علم التفسير

❑ القرآن بعضه يفسر بعضًا.

أولًا: لقد قام النبيُّ ﷺ ببيان ما أنزل إليه، على أكمل وجه، وأتم تفهيم.

١ - قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

٢ - وقال ﷺ: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك». [رواه أحمد من حديث العرباض بن سارية].

٣ - وقال ﷺ: «ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم». [رواه الطبراني في الكبير عن أبي ذر].

٤ - وقال أبو ذر: «لقد تُوفي رسول اللَّه ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علمًا». [رواه أحمد والبزار].

* فإن علمت ما سبق:

١ - فلا استمداد لتفسير القرآن إلا من فيِّ النبي ﷺ.

٢ - أن النبي ﷺ بلغ القرآن لفظًا ومعنى.

ورحم اللَّه الشافعي حيث قال: «كل ما حكم به رسول اللَّه ﷺ فهو مما فهمه من القرآن».

قلت: وفهمه ﷺ لا يخطئ.

٣ - إذن: المقصود من تعلم القرآن تعلم حروفه ومعانيها.

ثانيًا: سمع الصحابة من في النبي ﷺ القرآن لفظًا ومعنًى؛ لذلك:

١ - كان الخلاف بين الصحابة نادرًا، كما سيأتي، إن شاء اللَّه.

٢ - وأن عامة هذا الخلاف نوعي، لا تضاد فيه كما سيأتي، إن شاء اللَّه.

والذي يبين ما سبق:

١ - قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

[رواه البخاري عن عثمان بن عفان].

ووجه الاستدلال:

أن النبي ﷺ أمرهم بتعلم القرآن، بل وأمر بتعليمه لمن بعدهم، وهذا يتضمن اللفظ والمعنى.

وقد فهمنا الأمر من هذا النص فردًا، ومن غيره من النصوص.

٢ - قال أبو عبد الرحمن السلمي: «لقد حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد اللَّه بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا».

٣ - وعبد اللَّه بن عمر تعلم البقرة في ثمان سنين.

ثالثًا: سمع التابعون من الصحابة القرآن لفظًا ومعنًى، ولكن:

١ - كان الخلاف بينهم أكثر من الخلاف الذي وقع بين الصحابة.

٢ - بل كثر خلاف التضاد. ولا غرو!

والذي يبين ذلك :

١ - قال مجاهد : «عرضتُ المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره مرات، أقف عند كل آية وأسأله عنها» .

٢ - وقال الحسن البصري : «ما أنزل اللَّه آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما أنزلت وماذا عني بها» .

- ثم كثر الخلاف ، ولكن لم يتمكن أحدٌ من تغيير لفظه ، ولكن غيروا معناه ، وأهل الأثر لهم بالمرصاد ، فالقرآن محفوظٌ لفظًا ومعنًى . ولو كره المبطلون .

- فلما طال الأمد أصبح ما كان ظاهرًا خفيًّا ، وما كان جليًّا دقيقًا .

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

أحسن طرق التفسير

❑ يفهم ذلك من استمداد هذا العلم . لذلك :

أولًا : يفسر القرآن بالقرآن :

١ - فما جاء مجملًا في موضع ، فسر في موضع آخر .

٢ - وما جاء مختصرًا في موضع ، بُسط في آخر .

فإن أعياك ذلك ؛ لا لعدم وجوده في القرآن ، بل لقصورٍ في الأفهام فعليك بالسنة .

ثانيًا : يفسر الكتاب بالسنة :

فإن السنة تشرح الكتاب وتوضحه ، لذلك قال الشافعي : « كل ما حكم به رسول اللَّه ﷺ فهو مما فهمه من القرآن » .

والذي يؤكد ما سبق :

١ - قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء : ١٠٥] .

٢ - وقال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٤٤] .

٣ - وقال ﷺ : « أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » يعني السنة .

[رواه أحمد عن المقدام بن معد يكرب] .

- قال ابن تيمية (ج١٣ ص ٢٨) مجموع الفتاوى:

«وكان من أعظم ما أنعم اللَّه به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحدٍ قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، . . .».

- وقال (ج٣ ص ٢٩) مجموع الفتاوى: «ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها، أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها، فإن سنة رسول اللَّه ﷺ تبين القرآن، وتدلّ عليه، وتعبر عنه.

وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخًا لها، فالنسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل. وإن كان ذلك لمعنى لم يرد بها. وإن كان لا يدل عليه ظاهر الآية. بل قد لا يفهم منها، وقد فهمه منها قوم فيسمون ما رفع ذلك الإيهام والإفهام نسخًا، وهذه التسمية لا تؤخذ عن كلّ واحدٍ منهم».

- مع التنبيه والتأكيد:

بأن خبر الواحد هو الركن الآكد في تفسير آيات الكتاب الحكيم.

لذلك أقول:

* خبر الآحاد؛ هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه بغير شذوذٍ ولا علة.

١ - فكل خبر توفرت فيه هذه الشروط الخمسة أفاد العلم[١].

---

(١) تفصيل هذه المسألة في: «التأسيس»، وفي: «المقدمة لأصول الفهم»، وفي: «هذا عهد نبينا ﷺ».

٢ - وأخص بالذكر :

أولًا : عامة ما رواه البخاري ومسلم أو أحدهما .

ثانيًا : ما تلقته الأمة بالقبول .

قال ابن تيمية (ج١٣ ص ٣٥١) من مجموع الفتاوى :

«ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقًا له أو عملًا به ، أنه يوجب العلم ، وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه ؛ من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ؛ إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام ؛ أنكروا ذلك ، ولكن كثيرًا من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء ، وأهل الحديث ، والسلف على ذلك . . . » .

٣ - وما كان على غير هذين الوصفين ، فقد أجمعت الأمة على وجوب العمل به . وقد بينت في غير هذه الرقعة أن لازم ذلك إفادة خبر الواحد للعلم .

٤ - خبر الآحاد يتعامل مع القرآن :

أولًا : يخصص عمومه . ثانيًا : ويقيد مطلقه .

ثالثًا : ويبين مجمله . رابعًا : ويفك مشتركه .

خامسًا : ويصرف ظاهره . سادسًا : وينسخ أحكامه دون ألفاظه .

سابعًا : ويزيد عليه . ثامنًا : ويستقل دونه .

وغير ذلك مما لا يحضرني الآن .

٥- خبر الآحاد يتعامل مع القرآن في جميع الأحكام العلمية والعملية

من غير فرق .

* فإن أعياك ذلك ؛ لا لعدم وجوده في السنة ، بل لقصورٍ في الأفهام ، فعليك بأقوال الصحابة الكرام .

ثالثًا : التفسير بأقوال الصحابة :

١ - لأنهم شاهدوا التنزيل .

٢ - لأنهم سمعوا التأويل .

٣ - لهم خصائص لم يشارَكوا فيها ؛ ومنها :

الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح .

والذي يؤكد ما سبق :

١ - عن مسروق قال : قال ابن مسعود : «والذي لا إله غيره ! ما نزلت آية من كتاب اللَّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب اللَّه مني تناله المطايا لأتيته» . [أصله في البخاري] .

٢ - وعن ابن مسعود ؛ قال : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» . [رواه الطبري في تفسيره] .

٣ - وقال ﷺ لابن عباس : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

[رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس] .

ومعلوم أن ابن مسعود مات سنة (٣٣) هـ على الصحيح .

وابن عباس مات سنة (٦٩) هـ على الصحيح .

فانظر كم من العلوم والمعرفة استفادها ابن عباس بعد ابن مسعود .

٤ - قال ابن عباس- رضي اللَّه عنهما- التفسير على أربعة أوجه :

الأول : تفسير تعرفه العرب من كلامها .

الثاني : تفسير لا يعذر أحدٌ بجهالته .

الثالث : تفسير يعلمه العلماء .

الرابع : تفسير لا يعلمه إلا اللَّه ، فمن ادعى علمه فهو كاذب .

فإن أعياك ما سبق فعليك : بأقوال التابعين .

رابعًا : التفسير بأقوال التابعين .

* ومنهم مجاهد وهو رأس التفسير ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، والضحاك بن مزاحم .

* وتوجد جمهرة من أقوالهم تباينت فيها العبارات ، وظن من لا خبرة له أنها من باب التضاد ، فحكاها أقوالًا . والصواب أنها على نسق التنوع الذي حدث في اختلاف الصحابة .

* وقطعًا الخلاف بينهم أكثر ، والحجة ما وافق الكتاب والسنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة .

تنبيه : كثير من الناس يحكى أقوالًا ومرجعها إلى قولٍ أو قولين ، فهذا تضييع للزمان ، وتكثر بما ليس بصحيح . فلا تكن كلابس ثوبي زور

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

السنة منزلة من عند اللَّه عز وجل

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣].

ففي هذا النص القرآني، أن اللَّه- عز وجل- أنزل على النبي ﷺ شيئين:

الأول: الكتاب.

الثاني: السنة.

وذلك أن حرف العطف يفيد المغايرة، والكتاب معروف، إذن ما الحكمة؟ قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

فهذه الآية بينت أن المتلو نوعان:

الأول: آيات اللَّه. (وهي الوحي المتلو).

الثاني: الحكمة (وهي الوحي المروي).

وتصديق ذلك في قوله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

[سنن أبي داود عن المقدام].

وفي رواية «ألا وإنه مثل الكتاب».

وعليه: فإن المثل هو الحكمة، وهو السنة.

قال ابن تيمية : (ج١ ص٦) مجموع الفتاوى :

«وقد قال غير واحد من العلماء ؛ منهم : يحيي بن أبي كثير ، وقتادة ، والشافعي ، وغيرهم : الحكمة هي : السنة ؛ لأن اللَّه أمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة ؛ والكتاب : القرآن ، وما سوى ذلك مما كان الرسول يتلوه هو السنة»أ.هـ.

* وقد أشار الشافعي - رحمه اللَّه- إلى هذا المعنى ؛ فقال : «وما سن رسول اللَّه ﷺ فيما ليس للَّه فيه حكم ، فبحكم اللَّه سنه ، وكذلك أخبرنا اللَّه- عز وجل- : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾

[الشورى : ٥٢، ٥٣] .

* وقال حسان بن عطية المحاربي : «إن السنة نزلت على النبي ﷺ كما نزل القرآن» .

* والذي يؤكد ما سبق :

ما رواه أحمد عن أبي أمامة- رضي اللَّه عنه- قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين- أو مثل أحد الحيين- ربيعة ومضر» فقال رجل : يا رسول اللَّه وما ربيعة من مضر؟ فقال ﷺ : «إنما أَقُول ما أُقَوَّل» .

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

وجوب اتباع النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فهذا نص قرآني يتضمن وجوب طاعة الرسول ﷺ استقلالًا وذلك في كل أمر يمس الدين.

قال ﷺ: «إِذَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُم فَأَنْتُم أَعْلَمُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ». أخرجه أحمد ومسلم عن أنس.

فله ﷺ حق التشريع المتضمن للتحليل والتحريم.

فحرم ﷺ لحوم الحمر الأهلية، ونهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، ونهى أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، ونهى عن المحاقلة، والمخابرة، والمزابنة، والمنابذة، فإن كان ﷺ له حق التشريع استقلالًا فمن باب أولى أن يبين مراد اللّه- عز وجل- وذلك بتفسير مجمل الكتاب، وتخصيص عمومه، وتقييد مطلقه.

ولا رد للنزاع إلا إلى اللّه- عز وجل- ونبيه ﷺ، فإننا أمة منزوعة الاختيار بعد قضاء اللّه ورسوله.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وسواء أكان النزاع في الأحكام العملية، كالطهارة والصلاة والصيام والحج وغير ذلك، أم في الأحكام العلمية كتوحيد الأسماء والصفات، قال ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ».

[رواه البخاري عن أبي هريرة].

وقال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

[رواه البخاري عن أبي هريرة].

- فإذا تبين ما سبق:

عُلم أن الدين بُني على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع.

*** فالإسلام بُني على أصلين:**

الأول: أن نعبد اللَّه وحده لا شريك له، فلا صلاة إلا للَّه، ولا صوم إلا للَّه، ولا حج إلا للَّه، ولا زكاة إلا للَّه، ولا خوف إلا من اللَّه، ولا توكل إلا على اللَّه، ولا رجاء إلا في اللَّه، ولا استعانة إلا باللَّه، ولا استغاثة إلا باللَّه، ولا خشية إلا من اللَّه.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

الثاني: أن نعبد اللَّه بما شرع اللَّه على لسان رسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

إذا علمت ما سبق:

تبين أنه لا سعادة للعباد، ولا نجاة في المعاد، إلا باتباع رسول اللَّه ﷺ، فطاعته طاعة اللَّه- عز وجل- فهي قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور، فبه ﷺ تبين الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال، والغي من الرشاد، والزيغ من السداد، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقون من الفجار، وإيثار سبيل من أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، من سبيل المغضوب عليهم والضالين...

بُعث ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما أمر به فمصلحته راجحة، وما نهى عنه فمفسدته راجحة.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/٥):

«فحق على كل أحدٍ بذل جهده واستطاعته في معرفة ما جاء به وطاعته، إذ هذا طريق النجاة من العذاب الأليم، والسعادة في دار النعيم، والطريق إلى ذلك الرواية والنقل، إذ لا يكفي من ذلك مجرد العقل، بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور قدامه، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة». اهـ.

- فكيف إذن نحيد عن الاتباع؟!!

واللَّه عز وجل يقول: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

كيف نحيد عن الاتباع؟! واللَّه- عز وجل- يقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـالِمُ

عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

كيف نحيد عن الاتباع؟! والله- عز وجل- يقول: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٠-٣٣].

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

لم يُؤثر النبيُّ ﷺ أحدًا بعلم دون آخر

- لم يخص النبيُّ ﷺ أحدًا من الصحابة بعلم معين.

* والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ - ما رواه الشيخان أنّ أبا جُحَيْفَةَ قال: سألتُ عليًّا- رضي اللَّه عنه- هَل عِنْدَكُم شَيْءٌ مِن الوحي مِمَّا لَيْسَ فِي القُرْآنِ؟ - وَقَالَ مَرَّةً: مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ - فَقَالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي القُرْآنِ إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قُلتُ: وَمَا فِي هذه الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ، وَفِكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ.

* وفي لفظ: هل عهد إليكم رسول اللَّه ﷺ شيئًا لم يعهده إلى الناس؟

٢- ما رواه مسلم عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: قُلنَا لِعَمَّارٍ: أَرَأَيْتَ صَنِيعَكُم هذا - فيما كان من قتال علي - أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ، فَإِنَّ الرَّأْيَ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، أَوْ عَهْدًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ...». [رواه أحمد].

وقد أورد بعض الناس الشبهات حول هذا الأصل العظيم، ومنها:

١ - قالوا: إن النبي ﷺ اختص أبا بكر، والدليل على ذلك: ما ورد عن عمر؛ أنه قال: «كان النبي ﷺ وأبو بكر إذا تخاطبا كنت كالزنجي

بينهما». ذكر هذا الأثر ابن تيمية (ج١ ص ٣٣٩).

وهذا الأثر كذب باتفاق أهل العلم.

٢ - عن أبي هريرة- رضي اللَّه عنه- قال: حفظت عن رسول اللَّه ﷺ جرابين: أما أحدهما فبثته فيكم، وأما الآخر فلو بثته لقطعتم هذا الحلقوم.

قلت:

* الجراب الثاني كان فيه أحاديث الفتنة التي تكون بين المسلمين بعضهم البعض، وقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك، ولكن كان أبو هريرة عاكفًا على السماع من النبي ﷺ.

ويبين ذلك أنه لما قتل عثمان- رضي اللَّه عنه- ووقعت فتنة ابن الزبير قال ابن عمر: لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتهدمون البيت وغير ذلك لقلتم: كذب أبو هريرة.

٣ - قالوا: إن النبي ﷺ خص حذيفة ببعض العلم، والدليل على ذلك أنه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره.

* قلت:

* السر هو معرفته- رضي اللَّه عنه- بأعيان المنافقين الذين كانوا في غزوة تبوك، وسبق حديث مسلم عن قيس بن عباد.

ويبين ذلك أن عمر- رضي اللَّه عنه- كان لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة، وذلك لأن الصلاة على المنافقين منهي عنها.

- وإثبات هذا الأصل لا يحتاج إلى كثير كلامٍ.

* قال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾

[المائدة : ٣] .

* قال ﷺ : «لَقَدْ تَرَكْتُكُم عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ» .

* فمن زعم أن النبي ﷺ آثر بعض الصحابة بشيءٍ من أمر الدين ، فقد زعم أن الدين غير كامل ، وأن النبي ﷺ لم يبلغ رسالة ربه سبحانه وتعالى .

❁ ❁ ❁

الأصل العاشر

أعلم الناس بالتفسير

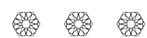
وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أعلم الناس بالتفسير .

المبحث الثاني : أعلم الناس بالمغازي .

المبحث الثالث : المراسيل .

المبحث الرابع : المنقول عن أهل الكتاب ، «الإسرائيليات» .



المبحث الأول

أعلم الناس بالتفسير

١ - هم صحابة رسول اللَّه ﷺ، لأنهم:

أولًا: سمعوا لفظ القرآن من النبي ﷺ.

ثانيًا: سمعوا معنى كل آية من النبي ﷺ.

ثالثًا: شهدوا التنزيل.

رابعًا: أصفى الناس قلوبًا.

خامسًا: أحدُّ الناس ذهنًا.

سادسًا: أصدق الناس لسانًا.

٢ - وأعلم الصحابة هم على الترتيب:

أولًا: الخلفاء الراشدون الأربعة؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان، علي، رضي اللَّه عنهم.

ثانيًا: ابن عباس لقوله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

[رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس].

وكان ابن عباس يقول: «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله».

وقد قال ابن مسعود: «ابن عباس ترجمان القرآن».

ثالثًا: ابن مسعود؛ قال: «والذي لا إله غيره! ما نزلت آية من

كتاب اللَّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب اللَّه مني تناوله المطايا لأتيته».

وقال أبو عبد الرحمن السلمى: لقد حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن؛ كعثمان بن عفان وعبد اللَّه بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا».

رابعًا: عبد اللَّه بن عمر، وجندب بن عبد اللَّه قالا: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا» [رواه البيهقي].

٣ - وأعلم التابعين هم على الترتيب:

أولًا: أهل مكة:

* أعلمهم مجاهد؛ فقد سمع القرآن كله آية آية من ابن عباس، ومن أجل هذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

وقد اعتمد على تفسيره الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهم.

* عطاء بن أبي رباح.

* عكرمة مولى ابن عباس.

* طاوس بن كيسان.

* سعيد بن جبير.

ثانيًا: أهل الكوفة:

* مسروق بن الأجدع الهمداني.

* علقمة بن قيس النخعي.

* الأسود بن يزيد النخعي وهو عم علقمة.

* عمرو بن شرحبيل الهمداني.

* عَبيدة السلماني.

ثالثًا: أهل المدينة:

* عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ وقد أخذ التفسير عن أبيه زيد، وكان هو وأبوه إمامين في التفسير.

وقد أخذ مالك وعبد اللَّه بن وهب عن عبد الرحمن.

* وسعيد بن المسيب.

* عروة بن الزبير.

* القاسم بن محمد.

* خارجة بن زيد.



المبحث الثاني

أعلم الناس بالمغازي

- أهل المدينة أعلم الناس بالمغازي؛ والسبب أن المغازي كانت عندهم.

- ثم أهل الشام؛ لأنهم أهل غزو وجهاد.

- وفائدة هذه المعلومة الآتي:

الأولى: تقديم كتب أهل البلدة فيما وقع فيها، لذلك يقدم كتاب أبي إسحاق الفزاري الذي صنفه في ذلك.

الثانية: تقديم علماء أهل البلد على غيرهم فيما وقع عندهم.

- ثم اعلم:

١ - أن حكم التفسير هو حكم المغازي والملاحم في ثبوت الأخبار فعامتها مراسيل؛ لذلك قال أحمد: «ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي».

٢ - ومن أشهر المراسيل؛ مراسيل عروة بن الزبير، والشعبي، والزهري، وموسى بن عقبة، ثم: يحيي بن سعيد، والوليد بن مسلم، والواقدي.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

المراسيل

- كما هو معلوم :

١ - أن كثيرًا من الأخبار في علم التفسير من المراسيل، والمراد مراسيل التابعين .

٢ - أن الخبر الذي ورد على صورة المرسل :

إما أنه صدق .

وإما أنه كذب ناتج العمد أو كذب ناتج الخطأ .

٣ - فإن خلا المرسل من الكذب بنوعيه، تعين أن الخبر صدق .

٤ - ما بقي إلا النظر في :

كيف نتحقق من عدم الكذب بنوعيه .

قلتُ :

أولًا : إذا تعددت طرق الخبر .

ثانيًا : انتفاء التواطؤ .

ثالثًا : انتفاء الاتفاق بغير قصد .

فإن توفرت هذه الشروط تعين صدق المرسل، لاسيما إن كان الخبر المرسلُ طويلًا .

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

المنقول عن أهل الكتاب

- المنقول عن أهل الكتاب نوعان :

الأول : عُلِمَ بطلانُه ، وذلك بدلالة الكتاب والسنة .

الثاني : لم يُعلَم بطلانُه ، وهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه .

قال ﷺ : «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه» .

[رواه أحمد وأبو داود] .

- ثم اعلم :

١ - أن نقل الصحابة عن أهل الكتاب نادر جدًّا ، وإن نقلوا ذكروا .

٢ - لذلك إن جزم الصحابي بقولٍ ، ولم ينسبه إلى النبي ﷺ ؛ أو إلى أهل الكتاب ، تعين صحة نسبته إلى النبي ﷺ ، لأن الصحابة نهوا عن تصديق أهل الكتاب .

❁ ❁ ❁

الأصل الحادي عشر

الاختلاف في التفسير

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : اختلاف الصحابة في التفسير .

المبحث الثاني : سبب الاختلاف في التفسير .

المبحث الثالث : عموم ما يحتاج إليه الناس لا اختلاف فيه .

المبحث الرابع : نشأة التحريف في التفسير .

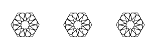
المبحث الخامس : تفسير القرآن بالرأي .

المبحث السادس : العقل ومكانته في التشريع .

المبحث السابع : حكاية الخلاف .

المبحث الثامن : الطريقة التي يعرف بها بطلان التفاسير الباطلة .

المبحث التاسع : وجوب اتباع الراجح بدليل .



المبحث الأول

اختلاف الصحابة في التفسير

- الاختلاف كما سبق نادرٌ بين الصحابة.

* وأكثر هذا النادر هو خلاف تنوع لا خلاف تضاد.

* والذي يوضح ما سبق الآتي:

١ - أن الاختلاف يكون في العبارة لا في المسمى، وإن دلت كلُّ عبارة عن معنى لا تدل عليه الأخرى. ويكون كلاهما حقًّا، وهذا كثير جدًّا.

ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

قال بعض الصحابة: هو الإسلام.

وقال آخرون: هو القرآن.

وقال آخرون: هو طريق العبودية.

وقال آخرون: هو طاعة اللَّه ورسوله.

وقال آخرون: هو السنة والجماعة.

فلو أنعمت النظر:

لوجدت أن كل صفة من الصفات السابقة موجودة في الصراط المستقيم، وكل واحدة منها تدل على غير ما تدل عليه الأخرى ولا غرو!

فإن اللَّه هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن.
وإن رسول اللَّه ﷺ هو أحمد ومحمد والحاشر والماحي والعاقب.
وإن القرآن هو الكتاب والفرقان، والمصحف، والعهد.

٢ - أن يذكر بعض الصحابة بعض تفسير الآية، ويذكر البعض الآخر بعض تفسير الآية.

فيكون كل قولٍ من الحق، ومجموعها أدل على الحق من آحادها، ومن أمثلة ذلك «الظالم لنفسه».

فالقول الجامع: هو ترك بعض المأمور، وفعل بعض المحظور.
فمن الصحابة من قال هو المؤخر للصلاة عن وقتها.
ومنهم القائل هو الذي لا يؤدي زكاة ماله.
ومنهم القائل هو الذي لا يصل رحمه.
ومنهم القائل هو الصائم عن الطعام لا عن الآثام.

٣ - نزول الآية لسببين؛ فيذكر بعض الصحابة سببًا ويذكر الآخرون السبب الآخر.

فهذا لا يعد اختلافًا إذا كان اللفظ يتناولهما.
وعلى هذا التعليل قد يكون قول الصاحب: نزلت في كذا يراد بـ:
أولًا: سبب النزول.
ثانيًا: أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب.
وهذا لا يعد اختلافًا باعتبار أنها نزلت بعد السببين.
وهذا لا يعد اختلافًا باعتبار أنها نزلت مرتين.

٤ - احتمال اللفظ لأمرين :

كالألفاظ المشتركة مثل : قسورة فإنها تصدق على الرامي وعلى الأسد . وعسعس تصدق على إقبال النهار وإدباره .

أو كالألفاظ المتواطئة ؛ فقد يراد بها :

أولًا : أحد النوعين .

ثانيًا : أحد الشيئين .

ومثال ذلك : الضمائر .

قال تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم :٨-٩] .

٥ - التعبير بألفاظ متقاربة لا مترادفة .

* والمراد بالمترادفة المطابقة ، وليس المراد تعدد الأسماء على الذات الواحدة .

* فقد يقرب الصحابي المعنى ولا يحققه ، لأن التحقيق في القرآن نادر أو معدوم . وفي اللغة قليل .

ومن أمثلة ذلك :

أولًا : تفسير الريب بالشك فهذا تقريب ، فإن الريب ضد اليقين ، واليقين هو السكون والطمأنينة ، فتعين أن الريب هو الحركة والاضطراب ، وليس هذا هو الشك ، فإن مبنى الشك لا يدل على هذا المعنى .

ثانيًا : المور قيل هو الحركة ، فهذا تقريب لا تحقيق ، لأن المور هو الحركة السريعة الخفية .

ثالثًا : الوحي قيل هو الإعلام ، فهذا تقريب لا تحقيق ، لأن الوحي هو

الإعلام الخفي السريع .

رابعًا : الكتاب قيل هو القرآن ، فهذا تقريب لا تحقيق ، فالفرق بين المكتوب والمقروء ثابت .

خامسًا : أن تبسل ؛ قيل تحبس ، وقيل ترتهن ، فإن المحبوس قد يكون مرتهنًا وقد لا يكون .

- فإن قيل :

كيف يحصل خلاف التضاد ، وإن قل ، من الصحابة مع أنهم سمعوا من النبي ﷺ ؟

قلتُ :

أولًا : القول الحق لابد أن يكون عند بعضهم .

ثانيًا : لم يثبت الشارع العصمة لآحادهم ، بل أثبتها لمجموعهم .

ثالثًا : أن الخطأ قد يقع في التحمل أو في الأداء .

رابعًا : والخلاف يكون لسبب من الأسباب الآتية :

١ - قد يكون لخفاء الدليل .

٢ - وقد يكون لذهول المستدل عن الدليل .

٣ - وقد يكون لعدم سماعه الدليل .

٤ - وقد يكون للغلط في فهم الدليل .

٥ - وقد يكون لاعتقاد معارض راجح .

خامسًا : ما سبق يقع في المسائل الخفية ، لا المسائل الجلية ، فإن هذا النوع لم يقع من الصحابة ، والمجتهد له نصيب وإن أخطأ .

المبحث الثاني

سبب الاختلاف في التفسير

- يرجع سببُ الاختلاف في التفسير إلى :

١ - الدليل .

٢ - المدلول .

٣ - أو الدليل والمدلول معًا .

- وعليه :

١ - فمرجع الصواب والخطأ في التفسير إلى صحة الدليل من ضعفه ، وإلى صحة الاستدلال من ضعفه .

٢ - فمتى كان النقل مصدقًا ، والنظر محققًا كان التفسير صوابًا .

٣ - ومتى طعن في النقل أو في الاستدلال كان التفسير خطأ .

- ولما كان الصحابة أهل السند والمتن كان الخلاف بينهم نادرًا .

❊ ولما بعد الزمان سقط الإسناد ، وضعف الاستدلال ، فاشتد الخلاف .

- وعليه :

١ - بالنسبة للنقل ؛ لابد وأن يكون صحيحًا ، فالمكذوب مرفوض لا يعتمد عليه ، والتحكمات العقلية الباطلة مرفوضة لا يعتمد عليها .

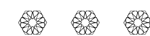
٢ - وبالنسبة للاستلال :

أولًا : ما دل عليه القرآن والسنة فهو المعنى المعتبر ، لأن دلالة اللفظ على المعنى سمعية .

وضابط ذلك ؛ أن اللفظ يكون مستعملًا في ذلك المعنى ، لا أن اللفظ يصلح لهذا المعنى .

ثانيًا : ما لم يدل عليه القرآن والسنة فهو معنى مرفوض ، وإن كان المعنى صحيحًا ، فليس كل معنى صحيح يفسر به اللفظ لمجرد المناسبة .

ثالثًا : المعنى الباطل مرفوض من باب أولى .



المبحث الثالث

عموم ما يحتاج إليه الناس لا اختلاف فيه

- كلُّ ما يحتاج إليه الناس لا خفاء فيه، بل هو متواتر عند العامة وعند الخاصة. وهذا هو المناسب لصفة الكمال لهذا الدين.

* ومن أمثلة ذلك:

١ - مسائل الاعتقاد.

٢ - مسائل السلوك والأخلاق.

٣ - عدد الصلوات وما يتعلق بها.

٤ - فرائض الزكاة وما يتعلق بها.

٥ - كيفية تعيين الهلال.

٦ - ومعرفة الطواف، والسعي، ورمي الجمار.

٧ - مسائل الفرائض؛ واختلاف الصحابة في مسألة الجد والإخوة ونحوها، لا يعكر التواتر السابق.

وغير ذلك الكثير.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

نشأة التحريف في التفسير

- الجهمية والرافضة هم الذين أسسوا علم التحريف في التفسير والحديث، وقد ذكرتُ طائفة من تفسيراتهم الباطلة في «فكرة عن بعض التفاسير».

- فلما فعلوا فعلتهم، فتحوا باب التحريف لكل باطني ملحد، وصوفي مبتدع فجاءوا بالعجائب.

* فالباطنية قد زعموا أن للقرآن باطنًا يخالف الظاهر المعلوم. وهذا منكرٌ من القول وزورٌ.

ومن أمثلة ذلك:

١ - الصلوات الخمس؛ بمعرفة أسرارنا.

٢ - صيام رمضان؛ كتمان أسرارنا.

٣ - الحج؛ هو الزيارة لشيوخنا.

* والصوفية؛ قد زعموا الإشارة، وتوسعوا فجاءوا بالعجائب، ولكن! الحق أحق أن يتبع، فإن التفسير بالإشارة فيه خيرٌ قليل وشرٌّ مستطير.

١ - فأما الخير وهو الصحيح منه يستخدم في باب الترغيب والترهيب، وباب فضائل الأعمال.

* ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى : ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة : ٧٩] .

فالظاهر من الآية ، أن المطهر فقط - وهم الملائكة - يمس اللوح المحفوظ .

والإشارة من الآية ؛ أن سليم القلب فقط يمس معاني القرآن .

وهذه الإشارة قد دَلّ عليها القرآن :

قال تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ١-٢] .

وقال تعالى : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٨] .

وقال تعالى : ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة : ١٦] .

* مثال آخر :

قال ﷺ : «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة» .

[رواه أحمد والشيخان عن أبي طلحة] .

فالظاهر من الحديث أن الكلب والصورة يمنعان الملائكة من دخول البيت .

والإشارة من الحديث ؛ أن الكبر والحسد يمنعان الإيمان من دخول القلب .

وكلٌّ بحسبه .

٢ - وأما الشر وهو الباطل منه ، فلا يلتفت إليه ، ولا يعتمد عليه ، ولا يحكى ، وهو كثير جدًّا . ولا تغتر بجودة العبارة ، ولا بكثرة القائلين به . فالعمدة ما قام عليه الدليل .

المبحث الخامس

تفسير القرآن بالرأي

- المراد بالرأي هنا هو الرأي المذموم، وهو المجرد عن الدليل من الكتاب والسنة وما كان في معناهما.

- والتفسير بهذا المعنى حرام. ذمَّه اللَّه- عز وجل- ورسوله ﷺ، وذمَّه الصحابة- رضوان اللَّه عليهم- وذمَّه التابعون- رحمهم اللَّه-.

- والذي يوضح ذلك:

١ - قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

٢ - قال ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار». [رواه الترمذي عن ابن عباس].

٣ - وقال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».

[رواه الترمذي عن جندب].

قلتُ:

أولًا: لأنه لم يأت الأمر من بابه.

ثانيًا: من حكم بين الناس على جهل فهو متوعد بالنار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر.

٤ - وقال أبو بكر الصديق- رضي اللَّه عنه-: «أي أرضٍ تقلني، وأي سماءٍ تظلني، إذا قلت في كتاب اللَّه ما لم أعلم». [رواه الطبري].

٥ - عن يزيد بن أبي يزيد؛ قال: «كنا نسأل سعيد بن المسيب عن

الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع».

- فتبين مما سبق:

١ - الكلام في القرآن بعلم مطلب شرعي.

قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٢ - الكلام في القرآن بغير علم حرام.

- ومن تدبر التفسير بالرأي خلص إلى أن مخالفة حكم اللَّه- عز وجل- ورسوله ﷺ جاءت من طريقين:

الأول: إما بالاعتماد على شرعٍ منسوخ.

الثاني: وإما بالاعتماد على شرعٍ مبدل.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

❁ ❁ ❁

المبحث السادس

العقل ومكانته في التشريع

- العقل آلة من آلات إزالة الجهل؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

* فكما ترى فإن العقل آلة كالبصر، وكالسمع.

* ومعلومٌ أن البصر لا يعمل حتى يظهر نورٌ قدامه.

* وكذلك العقل لا يعمل حتى يشرق أمامه نور الرسالة، فيتعامل مع نصوصها.

* ولذلك كان العقل شرطًا من شروط التكليف في الفاعل.

وعليه:

١ - فإن العقل يستخدم في استنباط الأحكام العلمية والعملية من النصوص، فهو مستنبِط من النصوص لا مؤسس لها.

٢ - وبهذا يتبين أن العقل المجرد عن النصوص ليس هو الطريق الذي أراده اللَّه سبحانه وتعالى.

٣ - أضف إلى هذا أنه لا يوجد نصٌّ من كتابٍ أو سنة يحيل إلى العقل المجرد عن النص، وما ورد من أحاديث فهي تتردد بين النكارة والوضع.

- ثم فساد ذلك معلوم:

لأن مدارك العقول متفاوتة بين الناس، فما رآه أحدهم حسنًا رآه

الآخر سيِّئًا. فلو كان حجة لبطل باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رأسًا، بل لتعددت عقائد الناس في اللَّه سبحانه، وليس عقل زيد أولى من عقل عمرو.

- ولقد ندم كثير ممن جعل عقله ندًّا للنص؛ قال فخر الدين الرازي:

نهاية إقدام العقول عقالُ   وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا   وحاصل دنيانا أذًى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[١]

❁ ❁ ❁

(١) من كتاب «أقسام اللذات» لفخر الدين الرازي.

المبحث السابع

حكاية الخلاف

- يجب على كل منصفٍ :

أولًا : أن يحكى في المسألة الخلافية جميع ما ذكر فيها من أقوال وهذا قطعًا :

١ - يحتاج إلى سعة اطلاعٍ .

٢ - مع تجنب حكاية الأقوال التي ترجع إلى قولٍ أو أكثر ، لأن هذا تكثُّر لا طائل من ورائه ، ومضيعة للوقت ، ومثل المتكثر على الوصف السابق كلابس ثوبي زور .

ثانيًا : التنبيه على الصحيح منها ، وإظهاره بالأدلة من الكتاب والسنة .

ثالثًا : التنبيه على الضعيف منها ، وبيان سبب ضعفه ، وهذه الجزئية لها فائدة عظيمة :

ألا وهي : أن كل طائفة تستدل بأدلة تبين فساد قول الطائفة المقابلة .

وبهذا يسهل على طالب الحق معرفته ، وهو ما وافق المنقول كتابًا وسنةً .

❁ ❁ ❁

المبحث الثامن

الطريقة التي يعرف بها بطلان التفاسير الباطلة

- اعلم- يرحمني اللَّه وإياك-:

١ - أن هذه الأمة لا تجتمع على خطأ، ولا باطلٍ قط، وذلك بالنص من الكتاب والسنة والإجماع.

* قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥].

* وقال ﷺ: «إن اللَّه قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة».

[رواه ابن أبي عاصم عن كعب بن عاصم الأشعري].

٢ - أن الأمة في كل علمٍ، هم أهل الاختصاص فيه:

* فإن اجتمع أهل الحديث على صحة حديث، فلا يكون إلا حقًّا.

* وإن اجتمع أهل الفقه على قولٍ، فلا يكون إلا صدقًا.

* وإن اجتمع أهل التفسير على قولٍ، فلا يكون إلا عدلًا.

٣ - ومعلومٌ:

أن الصحابة هم أعمدة التفسير وأركانه، ثم من بعدهم من التابعين، فإن اجتمعوا على قولٍ ما جاز مخالفتهم، ومخالفتهم علامة على بطلان قول من خالفهم، وإن اجتمعوا على قولين ما جاز إحداث قولٍ ثالث، لأن لازمه أنهم اجتمعوا على ترك الحق، واجتمعوا على إحقاق الباطل، فيستحيل أن يكون الحق في مسألة، وليس في الصحابة قائل به.

٤ - فإن تبين ما سبق:

عُلِمَ أن الخروج عليهم افتراء على اللَّه، وإلحاد في آياته، وتحريف للكلم عن مواضعه.

- وعليه:

فالمطلوب من المفسر الآتي:

أولًا: معرفة قول الصحابة في الآية.

ثانيًا: معرفة أن قول الصحابة هو الحق الذي لا يجوز خلافه.

ثالثًا: معرفة الأقوال الأخرى، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو المحدث المبتدع.

رابعًا: معرفة الأدلة المفصلة على فساد تفسيرهم.

خامسًا: الاستعانة بردود بعضهم على بعض.

۞ ۞ ۞

المبحث التاسع

وجوب اتباع الراجح بدليل

- يجب اعتماد الأقوال التي :

١ - علمت على وجه اليقين ، وهذا هو اعتقاد الرجحان .

٢ - أو علمت على وجه راجح ، وهذا هو رجحان الاعتقاد .

- والذي يؤكد ما سبق :

١ - قال تعالى : ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف : ١٤٥] .

٢ - وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر : ١٨] .

٣ - وقال تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر : ٥٥] .

فهذه النصوص توجب العمل بأرجح الدليلين المتعارضين .

٤ - وقال ﷺ : «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضى بنحو ما أسمع» . [رواه أحمد والشيخان] .

وهذا النص نصٌّ في :

١ - وجوب العمل بأرجح الدليلين .

٢ - أن المرجوح قد يكون هو الثابت في نفس الأمر .

❁ ❁ ❁

الأصل الثاني عشر

ضوابط علم التفسير
(الذات)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أجزاء كل ذات وتحديد رتبتها .

المبحث الثاني : كيف تصف الذات .

المبحث الثالث : الوجودات الأربعة .



المبحث الأول

أجزاء كل ذات وتحديد رتبة كل منه

- كل ذاتٍ مركبة من أجزاء:

وهذه الأجزاء ثلاثة:

الأول: جزء رتبته الركنية.

الثاني: جزء رتبته الواجب.

الثالث: جزء رتبته المستحب.

- ولا شك أن تأثير كل من هذه الأجزاء في الذات يختلف عن الآخر.

* بمعنى أن الذات قد تنعدم بزوال جزءٍ معين، وقد تنقص بزوال آخر نقصانًا يهز عرش الذات. وقد تنقص دون ذلك بزوال جزءٍ آخر.

- وعليه: يجب أولًا التمييز بين هذه الأجزاء بتعيين ما هو ركن وما هو واجب، وما هو مستحب.

أولًا: الركن:

* يمكن تحديد ركنية الجزء بإحدى الطرق الثلاثة الآتية:

الأولى: أن يطلق الشارع اسم الكل على جزءٍ معين من الذات.

ومثالها:

١ - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* فهنا أطلق الكل وهو الإيمان، على الجزء وهو الصلاة، فدلّ ذلك

على أن الصلاة جزء من الإيمان، وأن رتبته الركنية في الإيمان.

٢- وقال ﷺ: قال اللَّه تعالى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قالَ العَبْدُ: الحَمْدُ للَّه رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: حَمِدَنِي عَبْدِي . . .» . . [رواه مسلم من حديث أبي هريرة].

* وهنا أيضًا أطلق الكل- الصلاة- على الجزء- الفاتحة، فدلّ ذلك على أن الفاتحة جزء من الصلاة، ورتبتها الركنية.

الثانية: أن يطلق الشارع اسم الجزء على الكل. ومثالها:

١ - قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٣].

* وهنا أطلق الشارع جزء الماهية- الرقبة - على كلّ الماهية- العبد - فدلّ على أن الرقبة جزء من الماهية، ورتبته الركنية.

٢ - قال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

* وهنا أطلق الشارع جزء الماهية- السجود، والركوع- على كلّ الماهية- الصلاة- فدلّ على أن السجود والركوع ركنان في الماهية، وهما جزآن فيها.

الثالثة: أن ينفي الشارع الذات- بـ«لا» النافية للجنس- عند غياب الجزء المعين.

ومثالها: قال ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ». متفق عليه.

تنبيهات:

١ - أن إثبات الركنية لأي جزء في الماهية مرجعه إلى الشرع وحده.

٢ - أن الشارع أمر بالإتيان بهذا الجزء، سواء فات محله أو لم يفت، فلا جابر له إلا ذلك.

٣ - من خلال الأمثلة السابقة لوحظ الآتي:

أ - أن كلَّ ذات لا يصح فيها القضاء، أو الوكالة، أو البدل، تبطل بغياب هذا الجزء.

* فمثلًا: الشهادتان لا يصح فيهما الوكالة، ولا البدل، ودلّ النص والإجماع على أن غيابهما مع القدرة كفرٌ مخرج من الملة. وهذا يدلّ على انعدام الذات وهي الإيمان.

* ومثال: قول القلب، وعمل القلب.

* ومثال: الصلاة من عمل الجوارح، ومن هنا تعلم خطأ من أجاز قضاءها، مع قوله بكفر تاركها، والعكس.

ب - أن كل ذات صح فيها القضاء، أو الوكالة، أو البدل لا تبطل الذات بغياب هذا الجزء.

* فمثلًا: من ترك صوم رمضان عامدًا، لزمه صوم رمضان قضاءً، ويدلك على ذلك قوله ﷺ: «صم يومًا مكانه».

* ومثال: الحج، فتجوز فيه الوكالة عند فقد القدرة.

* ومثال: الزكاة، فقد جاز فيها البدل، فقد أخرج النبي ﷺ بدلًا من العباس رضي اللَّه عنه.

٤ - فإن تبين ما سبق:

* علم أن الركن ركنان:

أ - ركن تزول الماهية بزواله .

ب - ركن لا تزول الماهية بزواله ، وإن هزت عرش الذات .

ثانيًا : الواجب :

* يمكن تحديد واجبية جزءٍ معين بطريقتين :

الأولى : نفي الذات عند غياب هذا الجزء بغير «لا» النافية للجنس .

*** ومثالها :**

١- قال ﷺ : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» . [رواه الشيخان من حديث أنس بن مالك ، واللفظ للبخاري] .

٢- وقال ﷺ : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» .

[رواه الشيخان من حديث أنس بن مالك] .

الثانية : صحة الجبر عند فوات المحل .

ومثالها :

قال ﷺ : «إِذَا قَامَ الإِمَامُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ ، فَإِنْ ذَكَرَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَوِيَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ ، فَإِن اسْتَوى قَائِمًا فَلَا يَجْلِسْ ، وَيَسْجُدْ سَجْدَتَي السَّهْوِ» .

[رواه أبو داود في سننه من حديث المغيرة بن شعبة] .

الثالثة : المستحبات :

* يمكن تحديد استحبابية جزءٍ معين بثلاث طرق :

الأولى : لا يصح نفي الذات عند غيابه .

*** ومثالها :**

كمن ترك رفع الثوب إلى نصف الساقين .

الثانية : عدم الجبر عند فوات المحل .

*** ومثالها :**

كمن ترك قراءة السورة بعد الفاتحة في الركعتين الثالثة والرابعة .

الثالثة : ذكر فضل الإيمان عندها .

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

كيف تصف الذات

- يمكن وصف الذات بطريقة من الطرق الثلاثة الآتية :

الأولى : برؤية الذات .

الثانية : بالنظير .

الثالثة : بالخبر .

الطريقة الأولى :

برؤية الذات ، فمن رأى ذاتًا ، أمكن وصف هذه الذات .

* فمثلًا :

* الصحابة وصفوا لنا النبي ﷺ خلقًا وخُلقًا . وهذا في حق كل ذاتٍ تمت رؤيتها .

* وأما في حق الخالق تبارك وتعالى ، فلا يمكن وصف ذاته بهذه الطريقة ، لأنه لا يمكن رؤيته سبحانه في الدنيا يقظةً .

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

وقال ﷺ : « تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه حتى يموت » .

[رواه مسلم]

الطريقة الثانية :

برؤية نظير الذات ، فمن رأى ذاتًا أمكن وصف المشابهة لها .

* فمثلًا:

* النبي ﷺ قال: إن جبريل يأتيه أحيانًا في صورة رجل يشبه دحية الكلبي، رضي اللَّه عنه.

* وأن عيسى بن مريم كعروة بن مسعود.

* وأن إبراهيم كصاحبكم.

* وأن قدار بن سالف كعقبة بن أبي معيط.

* وأن الدجال كعبد العُزَّى بن قطن.

* وأما في حق الخالق سبحانه، فلا يمكن وصفه بهذه الطريقة لأنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

الطريقة الثالثة:

بالإخبار عن وصف الذات.

* فمثلًا:

* وصف النبي ﷺ موسى- عليه السلام- وأنه كرجال شنوءة.

* ووصف الدجال بأنه أعور العين، وشعره قطط.

* وأما في حق الخالق سبحانه، فلا يمكن وصفه بهذه الطريقة، لأنه سبحانه لم يخبرنا عن وصف ذاته.

❑ **وعليه:**

* في حق المخلوق يمكن تكييف أي ذاتٍ بطريقة من الطرق السابقة وكذلك تكيف أي صفة من صفاته. وما أمكن لا يجوز إنكاره.

* وأما في حق الخالق سبحانه، لا يمكن تكييف ذاته بأي طريقة.

* ومعلوم أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات.

* فتعين استحالة تكييف أي صفة من صفاته سبحانه وتعالى.

* وعدم العلم بالكيف لا ينفي وجوده، فهو موجود ولكن لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

الوجودات الأربعة[1]

□ الوجود على أربع صور:

الأولى: الوجود العلمي؛ وهذه التسمية في حق الخالق، وفي حق المخلوق، ويسمى أيضًا بالوجود الذهني، وهذا في حق المخلوق.

الثانية: الوجود الرسمي؛ وهذه التسمية في حق الخالق، وحق المخلوق. ويسمى أيضًا بالبناني، وهذا في حق المخلوق.

الثالثة: الوجود اللفظي؛ وهذه التسمية في حق الخالق، وحق المخلوق. ويسمى أيضًا باللساني، وهذه التسمية في حق الخالق.

الرابعة: الوجود العيني؛ وهذه التسمية في حق الخالق، وحق المخلوق.

- مثال تطبيقي في حق المخلوق:

١ - من تصور شيئًا فهذا هو الوجود العلمي أو الذهني؛ من تصور صورة السفينة أو الطائرة، فهذا وجود، ولكنه علمي أو ذهني، وكذا نحن نعلم ما كان؛ كآدم والأنبياء، فهذا أيضًا وجود ولكنه في الأذهان.

٢ - فمن نطق باسم الشيء أو وصفه، فهذا هو الوجود اللفظي أو اللساني، كمن قال: آدم أو نوح أو سفينة أو طائرة.

---

(١) قد فصلتُ هذه المسألة في المقدمة في أصول الفهم.

٣ - فمن كتب اسم الشيء أو رسمه، فهذا هو الوجود البناني أو الرسمي، كمن كتب اسم السفينة أو الطائرة، أو رسمهما.

* وكذلك نعلم ما سيكون، كالقيامة والحساب، فهذا وجود في الأذهان، وقد يكون في اللسان، أو البنان.

* وكذلك نعلم ما لم يكن، لو كان كيف كان يكون، وذلك للأخبار الثابتة.

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

* فنحن نعلم بالخبر ما لم يكن- أي خروج الكفار من النار- لو كان- ولو ردوا- كيف كان يكون- لعادوا لما نهوا عنه.

٤ - فمن صنع هذا الشيء؛ كالسفينة أو البيت، فهذا هو الوجود العيني.

- قد تجتمع الوجودات الأربعة في حق المخلوق.

* وذلك في أي مصنوع يتم صناعته، فلابد من تصوره، ومناقشته، ورسمه ثم تنفيذه.

* وقد يتصور الشيء ثم ينفذ دون المرور بالوجود اللفظي أو الرسمي.

إذن:

١ - قد يتخلف الوجود اللفظي أو الرسمي، وتخلفهما لا يمنعان التكليف.

٢ - قد يوجد الوجود الذهني ويتخلف العيني، وهذا قد يمنع

التكليف، وقد يثبته، فلو كان التخلف العيني بسبب غياب القدرة فلا تكليف، وإن كان بسبب غياب الإرادة فهو مكلف.

٣ - وقد يوجد الوجود الذهني ويوجد العيني، وهذا يثبت التكليف، ولكن الوجود العيني قد يكون صوابًا وقد يكون خطأ، فإن صح في الأذهان صح في الأعيان وترتب على ذلك الثواب والعقاب، وإن لم يصح ما في الأذهان لم يصح ما في الأعيان وقد يثاب وقد يعاقب.

- مثال تطبيقي في حق الخالق:

١ - إن اللَّه- عز وجل- هو الأول والآخر، فيعلم كل شيء ما كان منها، وما يكون وما سيكون، وما لم يكن كيف يكون لو كان.

* وهذا هو الوجود العلمي، ولا يصح البتة تسميته بالوجود الذهني.

* وهذا الوجود العلمي لا يتخلف عن شيء البتة، تعالى اللَّه علوًّا كبيرًا عما يقول الظالمون.

٢ - وكما هو معلوم ما من شيء إلا في كتاب.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

* وقد جمع تبارك وتعالى بين الوجود العلمي والرسمي فقال:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

* وهذا الوجود الرسمي لا يجوز البتة تسميته بالبناني في حق اللَّه.

* وكما ترى!

فهذان الوجودان لا يتخلفان أبدًا لا عن صغيرة ولا كبيرة.

٣ - أما الوجود اللفظي «كن».

* فقد يوجد، وقد لا يوجد. كالأشياء التي قدرت على سببٍ من العبد.

٤ - أما الوجود العيني «فيكون».

* فقد يوجد، وقد لا يوجد. كالأشياء التي قدرت على سببٍ من العبد.

- فتبين:

١ - أن الوجودات أربعة.

٢ - أن الوجودات قد تجتمع، وقد تفترق.

٣ - لا تلازم بين الوجود العيني والوجود العلمي أو الرسمي أو اللفظي.

- وهذه المسألة!

جدّ خطيرة، عليها مدار الفهم، وعدم هضمها أدى إلى ظهور قبيح القول والفعل.

١ - فمثلًا:

زعمت الصوفية، أن النبي ﷺ هو أولُ خلق اللَّه تعالى، وأنه ﷺ كان نبيًّا قبل آدم.

وهذا الباطل:

يستدلون له بحديث ميسرة الفجر، وحديث العرباض بن سارية.

قلتُ:

أولًا: قد وقع كبيرهم ابن عربي في شر من هذا، فزعم أن اللَّه- جل جلاله- اتحد بالمخلوق، فلا رب يعبد، ولا عبد مكلف.

ثانيًا: وسبب هذا هو عدم التمييز بين الوجودات الأربعة، فخلطوا بين الوجود العلمي والوجود العيني.

- حل مسألة الصوفية:

١ - روى أحمد أن ميسرة الفجر قال: قلتُ: يا رسول اللَّه، متى كنت نبيًّا؟ فقال ﷺ: «وآدم بين الروح والجسد»[1].

٢ - روى أبو نعيم عن العرباض بن سارية؛ قال: قال ﷺ: «إني عبد اللَّه مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري . . .».

* فالمذكور في الحديث هو الوجود الرسمي، فقد كتب لآدم ما له وما عليه وذلك بعد تكوين الجسد، وقبل نفخ الروح، ومن جملة ما كتب له ذريته ومحمد ﷺ منهم.

* فتبين أن من زعم أن محمدًا ﷺ خلق قبل آدم، فهذا لم يميز بين الوجودات، وكذلك من زعم أن نبوة محمد ﷺ قبل آدم.

* ومعنى «منجدل» أي ملتف ومطروح على وجه الأرض، صورة من

---

(١) روي هذا الحديث بلفظ: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين». وهذا الحديث لا أصل له بهذا اللفظ، بل هو غلط ظاهر، إذ كيف يكون بين الماء والطين، والطين ماء وتراب؟!!

طين لم ينفخ فيها الروح . وظل على ذلك أربعين سنة ؛ قال تعالى : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان : ١] .

* وما سبق هو المناسب لقوله ﷺ : «إن أحدكم يجمعُ خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث اللَّه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال : اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . ثم ينفخ فيه الروح» وقال : «فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار» .

[متفق عليه عن ابن مسعود] .

* فتبين مما سبق الفرق بين الوجودات الأربعة ؛ العلمي، والرسمي، واللفظي، والعيني .

* فاللَّه- عز وجل- يعلم الأشياء قبل تكوينها، وهي متميزة في علمه وإرادته وقدرته سبحانه .

* فإذا أرادها اللَّه- عز وجل- قال : كن، فتكون، وهذا هو الوجود العيني، الثابت في الخارج .

* فلا وجود لنبوته ﷺ قبل قوله تعالى : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق : ١] .

* ولا وجود لرسالته ﷺ قبل قوله تعالى : ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر : ٢] .

- حل مسألة ابن عربي :

إن شئت انظر كتابنا «الإلحادية عقيدة ابن عربي والاتحادية» .

- حل مسألة الصورة:

قال ﷺ: «خلق اللَّهُ آدم على صورته». [رواه البخاري عن أبي هريرة].

* الضمير في «صورته» يعود إلى آدم.

١ - لأنه أقرب مذكور، ولا ينقل لغيره بغير دليل.

٢ - أنه قد وجد المانع؛ لأن المذكور قبل آدم هو اللَّه سبحانه، ولا يعود الضمير إليه، وقد فهم بعض الناس ذلك فروى الحديث بالمعنى قائلًا على صورة الرحمن.

* وأما سرُّ ذلك أن صورة آدم لها وجود علمي، وأن خلق آدم- وهو الوجود العيني- جاء مطابقًا للوجود العلمي.

والمعنى: أن وجود آدم العيني مطابق لصورته العلمية.

وفائدة ذلك:

بيان أن قدرة اللَّه- عز وجل- لا تتخلف عن إرادته. فإذا أراد شيئًا قال: كن، فيكون.

❁ ❁ ❁

الأصل الثالث عشر

ضوابط علم التفسير
«حدود الألفاظ»

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : تعلم اللفظ يراد به المعنى .

المبحث الثاني : معاني الألفاظ (شرعي ، عرفي ، لغوي) .

المبحث الثالث : نماذج لحدود بعض الألفاظ .

المبحث الرابع : مدلول اللفظ بحسب مراد قائله .

المبحث الخامس : مدلول اللفظ بحسب القرائن اللفظية والحالية .

المبحث السادس : مدلول اللفظ بحسب الإفراد والاقتران .

المبحث السابع : الفرق بين اللفظ الكوني القدري والديني الشرعي .

المبحث الثامن : حروف الجر الأصلية وأثرها في التفسير .

المبحث التاسع : الضمائر .

المبحث العاشر : التعريف والتنكير .



المبحث الأول

تعلم اللفظ يراد به المعنى

- المقصود من تعلم اللفظ هو إرادة المعنى وفهمه.

والذي يدلّ على ذلك أمور:

١ - قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وجه الاستدلال:

أولًا: الحض على تدبر القرآن، والتدبر معرفة المعنى وفهمه.

ثانيًا: لا يحضُّ الشارع على شيء إلا وأمكن تحصيله.

٢ - قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٣].

وجه الاستدلال:

فلا عقل إلا مع العلم بمعاني القرآن وفهمه.

٣ - قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

وجه الاستدلال:

أن اللَّه ذم الكفار لأنهم لا يفقهون القرآن، فلو كان المؤمنون كذلك لشاركوهم.

٤ - قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ

إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وجه الاستدلال:

أن اللَّه- عز وجل- قد ذم من جعل حظه من القرآن هو مجرد سماع الأصوات، دون معرفة المعنى وفهمه، بل والعمل به، لذلك قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٦].

٥ - قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». [رواه أحمد من حديث عثمان بن عفان].

وهذا يتضمن حفظ حروفه، ومعرفة معانيها وفهمها.

٦ - وكان الصحابة- رضوان اللَّه عليهم- خير من التزم بذلك قال جندب بن عبد اللَّه، وعبد اللَّه بن عمر، وغيرهما: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانًا وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان». [رواه البيهقي].

٧ - وكان التابعون خير من التزم بذلك؛ قال مجاهد- رحمه اللَّه-: «عرضتُ المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره أقف عند كل آية منه وأسأله عنها». [رواه الطبراني في المعجم الكبير].

- ولمعرفة المراد من الآية لابد من مراعاة الآتي:

١ - تدبر ما قبل الآية وما بعدها.

٢ - معرفة مقصود القرآن.

وبهذا يتبين الصواب من الخطأ، والهدى من الضلال.

المبحث الثاني

معاني الألفاظ

- المراد أن اللفظ قد يكون له معنى شرعي، أو عرفي، أو لغوي.

* وقد يجتمع في اللفظ الواحد المعاني الثلاثة، أو بعضها.

- ثم اعلم:

١ - أن النبي ﷺ بُعث لبيان الشرعيات للناس، لا لبيان اللغويات ولا لبيان العرفيات.

٢ - وأن النبي ﷺ بُعث في قومٍ هم أهل الفصاحة، لذلك تحداهم اللَّه- عز وجل- ولا يستقيم التحدي إلا إذا كان المتحدي أهلًا لذلك.

ودع عنك الصِّرفة؛ فإنها مذهب أهل الغباوة كالمرتضى من الشيعة، وأبي إسحاق إبراهيم النظام من المعتزلة.

- ثم اعلم، أن القرآن ليس شعرًا ولا نثرًا، قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٢].

إذن: القرآن طراز جديد.

إذن: وجب اعتماد المدلول الشرعي، وفهم كلّ لفظة على مراد قائلها- عز وجل-.

- فإن لم تجد لها معنًى شرعيًّا، وهذا نادر، فاعتمد المعنى العرفي، فإن لم تجد فاعتمد المعني اللغوي؛ فإن العرف لاحق واللغة سابقة.

- ومن الألفاظ التي لها مدلول شرعي؛ الوضوء، والصلاة، والزكاة، والحج، والعمرة، والتصديق، . . .

* ومن الألفاظ التي لها مدلول عرفي؛ كالإحياء، والموات، والقبض، والسفر، والدرهم، والدينار، . . .

* ومن الألفاظ التي لها مدلول لغوي؛ كالشمس، والقمر، والأرض، والجوع، والعطش، . . .

- ولهذه المسألة أثر عظيم في كل حكم عملي أو علمي.

١ - فمثلًا في الأحكام العملية:

قال ﷺ: «توضئوا من لحوم الإبل». [رواه أحمد من حديث أسيد بن حُضَير].

فهذا الوضوء هو الشرعي، وهو الذي تبادر إلى الذهن، ومن حمله على غسل اليدين أخطأ من طريقين:

الأول: عدم جواز المعنى اللغوي مع وجود المعنى الشرعي.

الثاني: أنه صرف ما تبادر إلى الذهن بغير دليل.

٢ - ومثلًا في الأحكام العلمية:

لفظ التصديق، يجب اعتماد المعنى الشرعي، والعجب أنه لا فرق بين اللغة والشرع في مدلول هذا اللفظ، فلا تصديق قبل العمل لغةً وشرعًا.

وهاك التحقيق الدقيق والبحث الأنيق في تعيين مدلول هذه اللفظة لغةً وشرعًا.

مدلول لفظ التصديق

التصديق نوعان:

الأول: تصديق معه عمل القلب، الذي يستلزم عمل الجوارح.

الثاني: تصديق مجرد عن عمل القلب والجوارح.

النوع الأول: تصديق معه عمل القلب الذي يستلزم عمل الجوارح.

أولًا: هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

ثانيًا: أن الإجماع انعقد على هذا المعنى.

وبرهان ذلك:

١ - الآيات:

* قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وجه الاستدلال: أنهم صادقون بعد الإتيان بالبرهان.

* قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وجه الاستدلال: أنهم صادقون بمجموع اعتقاد القلب والانقياد (آمن بالله واليوم الآخر) وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ [آل عمران: ١٥٢].

* وجه الاستدلال: أن الوعد هو النصر، فكان وصف الوعد بالصدق بعد وقوع النصر.

* وقال تعالى: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣].

وجه الاستدلال: أنهم علقوا صدق عيسى ﷺ على نزول المائدة والأكل منها.

* وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وجه الاستدلال: أنهم يصدقون اللَّه ورسوله قبل نزول النصر، ولكن بعد نزول الوعد قالوا: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وهذا الصدق الجديد زادهم إيمانًا وتسليمًا.

* وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وجه الاستدلال: أنه وصفهم بالصدق بعد الوفاء بالعهد.

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

وجه الاستدلال: لقد ظن إبليس ببني آدم ظنًّا، فلما اتبعوه صدقوا ظنه، وهذا الوصف بعد الاتباع له لا مجرد ظنه.

فتبين مما سبق أن الصدق هو: اعتقاد القلب والانقياد.

٢ - السنة:

ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ فَالعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ».

وجه الاستدلال: أن التصديق لم يكن بتمني القلب، بل بعد العمل فتبين:

١ - كتابًا وسنة، أن التصديق ليس هو مجرد اعتقاد القلب، بل هو اعتقاد القلب والانقياد.

٢ - أن هذا التصديق تضمن عمل القلب الذي يستلزم عمل الجوارح.

* فلا يصح التصديق بعمل الجوارح فقط فهذا نفاق، وعليه لابد من عمل القلب.

٣ - يجوز القول بأن الإيمان هو: التصديق بمراد الشارع، والذي تضمن قول القلب وعمل القلب وعمل الجوارح وقول اللسان.

والذي يوضح ما سبق:

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾

[النمل: ١٤].

* مع قوله تعالى: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾

[يونس: ٩٠].

* **وجه الاستدلال:**

* فرعون جاء بالتصديق المجرد عن عمل القلب واستيقنتها نفسه وجاء بقول اللسان- آمنت- وهو كافر بالنص والإجماع.

* وقد علق اللَّه- عز وجل- كفر فرعون على العصيان والفساد في الأرض- وهما من العمل-.

قال تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

* فإن كان هذا العمل الظاهر مجردًا، لكان نفاقًا، وما صح التعليل به.

* فتبين أن العمل الظاهر موجب لعمل الباطن: الذي هو كراهة رضوان اللَّه، وإرادة العلو في الأرض.

* **فتعين:**

١ - أن التصديق المجرد مع قول اللسان لا يثبتان إيمانًا.

٢ - أن التصديق المجرد مع قول اللسان مع عمل الجوارح لا يثبتون إيمانًا، بل يثبتون نفاقًا.

٣ - أن التصديق المتضمن لعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح هو الإيمان.

٤ - التلازم ثابت بين الباطن والظاهر.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

وجه الاستدلال:

* هؤلاء جاءوا بالتصديق وبقول اللسان (ويقولون آمنا باللَّه وبالرسول) وجاءوا بالعمل (وأطعنا).

* والتولي ضد الطاعة، وعليه ففريق منهم تركوا العمل، فنفى اللَّه عنهم الإيمان.

* وعليه؛ فإن الطاعة موجب لعمل القلب، وإلا كان نفاقًا.

* فتبين أن التصديق المعتبر هو المتضمن لعمل القلب، المستلزم لعمل الجوارح مع قول اللسان.

* لو كان التصديق المجرد مع قول اللسان يثبتان إيمانًا، لكان جميع الكفار في الآخرة من المؤمنين؛ لأنهم سيؤمنون قولًا وتصديقًا مجردًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

فلما عُلم أن التصديق المجرد مع قول اللسان لا ينفعان في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

تعين وجود الطاعة التي هي موجب عمل القلب.

قال ابن القيم رحمه اللَّه (ص ١٠٩) من عدة الصابرين: «إن الإيمان قول وعمل، والقول قول القلب واللسان، والعمل عمل القلب والجوارح، وبيان ذلك أن من عرف اللَّه بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنًا، كما قال عن فرعون ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤]، وكما قال عن قوم عادٍ وقوم صالح: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد

تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، وقال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، فحصل قول القلب لهؤلاء وهو المعرفة والعلم، ولم يكونوا بذلك مؤمنين، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن مؤمنًا بل كان من المنافقين، وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنًا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة، فيحب اللَّه ورسوله، ويوالي أولياء اللَّه ويعادي أعداءه، ويستسلم بقلبه للَّه وحده وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهرًا وباطنًا، وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به- فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه، وهي ترجع إلى علم وعمل، ويدخل في العمل كفُّ النفس الذي هو متعلق النهي، وكلاهما لا يحصل إلا بالصبر، فصار الإيمان نصفين: أحدهما: الصبر، والثاني: متولد عنه من العلم والعمل». اهـ.

- فرحم اللَّه الحسن البصري حيث قال: «ليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل». اهـ.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

نماذج لحدود بعض الألفاظ

- قال تعالى : ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة : ٩٧] .

- قال ابن القيم في «الفوائد» (بتصرف ج١ ص ١٥٣) :

«للأخلاق حد متى جاوزته صارت عدوانًا ، ومتى قصرت عنه كانت نقصًا ومهانة» .

* وخلاصة ذلك :

« أن العدل بين الإفراط والتفريط » .

	الإفراط	العدل	التفريط
الغضب	تعدى وجار .	الشجاعة المحمودة والأنفة من الرذائل والنقائص .	جبن ، ولم يأنف من الرذائل .
الحرص	شرهًا ورغبة فيما لا تحمد فيه .	الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ فيها .	مهانة وإضاعة .
الجود	إسرافًا وتبذيرًا .	ما يكفي لسد الحاجات .	بخلًا وتقصيرًا
الغيرة	الريبة بغير بينة (إفساد)	الريبة ببينة	تغافلًا ومبادئ دياثة
التواضع	ذلًا ومهانة .	وضع كل شيء في موضعهم .	الكبر والفخر .
العز	كبرًا وخلقًا مذمومًا .	القويُّ السليم من الذل .	ذلة ومهانة .

	الإفراط	العدل	التفريط
الشجاعة	تهور	الإقدام في مواضع الإقدام والإحجام في مواضع الإحجام.	جنبًا وخورًا.
الراحة	كسلًا وإضاعة وفوت أكثر المصالح.	إحجام النفس والقوة المدركة والفعالة للاستعداد للطاعة واكتساب الفضائل	مضرًّا بالقوى موهنًا لها، وربما انقطع به كالمنبت الذي لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.
الشهوة	نهم وشبق يلحق صاحبها بالحيوانات	راحة القلب والعقل من كد الطاعة واكتساب الفضائل والاستعانة بقضائها على ذلك.	ضعف وعجز ومهانة.
الحسد	تمني زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه كأن بغيًا وظلمًا	المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره.	دناءة، وضعف همة وصغر نفس.

- **قلتُ :**

ومن أهم الأشياء التي تعين على معرفة حدود الألفاظ هي مخارج الحروف، والشكلة.

فمثلًا : لفظ السبيل ليس مرادفًا للطريق لأن السين غير الطاء.

فالسبيل أخص لما فيه من السهولة والخير وهذا يناسب حرف السين.

والطريق فيه شدة وعسر وهو يناسب حرف الطاء، ولا يأتي في سياق الخير إلا بوصفٍ أو إضافة غالبًا. ومع الخيرية لا تتخلف عنه الشدة.

لذلك الطريق المستقيم على جانبيه أهوال تريد أن تختطف المار، أما السبل فهي سُبل السلام.

٢ - لفظ هزَّ و أزَّ.

٣ - لفظ سكب و صب.

٤ - لفظ يعَزُّ و يَعِزُّ و يَعُزُّ.

٥ - لفظ كُره و كَره.

٦ - لفظ ذِبح و ذَبح... إلخ.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

مدلول اللفظ بحسب مراد قائله

اللفظ في كتاب ربنا وفي سنة نبينا ﷺ معروف الدلالة، والسامع دائمًا يفهم الألفاظ بما عرف من دلالتها، ولكن لما انتشر الجهل والبدع:

١ - أخطأ بعض الناس في مدلول اللفظ؛ فاستخدموا المدلول الحادث بدلًا من المدلول المراد عند القائل؛ كما في لفظ النسخ، ولفظ الحديث الضعيف، ففي كلام المتقدمين لهما معنى، وعند المتأخرين قُصرا على معنى.

٢ - وآخرون اعتمدوا على مقدمات مظنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ وإما في المعاني المعقولة.

هذان الطريقان أديا إلى تحريف الكلم عن مواضعه، حيث إن لفظ الكتاب والسنة لا يعرفان إلا من الكتاب والسنة.

٣ - وآخرون استخدموا ألفاظ أهل السنة والجماعة مع تغيير مدلولها بما يناسب معتقداتهم، فأدى ذلك إلى خدعة وقع فيها من وقع. وعصم اللَّه منها من شاء، سبحانه.

وهذا الطريق فيه من الشرور والخيانة العلمية- حيث لم ينص على المعنى المراد- وتضليل عباد اللَّه، ما يجعل بيانه من أهم الأمور.

* قال أحمد رحمه اللَّه: «وإن تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معنى ما أراد اللَّه منه، أو أثر عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ويعرف ذلك

بما جاء عن النبي ﷺ أو عن أصحابه، فهم شاهدوا النبي ﷺ وشاهدوا تنزيله، وما قصد اللَّه له في القرآن، وما عنى به، وما أراد به أخاص هو أم عام؟ فأما من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول اللَّه ﷺ ولا أحد من أصحابه، فهذا تأويل أهل البدع». اهـ.

لذلك أسوق بعض النماذج التي تبين ما سبق.

وفائدة ذلك:

١ - تنبيه الجاهل وتفويت الفرصة على أهل البدع.

٢ - رفع راية الكتاب والسنة لإثبات مدلول اللفظ.

٣ - دفع طرق أهل البدع عن معرفة دلالة اللفظ الشرعي.

- ومن هذه النماذج:

١ - **المجمل:**

* يراد به عند المتأخرين ما لا يفهم المراد به.

* ويراد به عند المتقدمين كالشافعي، وأحمد، وأبي عبيد، وإسحاق وغيرهم ما لا يكفي وحده في العمل به، وإن كان ظاهره حقًّا كما في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فهذه الآية ظاهرها ومعناها مفهوم ليست مما لا يفهم المراد به، بل نفس ما دلت عليه لا يكفي وحده في العمل، فإن المأمور به صدقة تكون مطهرة مزكية لهم، ومقدارها لا يعرف إلا عن طريق نبينا ﷺ.

٢ - **النسخ:**

* قد يراد به التخصيص، وهذا في كلام السلف من الصحابة.

* وقد يراد به رفع لخطاب شرعي متقدم بخطاب شرعي متأخر منفصل عنه ومناف له، وهذا عند المتأخرين من الأصوليين والفقهاء.

٣ - الضعيف من الحديث:

* في كلام المتقدمين كان يتضمن الحسن، ولهذا يوجد في كلام أحمد وغيره من الفقهاء أنهم يحتجون بالحديث الضعيف كحديث عمرو ابن شعيب، وإبراهيم الهجري، وغيرهما. وحديثهما من قبيل الحسن لذاته.

* وفي كلام المتأخرين ما كان دون الحسن في الرتبة، أي لا يحتج به، فلا تثبت به مشروعية، فضلًا عن جعله مستحبًّا أو واجبًا.

٤ - التأويل:

* المراد به عند الأصوليين: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل مقترن به، أو منفصل عنه.

* المراد به عند المفسرين: هو التفسير. قال مجاهد: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، أي تفسيره.

* **المراد به في القرآن والسنة**: هو الحقيقة التي يئول إليها الكلام كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا.

* **قال سفيان بن عيينة**: السنة من تأويل الأمر والنهي: فإن نفس

الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به، ومن أمثلة ذلك في السنة قول عائشة: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ. [متفق عليه].

٥ - كلمة:

* المراد بها عند النحاة: (اللفظ المفرد الدال على معنى)، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: الاسم، والفعل، والحرف.

والعرب لا يعرفون هذا التعريف ولا هذا التقسيم.

* **المراد بها في الشرع واللغة**: الكلام التام المفيد، ولا يأتي فيهما إلا كذلك.

* قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

* وكقوله ﷺ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ؛ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ». [متفق عليه].

«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى

الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ » . [متفق عليه] .

« إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ . . . » .

[رواه أحمد ومالك عن أبي هريرة] .

« لَقَدْ قُلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » . [رواه مسلم وأبو داود عن جويرية] .

٦ - الملائكة :

* المراد بها عند أهل السنة : أنها من مخلوقات اللَّه ، خلقت بقوله تعالى : ﴿كُن﴾ ومادتها النور ، وتعبد اللَّه- عز وجل- ولا تعصيه أبدًا ، وتفعل ما تؤمر به .

* والمراد بها عند ابن عربي : ما يتخيله النبي ﷺ في نفسه .

* والمراد بها عند الفلاسفة : العقول ، أي الملائكة الكروبيون المقربون .

ويراد بها عندهم أيضًا : النفوس ، أي الملائكة السماوية هي نفوس السماوات .

٧ - أفل :

* عند أهل السنة : التغيب والاحتجاب ، والأفول قد يكون بسقوط الكوكب إلى جانب الغرب ، وقد يكون لطلوع الشمس فأخفت ضوءه .

* عند الملاحدة : معناها تحرك ، لذلك قالوا : إن إبراهيم استدل على أن الكواكب ليست هي الإله ؛ لأنها تتحرك ، والإله عندهم لا

يتحرك، وعليه فعندهم لا ينزل في ثلث الليل الآخر ولا يجيء يوم القيامة.

٨ - العقل:

* عند أهل السنة: هو الذي يعقل به ويتفكر به.

* عند أكثر أهل الكلام: هو الروح المجردة عن المادة أي عن الجسد.

٩ - القلم:

* في اللغة والشرع: الذي يكتب به.

* عند الملاحدة: العقل الأول، الذي أبدع أو كان واسطة للإبداع.

١٠ - اللوح المحفوظ:

* في الشرع: هو اللوح الذي أنزل فيه القرآن إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

* عند الملاحدة: النفس الفلكية.

١١ - القديم:

* عند أهل السنة: هو الأول الذي ليس قبله شيءٌ.

* عند الملاحدة: عبارة عما لم يزل أو عما لم يسبقه وجود غيره وإن لم يكن مسبوقًا بعدم نفسه.

١٢ - التوحيد:

* عند أهل السنة:

عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وإثبات ما أثبته لنفسه سبحانه، ونفي ما

نفاه عن نفسه سبحانه، وكذلك ما أثبته النبي ﷺ للّه سبحانه وما نفاه.

* عند أهل الاتحاد: هو الوجود المطلق.

* عند الجهمية: نفي جميع الصفات.

* عند الفلاسفة: نفي جميع الصفات، وإثبات صفة سلبية أو إضافية أو مركبة منهما.

١٣ - الزنديق:

* عند الفقهاء: هو المنافق.

* عند أهل الكلام: هو الجاحد المعطل.

١٤ - الإيمان:

* عند أهل السنة: قول وعمل. وجنس العمل شرط صحة في الإيمان.

* عند الخوارج: قول وعمل أيضًا، ولكن المعنى مختلف[1]. وجزء العمل شرط صحة في الإيمان.

* عند المعتزلة: قول وعمل أيضًا، ولكن المعنى مختلف[1].

١٥ - الاستثناء:

* عند أهل السنة: على عمل الجوارح.

* عند المرجئة: على الموافاة، وعليه فالمعنى مختلف تمامًا.

١٦ - قال:

* عند أهل السنة: يقصد بها اللفظ والمعنى.

---

(١) تفصيل ذلك في كتابنا: «الإعلام بمسمى الإيمان».

* وأما قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [المجادلة: ٨] أي بألسنتهم سرًّا، والذي يؤكد ذلك نظائرها ومنها:

قوله ﷺ في الحديث القدسي: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...».

فهنا العبد ذكر اللَّه بلسانه.

وأما تفسيرها بحديث النفس أو كلام النفس، فلا يصح، بل هو خطأ ظاهر.

ويلاحظ أن لفظ «حديث النفس» يستخدم فيما لا دخل للسان فيه. كما في الرؤيا كقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ يَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [يوسف: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وعند أهل البدع: يقصد بها المعنى فقط.

* وذلك كعبد اللَّه بن سعيد بن كُلاب وهو متأخر في زمن محنة أحمد.

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

مدلول اللفظ بحسب القرائن اللفظية والحالية

- قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج١ ص١٨-١٩):

«وجود اللفظ في عدة مواضع لا يعني أن الدلالة واحدة، بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه في القرآن والدلالات، وهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقًا، ونافع في معرفة الاستدلال والاعتراض والجواب وطرد الدليل ونقضه، فهو نافع في كل علم خبري أو إنشائي، وفي كل استدلال أو معارضة: من الكتاب والسنة وفي سائر أدلة الخلق». اهـ.

وإليك بعض الأمثلة التي تبين المراد:

١ - الوسيلة:

* تأتي بمعنى التقرب إلى اللَّه بطاعته كقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

* وتأتي بمعنى المنزلة، كما في الحديث:

«فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

٢ - السمع:

* يأتي بمعنى إدراك الصوت مع المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ...﴾ ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ١].

* وقد يراد به القبول مع الفهم كقوله تعالى:

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي مجيبون يقبلون الكذب.

* وقد يراد به الإفهام كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] أي لأفهمهم ما سمعوه.

* وقد يراد به الاستجابة كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] أي مجيب الدعاء، وكقول المصلي: (سمع اللَّه لمن حمده) أي استجاب اللَّه لمن حمده.

٣ - الحساب:

* قد يراد به عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ [الصافات: ٢٤].

* والذي يوضح أن حساب الكفار هو عرض الأعمال، أن اللَّه أحبط عمل من مات على الكفر، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ عَن كُن فَيَمُتْ وَهُوَ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ وَيُعَلِّمُكَ وَيَقُولُونَ فِىٓ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وقد يراد به موازنة الحسنات بالسيئات وهذا لا يكون إلا في حق من مات على الإسلام.

كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦-٧].

٤ - الباطل :

* قد يراد به ما لا ينفع ، كقوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١] .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

وكقوله ﷺ : «. . . وَكُلُّ مَا يَلهُو بِهِ المَرْءُ المُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ ، وَمُلَاعَبَتَهُ امْرَأَتَهُ ؛ فَإِنَّهُنَّ مِنَ الحَقِّ» .

[رواه الترمذي] .

* وقد يراد به العدم :

فكل ما كان معدومًا فاعتقاد وجوده والخبر عن وجوده باطل .

٥ - الشرق والغرب :

* هما نسبة إلى المكان الذي فيه المتكلم ، فمثلًا شرق المدينة أهل نجد ، وغرب المدينة أهل الشام .

* لذلك يقال : الأوزاعي إمام أهل المغرب مع أنه من أهل الشام .

ويقال عن سفيان الثوري : إمام أهل المشرق مع أنه من أهل نجد .

٦ - الضد :

* قد يراد به المعارض كقوله ﷺ : «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ في أَمرِهِ» . [رواه أبو داود عن ابن عمر] .

* وقد يراد به ما يمنع ثبوت الآخر .

ومثاله : أن السواد يمنع البياض ، ولذلك يقال عن الضدين : إنهما

لا يجتمعان ولكن قد يرتفعان .

٧ - أتى اللَّه سبحانه :

* قد يراد بها العذاب كقوله تعالى : ﴿ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [النحل : ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِقَلَسَوۡنِحَاسَبُ حِسَايَكَسِيرًا يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ [الحشر : ٢] .

* وقد يراد بها المجيء ، كقوله تعالى : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ عَنۡ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

٨ - الصمد :

* قد يراد بها ما لا جوف له ؛ كقولهم : الملائكة صمد .

وقد يراد بها المستحق للكمال ، وهو اللَّه- عز وجل- فهو السيد الذي كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحكم الذي قد كمل في حكمه ، والغني الذي قد كمل في غناه .

٩ - الزوج :

* قد يراد به النظير المماثل كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير : ٧] أي أهل الإيمان مع أهل الإيمان ، وأهل الكفر مع أهل الكفر ، والشمس مع القمر .

* وقد يراد به النظير المخالف : كالرجل والمرأة ، والإيمان والكفر ، والسعادة والشقاوة ، والليل والنهار ، والبر والبحر ، والسهل والجبل ، والحق والباطل ، والنور والظلمة ، والحلو والمر ، والموجب والسالب .

قال تعالى: ﴿ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا﴾ [الذاريات: ٤٩]

أي: لعلكم تتذكرون أن خالق هذه الأزواج واحد وهو اللَّه سبحانه وتعالى.

* وقد يراد به صنفان: كالإنس والجن، والسماء والأرض.

١٠ - الهم:

* قد يراد به الخطرات كهم يوسف- عليه السلام- تركه للَّه فأثيب عليه.

* وقد يراد به الإصرار كهم امرأة العزيز، فإنها فعلت ما قدرت عليه لكي تُحصِّل مرادها، وإن لم تحصله.

١١ - المناسبة:

* قد يراد بها القرابة المستندة إلى الولادة، نحو: هذا نسيب فلان، ويناسبه.

* وقد يراد بها المماثلة، نحو: هذا الشيء يناسب هذا الشيء.

* وقد يراد بها الموافقة في معنى من المعاني وضدها المخالفة.

١٢ - الشهيد:

* قد يراد به من قتل في سبيل اللَّه كقوله تعالى: ﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ﴾ [الزمر: ٦٩].

* وقد يراد به الشهادة على الناس، كقوله تعالى: ﴿ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ وَيُعَلِّمُكَ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله تعالى: ﴿لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

١٣ - الوجه:

* قد يراد به وجه اللَّه سبحانه وتعالى، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

* وقد يراد به القبلة كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] ومعنى ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: فثم قبلة اللَّه.

وبيان ذلك:

١ - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يدل على الجهة.

٢ - (وأين) ظرف مكان.

٣ - ﴿تُوَلُّوا﴾ أي: تستقبلوا.

كأنه قال: وللَّه جهة المشرق وجهة المغرب، فأي الجهتين استقبلتم فقد استقبلتم قبلة اللَّه.

١٤ - الشيء:

* قد يتناول هذا اللفظ نفس اللَّه سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] فهو سبحانه بنفسه عليم.

* وقد لا يتناولها كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

فهذا اللفظ هنا يعم الحادثات، لا الخالق سبحانه.

❁ ❁ ❁

المبحث السادس

مدلول اللفظ بحسب الإفراد والاقتران

١ - الصالح :

* إذا جاء مفردًا تناول النبيين .

* ومعناه : من صلَح جميع أمره فسريرته كعلانيته .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ فِيسَكُرِعُونَ لَهُمْ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿زَهُوقًا كُلِّ شَىْءٍ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ﴾ [الشعراء : ٨٣] .

وقوله تعالى : ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف : ١٠١] .

* وإذا جاء مقترنًا لم يتناول ما اقترن به .

* ومعناه : القائم بحقوق اللَّه وعباده .

قال تعالى : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ فَأَمَّا﴾ [النساء : ٦٩] .

٢ - الكفر :

* إذا جاء مفردًا تناول النفاق .

قال تعالى : ﴿وَمَن بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا فَسَيُحَاسَبُ حِسَابًا﴾ [المائدة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ قَوْلَ وَيُعَلِّمُهُمُ يَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر : ٧١] .

* إذا جاء مقترنًا كان معناه مَن أظهر الكفر كأهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ كَانَ زَهُوقًا كُلِّ﴾

[النساء: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾

[التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا تَلۡبِسُواْ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ أُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ﴾

[الحشر: ١١].

٣ - الشرك:

* إذا جاء مفردًا تناول أهل الكتاب وغيرهم.

قال تعالى: ﴿تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

* وإذا اقترن بغيره كان المراد منه غير الملِّي.

قال تعالى: ﴿تُؤۡمِنُواْ يُنۡ ٱلۡمُشۡرِقُ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ وَقُلۡ جَآءَ﴾ [البينة: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

تنبيه: يسمى غير الملي في القرآن بالأمي.

قال تعالى: ﴿شُهَدَآءَ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ كَانَ زَهُوقًا كُلِّ شَيۡءٍ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾ [آل عمران: ٢٠].

٤ - المعصية:

* إذا جاءت مفردة تناولت الكفر والفسق.

قال تعالى : ﴿فَإِذَا فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا الَّذِينَ نَافَقُوا فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ﴾ [الجن : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا الَّذِينَ نَافَقُوا فَأُولَٰئِكَ﴾ [هود : ٥٩] .

* وإذا اقترنت فبحسبها :

* فقد تكون ما ليس بكفر ولا فسوق ؛ قال تعالى : ﴿ قَوْلُ يُعَلِّمُكَ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحجرات : ٧] .

٥ - المعروف والمنكر :

* إذا جاء لفظ المعروف أو المنكر مفردًا .

* دخل في الأول كل خير ، ودخل في الثاني كل شر .

قال تعالى : ﴿ يَأْتِيَ رَبُّكَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ عَن كُن فَيَمُتْ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ لَأَسْمَعَهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو﴾ [التوبة : ٧١] .

* وإذا جاء لفظ المعروف أو المنكر مقترنًا بغيره .

* صرف اللفظ للمعنى المناسب له .

قال تعالى : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء : ١١٤] .

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

[العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: بِأَ بَعۡضِ شُهَدَآءَ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ فِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ كَانَ زَهُوقًا كُلِّ شَىۡءٍ﴾ [النحل: ٩٠].

٦ - البر:

* إذا جاء مفردًا تناول جميع أنواع البر.

* وفي نفس الوقت هو مسمى التقوى وهو مسمى الإيمان.

قال تعالى: ﴿بِكَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ عَن كُن فِيمَ تَ﴾

[الانفطار: ١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿ عَلَى ٱلۡبَاطِلِ يَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٧٧].

* وإذا جاء مقترنًا بغيره صرف إلى المعنى المناسب له.

قال تعالى: ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ أَن﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡقَوَاعِدِ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو لَّا تَسۡمَعُ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ عِلِّيُّونَ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ يَشۡهَدُهُ وَمَن﴾ [المطففين: ١٨-٢١] فهنا الأبرار هم المقربون، ولا يدخل فيهم المقتصدون.

٧ - الهدى :

❊ إذا جاء مفردًا تناول الإيمان والإسلام، وتناول العلم الذي بعث اللَّه به الرسول ﷺ والعمل به جميعًا.

قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا تَكْتَسِبُواْ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

فمعنى «أهدنا» أي ألهمنا العلم النافع، والعمل الصالح.

وإذا جاء مقترنا بغيره صرف إلى المعنى المناسب له، قال تعالى: ﴿ ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا فَسَوْفَ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ كَانَ﴾ [النحل: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا فَسَوْفَ يُحَاسَبُ﴾ [التوبة: ٣٣] فالهدى في هذه الآية هو الإيمان، ودين الحق هو الإسلام.

٨ - الفقير :

❊ إذا جاء مفردًا تناول المسكين.

قال تعالى: ﴿ ٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾

[البقرة: ٢٧١].

❊ وإذا اقترن بغيره استقل بوصفه:

قال تعالى: ﴿ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ أَن﴾ [التوبة: ٦٠].

❊ فهنا الفقراء غير المساكين.

تنبيه: ولفظ المسكين إذا انفرد تناول الفقير، وإذا اقترن كان غير

الفقير، أي يستقل بوصفه.

٩ - التلاوة:

* إذا جاءت مفردة تناولت العمل.

قال تعالى: ﴿شُهَدَآءَ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ وَفِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٢١]. قال الصحابة والتابعون: «أي يتبعونه حق اتباعه، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه».

* وإذا جاءت مقترنة بغيرها صرف اللفظ إلى المعنى المناسب له، قال تعالى: ﴿حِسَابًا يَسِيرًا ٱلَّذِينَ يَحْتَسِبُ نَافَقُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

١٠ - الكلام والقول:

* إذا جاء مفردًا تناول اللفظ والمعنى جميعًا، كما أن لفظ الإنسان يتناول الروح والبدن جميعًا.

قال تعالى: ﴿ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ فَأَمَّا﴾ [البقرة: ٣٤].

* والملفوظ قد يكون سرًّا، وقد يكون جهرًا.

قال تعالى: ﴿ عَمَلُكَ عِلِّيُّونَ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ وَمَن بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ [الملك: ١٣].

* فإذا خلا من القرينة كان المراد اللفظ جهرًا مع المعنى، قال تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ وَمَن بَلْ نَقْذِفُ﴾ [البقرة: ٣٣].

* وإذا وجدت قرينة كان المراد اللفظ سرًّا مع المعنى قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨].

١١ - الإسلام والإيمان :

* إذا جاء كل منهما منفردًا، كان الإسلام هو الإيمان ، وكان الإيمانُ هو الإسلام .

* وحيث إن الإسلام هو الأعمال الظاهرة .

إذن : فإن الإيمان عند الانفراد يتناول الأعمال باعتبارها جزءًا منه .

ومنها قوله ﷺ : الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً . . . » . [رواه مسلم] .

ويؤكده حديث وفد عبد القيس .

* وكذلك لفظ الإسلام إذا أفرد دخل فيه الإيمان ، ومنها قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران : ١٩] .

* وعند الاقتران .

* فالإيمان ما كان في القلب ، والإسلام ما كان على الجوارح ، ومنها حديث جبريل عليه السلام .

۞ ۞ ۞

المبحث السابع

الفرق بين اللفظ الكوني القدري والديني والشرعي

- التفريق بين الشيء الكوني القدري والديني الشرعي، أصل عظيم من أصول فهم الكتاب والسنة.

فنجد أن الباري- سبحانه- فرق بين:

الأمر الديني الشرعي، والأمر الكوني القدري، وكذلك الكلمات الدينية الشرعية والكلمات الكونية القدرية، وكذلك الإرادة، والإذن، والكتاب، والحكم والقضاء، والتحريم، والجعل، وغير ذلك.

- فالشيء الديني الشرعي هو الموافق لمحبة اللَّه- عز وجل- ورضاه.

- والشيء الكوني القدري هو الموافق لمشيئته الكونية.

١ - الأمر الديني الشرعي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

* الأمر الكوني القدري، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا﴾ [يس: ٨٢].

٢ - الكلمات الدينية الشرعية، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: ١٢٤].

* الكلمات الكونية القدرية؛ قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

٣ - الإرادة الدينية الشرعية، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* الإرادة الكونية القدرية، قال تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

وقد جمعهما اللَّه تعالى في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٤ - الإذن الديني الشرعي، قال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

* الإذن الكوني القدري، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٥ - الحكم الديني الشرعي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

* الحكم الكوني القدري، قال تعالى: ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

٦ - القضاء الديني الشرعي، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

أي: أمر.

* القضاء الكوني القدري، قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

٧ - التحريم الديني الشرعي، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣].

* التحريم الكوني القدري؛ قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة: ٢٦].

٨ - الجعل الديني الشرعي، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

* الجعل الكوني القدري، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

❁ ❁ ❁

المبحث الثامن

حروف الجار الأصلية وأثرها في التفسير

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : تعلُّق الجار والمجرور .

المسألة الثاني : المعنى الأصلي .

المسألة الثالثة : شرح حروف الجر الأصلية .

۞ ۞ ۞

المسألة الأولى

تعلُّق الجار والمجرور

- حروف الجر الأصلية مع مجرورها لابد لهما من تعلق.

❊ فالجار والمجرور يتعلقان بعاملهما.

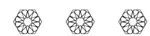
❊ وقد يكون العامل:

فعلًا.

أو شبهه كاسم الفعل.

أو المصدر.

أو المشتقات.



المسألة الثانية

المعنى الأصلي

- لكل حرف معنى أصلي:

١ - حرف «مِنْ» الابتداء.

٢ - حرف «إلى» الانتهاء.

٣ - حرف «حتى» الغاية.

٤ - حرف «عَنْ» المجاوزة.

٥ - حرف «على» الاستعلاء.

٦ - حرف «الباء» الإلصاق.

٧ - حرف «في» الظرفية.

٨ - حرف «الكاف» التشبيه.

٩ - حرف «اللام» الاختصاص.

١٠ - حرف «واو القسم»

١١ - حرف «تاء القسم»

القسم، ولا معنى لهما إلا القسم.

١٢- حرف «كي» التعليل.

١٣ - حرف «مذ» ابتداء الغاية.

١٤ - حرف «منذ» ابتداء الغاية.

- بالاستقراء لوحظ أن هذه الحروف خلا (واو القسم، وتاء القسم، وكي، ومذ، ومنذ، وحتى) قد يستعمل بعضها فوق بعض.

- وكما ترى أني استخدمتُ لفظ «فوق»، ولم أستخدم لفظ «بدل»، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: للحفاظ على المعنى المستور للحرف المحذوف.

الثاني: إثبات المعنى الملحوظ للحرف المنطوق.

* فإن تبين ما سبق:

عُلِمَ أن الاستخدام يدلُّ على أن المعنى مركبٌ من معنيين.

* مثال تطبيقي لحين التفصيل:

قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

ومعلوم!

أن الصلب يكون على الجذوع، لا فيها.

وعليه:

١ - الحرف المحذوف هو حرف «على»، وله معناه المستور.

٢ - وعدم ذكره لأن معناه متبادر للذهن، وإن كان لفظه محذوفًا.

٣ - الحرف المنطوق هو حرف «في» ومعناه الظرفية، ومعلوم أنه لا يُنْقر الجذع للصلب.

٤ - فكان المعنى المراد شدَّ الوثاق للمصلوب على جذوع النخل.

٥ - فآل المعنى إلى:

«ولأصلبنكم على جذوع النخل مشدودي الوثاق».

٦ - انظر إلى نعمة اللَّه : تم الاستغناء عن جملة « مشدودي الوثاق » بحرف « في » وهذا يناسب لغة العرب ، والتي تعشق الإيجاز والاختصار .

❊ فإن تبين ما سبق فاعلم :

١ - أن إطلاق تسمية- التضمن- على الحرف المنطوق لا تصح ، لأن التضمن يعني الجزئية ، والمعنى المستور ليس جزءًا من المعنى المنطوق .

٢ - أن إطلاق لفظ البدل على الحرف المنطوق لا يصح بحال ، لأن هذا يعني إهمال معنى الحرف المنطوق .

٣ - والذي أراه أن يسمى الحرف المنطوق « بالحرف المضاف على الحرف الأصلي » .

واللَّه أعلم .



المسألة الثالثة

شرح حروف الجر الأصلية

- تبين أن حروف الجر عشرون حرفًا ، كما عدّها ابن مالك ، رحمه اللّه .

* وبإخراج ما لا يصلح للاستعمال فوق حرف آخر ، وهي :

«ربّ ، عدا ، خلا ، حاشا» .

«لعل ، متى» .

«واو القسم ، تاء القسم ، كي ، مذ ، منذ ، حتى» .

* إذن : حروف الجر الأصلية التي تدخل تحت البحث هي ثمانية أحرف ، وهي :

«من ، إلى ، عن ، على ، الباء ، في ، الكاف ، اللام» .

* وإليك ما في كلّ حرفٍ من مسائل :

❁ ❁ ❁

الحرف الأول «مِنْ»

– حرف جر أصلي .

معناه : ابتداء الغاية .

* ومثاله : قوله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء : ١] .

– وقد استخدم هذا الحرف (مِنْ) كحرف إضافة إلى حرف أصلي آخر .

١ – فقد أضيف إلى حرف « في » الذي يفيد الظرفية .

كقوله تعالى : ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة : ٩] .

* فالأصل « في يوم الجمعة » حيث إن اليوم ظرف للصلاة ، وهذا متبادر إلى الذهن ، فحذفه لا يحدث لبسًا ولا غموضًا .

* والنص ينطق بحرف « مِنْ » ومعناها الابتداء .

* وعليه ! فالنص تضمن معنيين :

الأول : المعنى المستور للحرف المحذوف « في » وهذا المعنى هو أن صلاة الجمعة تقع في يوم الجمعة .

الثاني : المعنى الظاهر للحرف المنطوق « مِنْ » ، وهذا المعنى هو أن أول وقت صلاة الجمعة أول اليوم ، وأول اليوم هو الضحى ، بمعنى أن صلاة الجمعة لها وقت تعجيل ، فيصح وقوعها قبل الزوال ، وهذا المعنى جاء صريحًا في بعض نصوص السنة ، كما عند مسلم عن جابر– رضي اللَّه

عنه- : «أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة ثم نذهب إلى جمالنا فنريحُها حين تزول الشمس، يعني النواضح» .

* ولعل هذا من أسرار جواز الاستغناء عن الجمعة إذا اجتمعت مع العيد؛ لأن هذا الاستغناء لا يتم إلا إذا اجتمعت عبادتان من جنس واحد، فأغنت الكبرى عن الصغرى .

وحيث إن وقت صلاة العيد ضحى، كانت صلاة الجمعة كذلك .

وبالجملة !

فالاستغناء عن الجمعة بصلاة العيد، يعني أن صلاة العيد فرضٌ، وإلا كيف يُستغنى عن الفرض بسنة؟ !!

٢ - وقد أضيف إلى حرف «الباء» التي تفيد التعليل كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ [نوح: ٢٥] .

* فالأصل «الباء» التي تفيد التعليل، ولا يمكن حذفها إلا إذا اشتهرت شهرةً تغني عن ذكرها .

* والنص ينطق بحرف «مِنْ» ومعناها ابتداء الغاية .

* وعليه :

فالنص تضمن معنيين :

الأول: المعنى المستور للحرف المحذوف «الباء»، وهذا المعنى هو أن الذنوب سبب الإغراق .

الثاني: المعنى الظاهر للحرف المنطوق «من»، وهذا المعنى هو أنهم أخذوا بكل ذنبٍ اقترفوه، سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا؛ لأن مبدأ

الذنوب الصغائر، ثم الكبائر، ثم الكفر.

٣ - وقد أضيف إلى حرف «عَنْ» التي تفيد المجاوزة كقوله تعالى: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش: ٤].

* فالأصل «عن» التي تفيد المجاوزة، ولا يمكن حذفها إلا إذ اشتهرت شهرة تغني عن ذكرها.

* والنص ينطق بحرف «من» ومعناه ابتداء الغاية.

* وعليه!

فالنص تضمن معنيين:

الأول: المعنى المستور للحرف المحذوف «عن»، وهذا المعنى هو أن الإطعام كان كافيًا فجاوز الجوع.

الثاني: المعنى الظاهر للحرف المنطوق «من»، وهذا المعنى هو أن الإطعام حصل بمجرد الجوع أي في ابتدائه، وفي هذا الابتداء مظهر من مظاهر رحمة اللَّه.

وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

* فالأصل «عن الطيب»، واستفيد من هذه المجاوزة أن الفصل تم بين الخبيث والطيب، وتم إبعاد الخبيث عن الطيب.

* والنص ينطق بحرف «من»، واستفيد منها الإحاطة، أي تم فصل الخبيث عن الطيب من أول الطيب إلى آخره.

٤ - وقد أضيف إلى حرف «على» التي تفيد الاستعلاء، كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٧٧].

* فالأصل «على» التي تفيد الاستعلاء، ويستفاد من هذا الاستعلاء دوام النصر، واستمرار آثاره الحميدة، وباللزوم دوام الهزيمة لأهل التكذيب، واستمرار آثارها الذميمة.

* والنص ينطق بحرف «من»، أي أن الإبادة شاملة للقوم من أولهم إلى آخرهم؛ لذلك ختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧].

❁ ❁ ❁

الحرف الثاني « إلى »

- حرف جر أصلي .

- معناه : انتهاء الغاية في الزمان والمكان .

* ومثاله : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

وقد استخدم هذا الحرف (إلى) كحرف إضافة إلى حرف أصلي آخر .

١ - أضيف إلى «عند» التي تفيد الظرفية ، كقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ﴾ [يوسف : ٣٣] .

* فالأصل «عندي» ، أي التفضيل بين مكانين ، السجن وبلاط الملك ، فقدم يوسف ﷺ السجن ، وهذا هو المعنى المستور .

* والمعنى الظاهر للحرف المنطوق «إلى» هو أن هذا التفضيل سيستمر إلى النهاية .

فكان القول : السجن أحب عندي من بلاط الملك ، ولأصبرن إلى نهاية القضاء ، بحول اللّه وقوته .

٢ - أضيف إلى حرف المصاحبة « مع » ، كقوله تعالى : ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

* فالأصل « مع » ، والمصاحبة تفيد الطمأنة ، فما ظنك بأن الصاحب هو اللّه- جل جلاله- «يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما» .

* والنص ينطق بحرف «إلى» التي معناها انتهاء الغاية .

ويستفاد منها أن اللّه- عز وجل- صاحب لنا إلى المنتهى ، إلى تحقق

الغاية، قال تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

٣ - أضيف إلى حرف «اللام» الذي يفيد الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل: ٣٣].

* فالأصل «اللام» أي أن الأمر أنت تختصين به، فليس لأحد أن يتدخل فيه.

* والنص ينطق بحرف «إلى» والتي تفيد انتهاء الغاية، أي أمرك هو المنتهى ولا أمر بعده.

٤ - أضيف إلى حرف «في» التي تفيد الظرفية، كقوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنعام: ١٢].

* فالأصل «في» لأن يوم القيامة ظرف للمجموعين.

* والنص ينطق بحرف «إلى» التي تفيد انتهاء الغاية، أي أن جمعكم سيكون في آخر يوم من أيام الدنيا، والذي يسمى بيوم القيامة، وفيه إشارة أن الجمع هذا نهايته أيضًا يوم القيامة، حيث فريق في الجنة، وفريق في السعير.

❁ ❁ ❁

الحرف الثالث «عنْ»

- حرف جر أصلي .

- ومعناه : المجاوزة .

* ومثاله : قوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [ص : ٣١-٣٢] .

- وقد استخدم هذا الحرف «عن» كحرف إضافة إلى حرف أصلي آخر .

١ - أضيف إلى حرف «على» التي تفيد الاستعلاء ، كقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [محمد : ٣٨] .

* فالأصل «على نفسه» ، وهنا معنى مستور وهو أن الحديث عن المسلمين ، ففيه إثارة للهمة ، وتشحيذ لها ، بأن قال : البخل غلب نفسك ، واستعلى عليها .

* والحرف المنطوق «عن» يضيف معنىً آخر ، وهو أن البخل حرم النفس من الحسنات المترتبة على الإنفاق ، فكأنه قال : البخل جاوز النفس عن الحسنات .

وعليه !

فإن الآية جمعت بين انتصار البخل ، ولحوق أثره بالنفس .

٢ - أضيف إلى حرف «اللام» أو «الباء» والتي تفيد التعليل ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ﴾ [هود : ٥٣] .

❊ فالأصل «لقولك أو بقولك» وهنا معنى مستور، وهو أنهم لم ولن يجعلوا القول علةً للترك، مع أن قول الأنبياء تضمن الحق مبينًا.

فعلم أن المانع الحقيقي للترك هو الكبر، ردّ الحق.

❊ والحرف المنطوق «عن» يضيف معنىً آخر، وهو مجاوزة القول المقابل للترك، بأن تقول: إن آلهتنا أصابتك بسوء، لذلك في الآية التي بعدها: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤].

٣ - أضيف إلى حرف «من» التي تفيد ابتداء الغاية، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥].

❊ فالأصل «من عباده»، والمعنى المستور للحرف المحذوف، أن اللَّه هو الذي يقبل التوبة الصادرة من عباده، وهذا المعنى تضمن شيئين:

الأول: أن النيابة في التوبة لا تجوز.

الثاني: أن التوبة من العبد اعتراف بالذنب، وهذا إيمان بالقدر لا احتجاج به.

❊ والحرف المنطوق «عن» يضيف معنىً آخر، وهو أن اللَّه- عز وجل- تجاوز عن حقه.

❁ ❁ ❁

الحرف الرابع «على»

- حرف جر أصلي.

- المعنى الأصلي هو الاستعلاء.

* مثاله: قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢].

- وقد استخدم هذا الحرف «على» كحرف إضافة إلى حرف جر أصلي.

١ - أضيف إلى حرف «في» التي تفيد الظرفية، كقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ [القصص: ١٥].

* فالأصل «في حين»، وكما ترى الظرفية معلقة بالمدخول عليهم.

* والحرف المنطوق هو «على» وهذا يضيف معنىً آخر، وهو أنه يدل على الاستعلاء، وأنه معلق بالداخل وهو موسى ﷺ.

وعليه!

* فالدخول كان فجأة، وكان انقضاضًا.

* ويدل أيضًا أن الدخول كان من الجهة العليا للمدينة، وهذا يناسب الحال، حيث يكون كاشفًا للمدينة قبل دخولها.

وعليه!

فمعنى الآية؛ أن موسى ﷺ دخل المدينة من الجهة العلوية فجأة وكان أهلُها في غفلة.

٢ - أضيف إلى حرف «اللام» التي تفيد التعليل، كقوله تعالى:

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* فالأصل «لما هداكم» واللام هي التعليلية، والمعنى أن العلة هي الهداية والحكم هو التكبير.

* والحرف المنطوق هو «على» يفيد الاستعلاء، وهذا معلق بالمؤمنين، وأفاد أن التكبير صفة استعلاء، ودليل على علو همة المكبرين، وعلو شأنهم على غيرهم بالإيمان.

وعليه!

فالمعنى هو «أيها المؤمنون أنتم الأعلون حالًا وصفةً، لأنكم تكبرون اللَّه لما هداكم».

٣ - أضيف إلى «مع» التي تفيد المصاحبة، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٦].

* فالأصل «مع حبه»، والمعنى أن إيتاء المال يجب أن يخرج من المتصدق مصحوبًا بطيب النفس وكمال الرضا.

* والحرف المنطوق هو «على» الذي يفيد الاستعلاء، وهذا معلق بنوع المال، فيجب أن يختار من المال أطيبه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

مثال آخر: قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

* فالأصل: الحمد للَّه الذي وهبني مع الكبر إسماعيل، أي هبة اللَّه عز وجل مصاحبة لكبر إبراهيم وأهله.

* والحرف المنطوق هو «على» الذي يفيد الاستعلاء، وهذا الحرف معلق بالكبر، فكأن المراد أن اللَّه إذا أراد شيئًا لم يمنعه شيء، ولو كان مخالفًا للناموس المعتاد، ولا غرو!

فإن الناموس من قدر اللَّه، ومخالفته من قدر اللَّه، فهو سبحانه الأول والآخر، فتبين:

١ - أن إعمال الحرف الظاهر مطابق للإجماع بأن ظواهر الألفاظ معمول بها ما لم تصرف بنص.

٢ - أن القول بأن «على» بمعنى «مع» غير موفق، لا من جهة المباني، ولا من جهة المعاني، ولا من جهة مناسبة لغة العرب التي تعشق الإيجاز والاختصار.

مثال آخر:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

* فالأصل: وإن ربك لذو مغفرة للناس مع ظلمهم، أي: أن مغفرة اللَّه مصاحبة في الزمان ظلم الناس، فخير اللَّه نازل وشر العباد صاعد.

* والحرف المنطوق هو «على» الذي يفيد الاستعلاء، بمعنى أن رحمة اللَّه- عز وجل- غلبت غضبه سبحانه وتعالى.

٤ - أضيف إلى حرف «من» التي تفيد ابتداء الغاية، كقوله تعالى:

﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢].

* فالأصل «من الناس»، وقطعًا هذا المعنى مراد، لأن الفعل (اكتالوا) لا يدل على المشاركة بلفظه، إنما دل على المشاركة بحرف «من» التي أدخلت الناس كطرف آخر، لا أنهم هم المكالون، بل أموال الناس هي الموكالة.

* والحرف المنطوق «على» التي تفيد الاستعلاء، وهذا المعنى تضمن الجبر والقهر، فكان مناسبًا لقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

ولا يقال: إن التطفيف جاء بحيلة، فهذا لا يناسب وعيد الويل، ولا يناسب صفة الفُجر من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

٥ - أضيف إلى حرف «الباء» التي تفيد الإلصاق، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨].

* فالأصل «وإنكم لتمرون بهم مصبحين، وبالليل» ومعلوم أن الفعل «مر» يتعدى بالباء، والتي تفيد الإلصاق، وهذا يدل على المحازاة والقرب الشديد.

* والحرف المنطوق هو «على» الذي يفيد الاستعلاء، والمعنى:

أ - إما إنكم لتمرون من فوق محازين لهم، قريبين منهم.

ب - وإما إنكم لتمرون مستعلين بحالكم، محازين لهم، وقريبين منهم.

٦ - أضيف إلى حرف «إلى» التي تفيد انتهاء الغاية، كقوله تعالى:

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩١-٩٣].

* فالأصل «فراغ إليهم ضربًا باليمين»، لأن الفعل «راغ» يتعدى بحرف الجر «إلى» والذي يدل على انتهاء الغاية، فدل ذلك على القرب الشديد من الأصنام.

* والحرف المنطوق هو «على» الذي يفيد الاستعلاء، ومعنى هذا أن الضرب حصل من أعلى، وهذا أشد إهانة للمضروب، وللعابدين للأصنام.



الحرف الخامس «الباء»

– حرف جر أصلي.

* يجر الاسم الظاهر والمضمر، وهو العامل في المجرور.

* وهذا الحرف مبني على الكسر، وهو الأحسن.

* ومعناه: الإلصاق، ولم ينص سيبويه على غيره.

* مثاله: قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦].

إذن: المسح يعم جميع الرأس، وعليه! فالقول بالتبعيض لا تساعده لغةً، لأن الانتقال من الأصل إلى الفرع «التبعيض» لابد له من قرينة، وهي غير موجودة، بل القرينة وجدت على خلاف ذلك تمامًا، حيث عمم النبي ﷺ رأسه، ولم يثبت قط أنه اقتصر على بعضها فقط.

– وقد استخدم هذا الحرف «الباء» كحرف إضافة إلى حرف جر أصلي.

١ – أضيف إلى حرف «في» التي تفيد الظرفية، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

* فالأصل «في بدرٍ» أي وقع نصر اللَّه في أرض بدرٍ.

* والحرف المنطوق هو «الباء» وهذا يضيف معنىً آخر، وهو ثبات الأقدام في أرض بدر.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر: ٣٤].

* فالأصل «في سحرٍ» أي كان وقت السحر ظرفًا للنجاة.

* والحرف المنطوق هو «الباء» وهذا يضيف معنىً آخر، وهو أن وقت النجاة استغرق كل وقت السحر، وليس بعضه.

٢ - أضيف إلى «مع» التي تفيد المصاحبة، كقوله تعالى: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾ [هود: ٤٨].

* فالأصل «مع سلام» أي هبوطك مصاحب للسلامة.

* والحرف المنطوق هو «الباء» وهذا يضيف معنىً آخر، وهو عدم الانفكاك بين السلامة وبين الإقامة بعد الهبوط، وبهذا دفع إيهام أن السلامة مقصورة على الهبوط.

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٦١].

٣ - أضيف إلى حرف «من» التي تفيد ابتداء الغاية، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

* فالأصل «منها» وهذا يثبت الشرب ابتداءً من العين، ولكن لم يقصر الشرب عليها.

* والحرف المنطوق هو «الباء» وهذا يضيف معنىً آخر، وهو دفع عدم القصر عليها، أي شرب منها حتى روي، فهو ليس في حاجة إلى غيرها، ولعل هذا السبب هو الذي دفع بعض الأفاضل للقول بأن «يشرب» ضمن معنى «يروى».

وبهذه «الباء» تم التفريق بين السابقين المقربين الذين يشربون بها، وبين أصحاب اليمين الذي يشربون منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]. فأصحاب اليمين يشربون منها

ومن غيرها .

٤ - أضيف إلى حرف «عن» التي تفيد المجاوزة، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٦].

* فالأصل «فاسأل عنه»، أي أن السؤال يوجه إلى الخبير، ولكن لا يمنع ذلك من توجيهه إلى غيره.

* والحرف المنطوق هو «الباء» التي تفيد الإلصاق، وقد أضافت معنىً آخر، وهو الحصر والقصر على الخبير دون غيره. وبهذا دفع الاحتمال بتوجيه السؤال إلى غيره.

٥ - أضيف إلى حرف «إلى» التي تفيد انتهاء الغاية، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

* فالأصل «أحسن إلي» أي أن إحسان اللَّه- عز جل- وصل إلى يوسف عليه السلام، ولكن دوامه واستمراره لا يستفاد من حرف «إلى».

* والحرف المنطوق هو «بي» الذي يفيد الإلصاق، والتي يستفاد منها الاستمرار والدوام، وهذا الكلام هو المناسب لقوله «إذ» لأنها ظرف ماضيٌّ، أي قبل وقت التكلم وهو مستمر إلى وقت التكلم، والذي يؤكده قوله: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ وهذا قطعًا بعد فترة.

❁ ❁ ❁

الحرف السادس «في»

- حرف جر أصلي.

- معناه: الظرفية.

* مثاله: قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم: ٢-٣].

- وقد استخدم هذا الحرف «في» كحرف إضافة إلى حرف جر أصلي.

١ - أضيف إلى حرف «على» الذي يفيد الاستعلاء، كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١].

وقد سبق تفصيل هذا المثال.

٢ - أضيف إلى «مع» التي تفيد المصاحبة، كقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ [الأعراف: ٣٨].

* فالأصل «مع أمم» أي ادخلوا مصاحبين أممًا، وهذه المصاحبة لا يلزم منها أنهم في دركة واحدة.

* والحرف المنطوق: «في» يضيف معنىً جديدًا، وهو أنهم في دركة واحدة.

٣ - أضيف إلى حرف «اللام» الذي يفيد التعليل، كقوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٨].

* فالأصل «لما» أي أن المس بسبب الفداء.

* والحرف المنطوق: «في» يضيف معنىً آخر، وهو أن هناك مسًّا

آخر وهو الناتج من تلف الفداء نفسه، وعليه! فالمس المذكور هو مجموع مس الفعل وهو الموافقة على الفداء، ومس تلف الفداء وهلاكه.

٤ - أضيف إلى حرف «الباء» الذي يفيد الإلصاق، كقوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١].

* فالأصل «به» والتي تفيد الإلصاق في الصفة، وهذا يدل على المطابقة في النوع: ذكرًا وأنثى.

* والحرف المنطوق: «في» الذي يفيد الظرفية، ويستفاد منه التشابه في الصورة الكلية.

٥ - أضيف إلى حرف «إلى» الذي يفيد انتهاء الغاية، كقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩].

* فالأصل «إلى أفواههم»، ولا يلزم من هذا أنهم أدخلوها في أفواههم.

* والحرف المنطوق: «في» الذي يفيد الظرفية، يدل على أنهم أدخلوها في أفواههم بقصد العض.

❁ ❁ ❁

الحرف السابع «الكاف»

- حرف جر أصلي.

* يجر الاسم الظاهر.

* تكتب بالفتح، لأنها أخف الحركات.

* ومعناها: التشبيه.

* ومثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥].

- وقد استخدم هذا الحرف «الكاف» كحرف إضافة إلى حرف جر أصلي.

١ - أضيف إلى حرف «التعليل»، كقوله تعالى: ﴿اذكروه كما هداكم﴾ [البقرة: ١٧٨].

* فالأصل «لما هداكم» أي اذكروه لهدايته إياكم.

* الحرف المنطوق هو «ك» والتي تفيد التشبيه، ويستفاد منها أن ذكركم لابد وأن يتناسب مع هداية اللَّه- عز وجل- لكم، وهذا المعنى يثبت التلازم بين الباطن والظاهر، لأن الهداية المذكورة في الآية هي هداية التوفيق والإلهام وهذه محلها القلب، والذكر محله اللسان واليد.

ومثلها: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

٢ - أضيف إلى حرف «على» التي تفيد الاستعلاء، كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

* فالأصل «على ما أمرت»، والمعنى المستفاد أن من التزم أمر اللَّه- عز وجل- كان مستقيمًا مستعليًا.

* الحرف المنطوق هو «كـ» والتي تفيد التشبيه، وهذه تضيف معنىً آخر، وهو أن الاستقامة المعتبرة هي ما طابقت الأمر.

❁ ❁ ❁

الحرف الثامن «اللام»

- حرف جر أصلي.

* مكسور مع الاسم الظاهر «للَّه»، مفتوح مع المضمر «لهو» عدا مع ضمير المتكلم للواحد «لي».

* ومعناه: الاختصاص.

* ومثاله: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا﴾ [يوسف: ٧٨].

- وقد استخدم هذا الحرف «اللام» كحرف إضافة إلى حرف جر أصلي.

١ - أضيف إلى معنى «إلى» التي تفيد انتهاء الغاية، كقوله تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧].

* فالأصل «إلى بلد» والمعنى السحاب وصل إلى منتهاه، وهو البلد الميت.

* والحرف المنطوق هو «اللام» وهو يفيد الاختصاص، والمعنى الإضافي المستفاد هو أن هذا السحاب مختص بهذه البلدة وفقط، لا قبلها ولا بعدها.

ومثلها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

٢ - أضيف إلى معنى «الباء» التي تفيد الإلصاق، كقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

* فالأصل « ينادى بالإيمان » وهذا يدل على أن المنادى والإيمان مقترنان .

* والحرف المنطوق « اللام » التي تفيد الاختصاص ، وهذا يدل على أن النداء خاص بالإيمان ، فلا دعوة إلا إلى الإيمان ولو كره الحاقدون والحاسدون .

ومثلها : قوله تعالى : ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية : ٩] .

٣ - أضيف إلى معنى الحرف «على» الذي يفيد الاستعلاء ، كقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد : ٢٥] .

* فالأصل «عليهم اللعنة» ، والمعنى المستفاد أن اللعنة نازلة عليهم حتى غشيتهم .

* والحرف المنطوق : «اللام» التي تفيد الاختصاص ، فلا تتعدى المراد ، ومثلها : قوله تعالى : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف : ١٠٠] .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء : ٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

وقوله تعالى : ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات : ١٠٣] .

٤ - أضيف إلى معنى «في» التي تفيد الظرفية ، كقوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ [آل عمران : ٩] .

* الأصل «في يوم» أي أن المجموع مظروف لليوم .

* والحرف المنطوق : «اللام» التي تفيد الاختصاص ، أي أن هذا

اليوم اختص بجمع الناس، فلا جمع لهم قبله، ومثلها: قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٥ - أضيف إلى معنى «من» التي تفيد ابتداء الغاية، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

* الأصل «من القوم الظالمين» أي أن البعد كان من القوم الظالمين، و«من» لابتداء الغاية، إذن: البعد سيزداد حتى يصل إلى منتهاه؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

* والحرف المنطوق: «اللام» التي تفيد الاختصاص، أي البعد منهم لا من غيرهم.

ومثلها: قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

٦ - أضيف إلى معنى «عن» التي تفيد المجاوزة، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١].

* الأصل «وقال الذين كفروا عن الذين آمنوا...» فقد زعم الكافرون عدم المجاوزة.

* الحرف المنطوق «اللام» التي تفيد الاختصاص، فزعم الكافرون أن القرآن ليس خيرًا فلا اختصاص للمؤمنين.

المبحث التاسع

الضمير

١ - الضمائر؛ إما للمتكلم، وإما للمخاطب، وإما للغائب.

* فضمير المتكلم والمخاطب لا يحتاجان إلى مرجع، لأن دلالة الحضور تدلُّ على المطلوب.

٢ - وأما ضمير الغائب فيحتاج إلى مرجع ولابد.

* والأصل في المرجع أن يكون سابقًا على الضمير لفظًا ورتبة، ومطابقًا لفظًا ومعنًى.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢].

* ويستثنى من الأصل بعض الصور، خلافًا للمحارب طه حسين.

قال ابن مالك في التسهيل:

«الأصل تقديم مفسر ضمير الغائب، ولا يكون غير الأقرب إلا بدليل وهو إما مصرح به بلفظه، أو مستغنى عنه بحضور مدلوله حسًّا أو علمًا أو بذكر ما هو له جزء أو كل أو نظير أو مصاحب بوجه ما».

قلتُ:

أولًا: عود الضمير إلى ما سبق، وما سبق يتضمن الضمير.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ ... ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

فإن الضمير «هو» يعود على العدل الذي يتضمنه لفظ «اعدلوا»، أي أن العدل أقرب للتقوى.

ثانيًا: عود الضمير إلى ما سبق، وما سبق دالًّا عليه بالتزام.

قال تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ اعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فإن الضمير في «إليه» يعود على العافي الذي يستلزمه «عُفي».

ثالثًا: وقد يكون المرجع سابقًا لفظًا لا رتبة.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ [البقرة: ١٢٤].

رابعًا: وقد يكون المرجع متأخرًا لفظًا لا رتبة.

قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧].

خامسًا: وقد يكون المرجع متأخرًا لفظًا ورتبة.

وهذا في باب ضمير الشأن والقصة، وباب نعم وبئس.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ﴾ [الإخلاص: ١].

وقال تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

سادسًا: وربما عاد الضمير على اللفظ دون المعنى.

قال تعالى: ﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١].

فالضمير في «عمره» يعود على معمر آخر غير المذكور أولًا.

سابعًا: وربما عاد الضمير على المعنى فقط.

قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن

تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء : ١٧٦] .

فألف الاثنين لم يسبقها تثنية ، ولكن الكلالة تقع وقوعًا مستويًا على الواحد والاثنين والجمع ، فتثنية الضمير حملًا على المعنى .

ثامنًا : وقد يراعى في الضمير اللفظ مرةً ، والمعنى أخرى .

قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٨] .

فالضمير في « يقول » مفرد مراعاة للفظ « من » .

وفي « هم » جمع مراعاة لمعنى « من » لأنها اسم موصول مشترك .

تاسعًا : الضمير يعود إلى أقرب مذكور ، ما لم يدل دليل على خلاف ذلك .

عاشرًا : الضمير يعود إلى المضاف لا إلى المضاف إليه ، لأنه هو المراد .

قال تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

الحادي عشر : ضمير الفصل أو العماد- على رأي- يوضع بين المعرفتين بقصد دفع إيهام الوصفية ، وليس له محل من الإعراب باعتبار أنه ضمير فصل ، ويفيد أيضًا قصر المسند على المسند إليه .

وإذا كان القصر حاصلًا بدون ضمير الفصل كان الضمير للتوكيد كقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النحل : ١٢٥] .

❁ ❁ ❁

المبحث العاشر

التعريف والتنكير

إذا ذكر الاسم مرتين في سياق واحدٍ، فله أربع حالات:

الأولى: معرفتان:

قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

فالثاني هو الأول في هذه الآية، وغالبًا ما يكون كذلك.

الثانية: نكرتان:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ يَكُن لَّهَا﴾ [الروم: ٥٤].

الضعف الأول النطفة، والثاني الطفولية، والثالث الشيخوخة.

والحالتان السابقتان يجمعهما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ﴾ [الانشراح: ٥-٦].

الثالثة: الأول نكرة، والثاني معرفة:

فالثاني هو الأول حملًا على العهد.

قال تعالى: ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ * ٱلْعُسْرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾

[المزمل: ٥-٦].

الرابعة: الأول معرفة، والثاني نكرة.

هذه الحالة حسب القرائن.

فالثاني غير الأول كقوله تعالى: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ [الروم: ٥٥].

والثاني هو الأول كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

❁ ❁ ❁

الأصل الرابع عشر

ضوابط علم التفسير

«الأساليب»

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : الكلام الخبري والإنشافَإِنَّ .

المبحث الثاني : جواز نفي الثابت حال المقارنة .

المبحث الثالث : المعطوف والمعطوف عليه .

المبحث الرابع : عطف الخبر على الطلب .

المبحث الخامس : مطلق الشيء والشيء المطلق .

المبحث السادس : السؤال والجواب .



المبحث الأول

الكلام الخبري والإنشائي

- ينقسم الكلام باعتبار الخبر والإنشاء إلى أربعة أقسام:

الأول: الكلام الخبري اللفظ والمعنى.

الثاني: الكلام الإنشائي اللفظ والمعنى.

الثالث: الكلام الخبري اللفظ، الإنشائي المعنى.

الرابع: الكلام الإنشائي اللفظ، الخبري المعنى.

- المراد بالخبر الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب.

- وقد تنازع الناس في حرف العطف هل الخبر يحتمل الصدق أو الكذب، أم يحتمل الصدق والكذب.

* والصواب أنه يحتمل الصدق والكذب، لا الصدق أو الكذب.

وهذه المسألة بنيت على الفرق بين المقبولات والقبولات.

فالمقبول يمنع الاجتماع، والقبول لا يمنعه لأن تعلقه بالذات فمن قال بالمقبول قال «أو».

ومن قال بالقبول قال «و».

* والصواب كما سبق الواو، وذلك بالنظر إلى الذات، يعني هذا الكلام يقبل الصدق والكذب فاجتمع على الذات وهذا قبل الحكم.

خلاصة الكلام:

المقبول بعد الحكم، وبعده لا اجتماع.

القبول قبل الحكم، وقبله اجتماع.

لذلك يقال: «لا يلزم من تنافي المقبولات تنافي القبولات».

* وصدقة وكذبه يتوقفان على حالة المخبر.

* وعليه فكلام اللَّه سبحانه لا يحتمل إلا الصدق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

* وكذلك نبيه ﷺ كلامه لا يحتمل إلا الصدق.

* وأما كلام غير الأنبياء فيحتمل الصدق والكذب.

- والمراد بالإنشاء، الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب.

* لأنه طلب: افعل أو لا تفعل.

- **القسم الأول: الكلام الخبري لفظًا ومعنًى:**

* ومثالها: قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢].

وقوله تعالى ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ [فاطر: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ [المجادلة: ١].

وقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...». [متفق عليه عن عمر]

وقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا اللَّه». [متفق عليه عن ابن عمر].

وقوله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يفترقا...». [متفق عليه عن حكيم بن حزام].

القسم الثاني: الكلام الإنشائي لفظًا ومعنًى:

* ومثالها: قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٍۢ يَكُن لَهَوَبِٱلۡيَوۡمِ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡعُسۡرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنُواْ كُونُواْٱلۡوَٰلِدَٰتُ﴾ [الإسراء: ٣٢].

* ومثلها: «نهى رسول اللَّه ﷺ عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن» [متفق عليه عن أبي مسعود عقبة بن عامر].

وأيضًا: «نهى النبي ﷺ عن المحاقلة، والمخاضرة، والمنابذة، والملامسة، والمزابنة» [رواه البخاري عن أنس].

القسم الثالث: الكلام الخبري اللفظ، الإنشائي المعنى:

* ومثالها: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فالآيتان خبريتا اللفظ، ولكن معناهما إنشائيٌّ، أي المطلقات يجب عليهن أن يتربصن ثلاثة قروء، وكذلك الوالدات يجب عليهن أن يرضعن أولادهن حولين كاملين.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ [الصف: ١٠-١٢].

ووجه الاستدلال:

أن اللفظ (يغفر) مجزوم بالسكون، ووقع موقع الجواب، وعليه لابد

من شرط قبله أو طلب.

ولا شرط قبله، فتعين الطلب، وإياك أن تعتبر الاستفهام هنا لأنه من الطلب، ولكن لا يصلح هنا، لأن النبي ﷺ قد دل الناس: فمنهم من قبل الهدى، ومنهم من لم يقبل الهدى، فلو كان الطلب هو الاستفهام لكانت المغفرة لهما جميعًا، وهذا باطل بالنص والإجماع، فإن الكفر لا يذوب إلا بالتوبة حال الحياة.

فتبين أن الطلب هنا- تؤمنون- نعم: لفظها خبري، ولكن معناها إنشائي، أي آمنوا... يغفر...».

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡكَلَـٰلَةِۚ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ووجه الاستدلال:

أن لفظ الآية يخبر بأن من دخله أمن، وعلى هذا فإن الخبر كوني قدري، ولكن هذا غير مراد بل الآية إنشائية المعنى، أي من دخله فأمنوه، وعلى هذا فإن الخبر ديني شرعي.

والخبر الديني الشرعي قد يفعله المكلف، وقد لا يفعله، وعليه من أُذي إذا دخل الحرم كان من تقصير المكلف.

* وقال ﷺ: «... لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه، حتى يذر».

[رواه مسلم].

ووجه الاستدلال:

أن اللفظ خبري، ولكن معناه إنشائي، أي (لا يخطب) ف «لا» هي الناهية في المعنى، وإن كانت النافية في اللفظ.

والذي يبين ذلك: أن هذا العمل يورث العداوة والبغضاء بين المسلمين، ويضيع الفرص على الضعفاء منهم، وهذه المعاني نهى عنها الشارع، وعن كل الوسائل التي تؤدي إليها.

القسم الرابع: الكلام الإنشائي اللفظ، الخبري المعنى:

* ومثالها: قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ ٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

*** ووجه الاستدلال:**

قوله تعالى: ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ﴾ وهذا لفظ إنشائي، ولكن معناه خبري، وذلك لأن:

١ - أن الآية مختومة بـ ﴿إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ والصدق والكذب في الخبر لا في الإنشاء.

٢ - من هذا الذي يفعل بغير أمره في هذا اليوم العظيم؟!

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

* ومثال آخر: قال ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، . . .» [رواه أحمد عن أبي هريرة]

*** ووجه الاستدلال:**

«لا تدخلوا» لفظ إنشائي، وقطعًا غير مراد، فلو كان مرادًا لدخل الكافرون الجنة.

ولكن المراد «لا تدخلون»، وقد ورد هذا اللفظ الخبري عند مسلم، رحمه اللَّه.

تدبر ما سبق تجدُ:

❊ أن الإنشائي هو: افعل ولا تفعل، وهذا عمل.

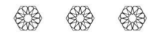
❊ وأن الخبر هو: الصدق والكذب، وهذا علم.

❊ ومن المعلوم أن العلم سابق للعمل، وعليه فهو أصله.

إذن: الخبر سابق للإنشاء.

والخبر أصل الإنشاء.

فدونك! التحقيق الدقيق، والبحث الأنيق.



المبحث الثاني

جواز نفي الثابت حال المقارنة

تمهيد :

- لابد من التفريق بين الشيء حال انفراده وحال اقترانه .

* فقد يحكم عليه حال انفراده بالإثبات ، وحال اقترانه بالنفي .

* وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام الأكابر كأحمد، رحمه اللَّه .

- مثال :

* قال تعالى : ﴿بِمَا لَنَا خَلَطَيَكُمْ وَمَا بِحُمِلِينَ وَالْمُطَلِقَبَصْرِيَأَيُّهَا الَّذِينَ﴾ [الحج : ٤٦] .

وقال تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ [فاطر : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [عبس : ٢] .

* فكما ترى: آيتا فاطر وعبس تثبتان صفة العمى . وهذا حال الانفراد .

* ولكن في آية الحج نفت صفة العمى ﴿بِمَا لَنَا خَلَطَيَكُمْ﴾ وهذا حال الاقتران .

* ولكن لِمَ صح النفي هنا؟!

الجواب : أن الضرر المترتب على عمى البصر غايته فقد الرؤية وهذا حال الدنيا ، وأما الضرر المترتب على عمى القلوب فهو خسارة الدنيا والآخرة .

وكما ترى عند مقارنة الضررين، تجد أن الأول ضئيل جدًّا بالنسبة إلى الثاني، ومن هنا جاز نفيه.

- واعتبر ما سبق بحل مثال «لم يعمل خيرًا قط».

١ - قال ﷺ: «هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشّمسِ... ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُم فِي قَلبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الملَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا؛ فَيُلقِيهِم فِي نَهرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...».

٢- وقال ﷺ: «هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ... حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ أَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُم في النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتُحِشُوا؛ فَيُصَبُّ عَلَيْهِم مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...».

انظر هداني اللَّه وإياك لما يحب ويرضى:

١ - الحديثان رواهما أحمد والشيخان، وكلاهما عن راوٍ واحدٍ وهو أبو سعيد.

٢ - أن الطائفة التي ستخرج برحمة اللَّه، في الحديث الأول «لم يبق إلا أرحم الراحمين»، والحديث الثاني «وأراد أن يخرج برحمته».

٣ - أن الطائفة التي ستخرج في الحديث الأول «قد عادوا حممًا»، وفي الثاني: «وقد امتحشوا» والمعنى واحد.

٤ - أن الطائفة التي ستخرج في الحديث الأول «فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل»، وفي الثاني «فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل».

٥ - فتبين مما سبق أن الحديثين حديث واحد، ما أُجْمِل في أحدهما فسر في الآخر.

٦ - فتبين أن من وصفوا بـ«لم يعملوا خيرًا قط» جاءوا بـ:

أولًا: قول اللسان «لا إله إلا اللَّه».

ثانيًا: تصديق القلب؛ لأنهم لم يشركوا باللَّه شركًا يخرجهم من الملة.

ثالثًا: جاءوا بعمل الجوارح (الصلاة).

٧ - ليس العمل الذي جاءوا به هو الصلاة فحسب، ولكن جاءوا بأعمال أخرى، ألا ترى أن قول اللسان قصر على (لا إله إلا اللَّه) ولكن قطعًا جاءوا بـ (وأن محمدًا رسول اللَّه).

٨ - إذن: معنى: «لم يعمل خيرًا قط» أي عمل خيرًا ولكنه قليل بالنسبة لما طلب.

إذا تبين لك ما سبق- هداني اللَّه وإياك- :

* لك أن تسأل لم إذن نفي العمل مع ثبوته؟!!

قلتُ :

أولًا : هذه هي لغة الشارع- يرحمني اللَّه عز وجل وإياك- بل هي لغة العرب، بل هي العرف الذي تعارف عليه الناس، أنه يجوز نفي الثابت حال المقارنة، سواء كان المقابل ملفوظًا أو مقدرًا، ولبيان هذا إليك :

ثانيًا : الأدلة :

١ - قال تعالى : ﴿بِوَالْتَحَلِطَيَكُمْ وَمَا بِحُمِلِينَ وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾ [الحج : ٤٦].

وقال تعالى ﴿وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ [فاطر : ١٩].

وقال تعالى : ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [عبس : ٢].

فكما ترى أن آيتي فاطر، وعبس تثبتان صفة العمى، وهذا حال الانفراد.

وفي آية الحج نفت صفة العمى ﴿بِوَلَٰكِنَّهَاخَلِطَٰكُمْ﴾ وهذا حال الاقتران.

وصح هذا النفي ؛ لأن الضرر المترتب على عمى البصر غايته فقد الرؤية والاستمتاع به حال الدنيا، ولكن الضرر المترتب على عمى القلوب فقد الدنيا والآخرة، وبمقارنة الضررين نجد أن الضرر المترتب على عمى البصر قليل جدًّا، وأن الضرر المترتب على عمى القلب كثير جدًّا، فجاز نفي الثابت حال المقارنة.

والنفي حال المقارنة لا ينفي الثابت حال الانفراد.

فصح أن يقال: لم يعمل خيرًا قط، والمعنى: عمل خيرًا قليلًا.

٢ - قال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». [رواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة].

فهنا شدتان، إحداهما منفية، والأخرى مثبتة، وهذا عند الاقتران.

ولكن الشدة المستخدمة في صرع الآخر ثابتة في نفسها، والشدة المستخدمة في صرع الغضب ثابتة.

ولكن الشدة المستخدمة في صرع الآخر مقدارها قليلٌ جدًّا، بالنسبة لمقدار الشدة المستخدمة في صرع الغضب.

فجاز النفي حال المقارنة، مع ثبوته في ذاته فصح أن يقال: لم يعمل خيرًا قط. والمعنى: عمل خيرًا قليلًا.

٣ - وهاك هدايا تجري هذا المجرى:

قال ﷺ: «لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ والشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ». [رواه الحاكم عن أبي هريرة].

وقال ﷺ: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّه اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ له فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ».

[رواه الشيخان عن أبي هريرة].

وقال ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا». [رواه أحمد والبخاري عن ابن عمر].

وقال ﷺ: «إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ». [رواه البخاري عن أسامة بن زيد].

وقال ﷺ : «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» .

[رواه البخاري عن أبي هريرة].

وقال ﷺ : «أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ . . .» . [رواه مسلم عن أبي هريرة].

وقال ﷺ : «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُم . . .» .

[رواه مسلم عن ابن مسعود].

وقال ﷺ : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ لا خَيْرَ فِيهِم» . [رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود].

فالخيرية قائمة في الأمة إلى يوم القيامة، وقال ﷺ : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُم حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» .

[رواه ابن ماجه عن قرة بن إياس].

والنفي صح مقارنة لا نفيًا لذات الخيرية فيمن بعدهم .

ثالثًا: وهذا الأسلوب طريقة أهل الحديث .

قال السخاوي في فتح المغيث ص ٣٤٨ :

«قال عثمان الدارمي : سألت ابن معين عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه كيف حديثهما؟ فقال : (ليس به بأس) قلت : وهو أحب إليك أم سعيد المقبري؟ قال : سعيد أوثق، والعلاء ضعيف» .

كما ترى وصف العلاء بأنه ثقة- ليس به بأس- حال الإفراد، وحالة المقارنة وصفه بالضعف .

رابعًا: وهذا الأسلوب مستعمل في لغة العرب، حيث جعلوا علاقة بين الاسم والمسمى باعتبار الإثبات والحذف :

١ - إثبات الاسم والمسمى:

وهذا نوعان:

الأول: إثبات كامل الاسم وكامل المسمى، كاسم النبي ﷺ، محمد ﷺ.

الثاني: إثبات بعض الاسم وكامل المسمى.

كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّضَاعَةَۚ تَعۡدِلُواْ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ إِحۡسَٰنٍ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ إِنَّهُمۡ كَٰذِبُونَ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ وَلَقَدۡ﴾ [يونس: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٢ - إثبات الاسم دون المسمى:

كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ أَلَمۡ﴾ [النجم: ٢٣].

٣ - حذف الاسم وإثبات المسمى:

كقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡخَٰطِئِينَ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا﴾ [الحج: ٤٦].

٤ - حذف الاسم والمسمى:

كالبخار المتصاعد من العذرة أثناء حرقها.

وليس من هذا الباب تحول صور الماء إلى الثلج.

خامسًا: قوله ﷺ: «لم يَعمل خَيرًا قَط».

* على فهم هؤلاء، إذن: النكرة في سياق النفي تفيد العموم، وعليه لم يعمل واجبًا ولا مستحبًّا، ولا مباحًا فيه نفع.

وعليه :

* فإما ترك الشر امتثالًا ، وهذا لا وجود له في الأعيان ، فإن المكلف لا يخلو من عمل كما سبق ، وكذلك ينفي التلازم ، وهو ثابت .

* وإما فعل كل شر ، وهذا حق ؛ لأنه يثبت التلازم بين الأمر والنهي .

* بل العموم السابق يرد على القول الخبيث ، بأن قول اللسان من عمل الجوارح .

* وعليه ، فلم ينطق بالشهادتين لأنهما رأس كل خير مع قدرته على النطق بهما ، وهذا كفر صريح بالنص والإجماع كما سبق .

* بل العموم السابق ينفي أيضًا عمل القلب ، فأي اعتذارٍ لإثباته هو عذرنا في إثبات عمل الجوارح .

۞ ۞ ۞

المبحث الثالث

المعطوف والمعطوف عليه

- إذا عطف شيء على شيء :

❋ شارك المعطوف المعطوف عليه في الحكم .

❋ ولا يلزم من المشاركة في الحكم التسوية ، سواء كانت في الكم أو الكيف أو غير ذلك .

- **المعطوف بالنسبة للمعطوف عليه على أربعة أنواع :**

النوع الأول : المعطوف غير المعطوف عليه :

١ - قال تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة : ٤] .

وجه الاستدلال : أن المعطوف هو (الأرض)، والمعطوف عليه هو (السماوات) والأرض غير السماوات .

٢ - وقال تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ﴾ [البقرة : ٩٨] .

وجه الاستدلال : أن ميكال غير جبريل .

٣ - وقال تعالى : ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ بِإِحْسَٰنٍ ❋قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ﴾ [آل عمران : ٣-٤] .

وجه الاستدلال : أن الفرقان غير الإنجيل ، والإنجيل غير التوراة .

النوع الثاني : المعطوف جزء من المعطوف عليه :

وهذا النوع يسمى بعطف الخاص على العام .

١ – قال تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وجه الاستدلال: أن لفظ (الصلوات) لفظ عام، ومن أجزائه الصلاة الوسطى، والصلاة الوسطى (لفظ خاص).

وعليه: فإن الصلاة الوسطى ذكرت مرتين، مرة ضمن اللفظ العام، ومرة باللفظ الخاص.

٢ – وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ﴾ [البقرة: ٩٨].

وجه الاستدلال: أن لفظ (الملائكة) لفظ عام، وجبريل وميكال منهم، وذكرهما انفرادًا يدل على علو مكانتهما بين الملائكة.

٣ – وقال تعالى: ﴿ٱللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ يَكُنْ﴾ [الأحزاب: ٧].

وجه الاستدلال: فالنبي ﷺ ونوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام بعض النبيين.

النوع الثالث: المعطوف لازم المعطوف عليه:

ومعنى لازم له، أي متى وجد المعطوف لزم وجود المعطوف عليه، فلا ينفكان.

١ – قال تعالى ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٤٢].

فقوله تعالى: ﴿ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ لازم قوله تعالى ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا

يُنقَصُ﴾، وذلك لأن من لبس الحق بالباطل، فقد كتم من الحق بمقدار ما أظهر من الباطل.

٢ – قال تعالى: ﴿ لَهَابِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٣٦] فمن كفر باللَّه فقد كفر بكتبه ورسله وملائكته.

٣ – قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، فقوله تعالى: ﴿ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾ لازم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾؛ لأن من شاق الرسول فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

٤ – وقال تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ﴾ [النساء: ٥٩].

* فقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ﴾ لازم قوله تعالى: ﴿سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ لذلك قال تعالى: ﴿ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ﴾ [النساء: ٨٠].

* فكل من ترك سنةً وقع في البدعة بمقدار ما ترك، لذلك قال أحمد رحمه اللَّه: (ما ابتدع قومٌ بدعةً إلا تركوا من السنة مثلها).

[ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى. وقد روى أحمد حديثًا بهذا المعنى ولكنه ضعيف].

* والذي يؤكد المعنى السابق، قوله تعالى: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١٤].

فلما تركوا بعض السنة وهي الذكر، وقعوا في العداوة والبغضاء بقدر ما تركوا.

* والذي يوضحه، قال تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ﴾ [الزخرف: ٣٦].

* ومثله قوله تعالى : ﴿يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ يَكُن﴾ [طه : ١٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُوَ بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ [طه : ١٢٤] .

وقوله تعالى : ﴿فِى ٱلنَّاسِ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن﴾ [الأعراف : ٣] ، فمن ترك الذكر وقع في شباك الشيطان ، ومن ترك الهدى وقع في الضلال ، ومن لم يفعل المأمور فعل بعض المحظور ، ومن فعل المحظور لم يفعل جميع المأمور .

النوع الرابع : المعطوف هو المعطوف عليه :

* وهذا النوع لم يقع لا في كتاب ولا في سنة ، ولا في كلام فصيح .

وأما من زعم أنه وقع في الشرع مستدلًّا بقوله تعالى : ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨] .

قائلًا : إن المنهاج هو الشرعة .

فقد غلط على الشارع ، فإن المنهاج غير الشرعة . قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما من رواية العوفي : ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ سبيلًا وسنة .

[ذكره ابن كثير ج٢ ص ٦٦] .

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

عطف الخبر على الطلب

– قال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا﴾ [النمل : ٥٩] .

* لفظة (سلام) :

* إما أنها في حيز القول، وعليه فهو أمر من اللَّه للنبي ﷺ بأن يحمد اللَّه، ويسلم على عباد اللَّه الذين اصفاهم .

وعليه: فهي معطوفة على «الحمد للَّه»، فتكون في محل نصب على الحكاية، لأن «الحمد للَّه» في محل نصب لأنها جملة محكية .

* وإما أنها معطوفة على الجملة الطلبية، فيكون الحمد للَّه من النبي ﷺ والسلام من اللَّه على عباده الذين اصطفى .

وعليه: فإنها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، لأن الجملة الطلبية لا محل لها من الإعراب .

وهذا القول الأخير هو الأرجح، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ﴾ [الصافات : ١٨١] .

– فإن قيل : لا يحسن عطف الخبر على الطلب لأن بينهما تنافرًا .

قلتُ :

بل يحسن لورود الفصيح بها، ومنها قوله تعالى :﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ حَسْرَةٍ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا﴾ [يونس : ١٠١] .

وقوله تعالى : ﴿يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَـٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾

[المؤمنون : ١١٨] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾

[الأنبياء : ١١٢] .

وقوله تعالى ﴿خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا بِحَـٰمِلِينَ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

[الأعراف : ٨٩] .

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

مطلق الشيء والشيء المطلق

- والمراد إثبات الفروق بينهما، لأنها تدخل في كل شيء، فمثلًا:

١ - الأمر المطلق، ومطلق الأمر.

٢ - الإيمان المطلق، ومطلق الإيمان.

٣ - العقد المطلق، ومطلق العقد.

٤ - البيع المطلق، ومطلق البيع.

٥ - الماء المطلق، ومطلق الماء... إلخ.

- وقد ذكر ابن القيم في بدائع الفوائد (ج٤ ص ٢٢٧-٢٢٩) عشرة فروق، أذكر بعضها بتصرف:

الأول: الشيء المطلق ليس كلًّا، وعليه فهو لا يقبل التقسيم، بمعنى الأمر المطلق هو الواجب، والإيمان المطلق هو الإيمان الواجب.

ومطلق الشيء كل، فيقبل التقسيم، فمطلق الأمر هو الواجب والمندوب، ومطلق الإيمان هو الكامل والناقص.

الثاني: الشيء المطلق نوع، ومطلق الشيء جنس.

الثالث: الشيء المطلق فرد من أفراد مطلق الشيء.

الرابع: نفي الشيء المطلق لا يستلزم نفي مطلق الشيء، فنفي الوجوب لا يستلزم نفي الاستحباب، ونفي الإيمان الكامل لا يستلزم نفي الإيمان الناقص.

الخامس: ثبوت مطلق الشيء لا يستلزم ثبوت الشيء المطلق.

المبحث السادس

السؤال والجواب

- الأصل في الجواب أن يكون مطابقًا للسؤال :

ويخرج عن هذا الأصل ثلاث حالات :

الأولى : الجواب المناسب لسؤالٍ آخر يجب أن يسأل، متعلق بالذات المسئول عنها .

ومثالها :

١ - قال تعالى : ﴿ سَبِيوَلَتَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ ﴾

[البقرة : ١٨٩] .

فالسؤال كان على الهيئة ؛ لِمَ يبدو دقيقًا ثم يزيد؟ وهذا لا يفيدهم وكان يجب عليهم أن يسألوا عن الاستعمال، فيم تستعمل الأهلة؟ فجاء الجواب كما في الآية .

٢ - عن ابن عمر ؛ قال : سُئل رسول اللَّه ﷺ ما يلبس المحرم؟

قال : « لا يلبس المحرم القميص . . . » . متفق عليه .

فالسؤال كان « ما يلبس » ، فجاء الجواب « لا يلبس » ، والسر في ذلك أن الملبوس غير محصور، وغير الملبوس محصور فتعين السؤال عنه .

الثانية : الجواب أعم من السؤال لحاجة السائل المستقبلية .

ومثالها :

١ - قال تعالى : ﴿ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا بِمُؤۡمِنِينَ بِٱلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ [الأنعام : ٦٣] .

فجاء الجواب:

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ﴾ [الإنعام: ٦٤].

٢ - قال ﷺ: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته».

[رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبي هريرة].

وهذا جواب زائد على أصل السؤال، لأنه كان على استعمال ماء البحر في الوضوء.

الثالثة: الجواب أنقص من السؤال.

وهذا النوع باطل قطعًا، لأن الجواب إما يحتاج إليه السائل وإما لا، فإن كان لا يحتاج إليه حوَّل الشارع سؤاله إلى الأسلوب الحكيم، وإن كان يحتاج إليه فلابد منه، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

وأما استدلال البعض بقوله تعالى ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ﴾

[يونس: ١٥].

فجاء الجواب نافيًا للبدل فقط.

﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ﴾ [يونس: ١٥].

قلتُ:

الجواب ليس ناقصًا، لأن السؤال تضمن أصلًا وهو قرآن آخر، وفرعًا وهو البدل.

فنفي البدل يكفي، لأن البدل فرع، فإن كان عاجزًا عنه، فهو عن الإتيان بالأصل أعجز. فلا حاجة لذكره، وهذا من أحسن الأساليب ويناسب عشق اللغة للإيجاز.

الأصل الخامس عشر

ضوابط علم التفسير

«التلازم»

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التلازم بين ترك المأمور وفعل المحظور .

المبحث الثاني : التلازم بين الباطن والظاهر .

المبحث الثالث : جنس فعل المأمورات أفضل من جنس ترك المحظورات .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

التلازم بين ترك المأمور وفعل المحظور

- قال تعالى: ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١٤].

وجه الاستدلال: لما تركوا ما أمروا به من الطاعة، وقعت بينهم العداوة والبغضاء.

وقال تعالى: ﴿ءَامَنُواْ كُونُواْ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وجه الاستدلال: أن من أعرض عن فعل المأمور- ذكر الرحمن- قيض له شيطان فيقع في فعل المحظور.

وقال تعالى: ﴿يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ يَكُن * لَهُ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

وجه الاستدلال: اتباع الهدى موجب عدم الزيغ عن محبة الحق، وعدم الشقاء بعقاب اللَّه، والعكس بالعكس، فمن أعرض عن ذكر اللَّه- عز وجل- لابد وأن يقع في ضيق من العيش؛ لأنه تلبس بمعصية الباري سبحانه.

وقال تعالى: ﴿ضَرَ لِلنَّاسِ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن﴾ [الأعراف: ٣].

وجه الاستدلال: أن من اتبع التنزيل لم يتبع من دون اللَّه أحدًا.

قال أحمد: ما ابتدع قوم بدعة إلا تركوا من السنة مثلها.

وقال ابن تيمية في (الإيمان الكبير ص ١٠٨): «فأمر باتباع ما أنزل ونهى عما يضاد ذلك وهو إتباع أولياء من دونه، فمن لم يتبع أحدهما اتبع الآخر».

وقال ابن تيمية (ج٧ ص١٧٣): «وكذلك من لم يفعل المأمور، فعل بعض المحظور، ومن فعل المحظور لم يفعل جميع المأمور، فلا يمكن الإنسان أن يفعل جميع ما أمر به مع فعله لبعض ما حظر، ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر، فإن ترك ما حظر من جملة ما أمر به فهو مأمور، ومن المحظور ترك المأمور، فكل ما شغله عن الواجب محرم، وكل ما لا يمكن فعل الواجب إلا به فعليه فعله، ولهذا كان لفظ الأمر إذا أطلق يتناول النهي، وإذا قيد بالنهي كان النهي نظير ما تقدم، فإذا قال تعالى عن الملائكة﴿وَلَدَهُنَّ حَوْلِكَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ﴾ [التحريم: ٦] دخل في ذلك أنه إذا نهاهم عن شيء اجتنبوه». اهـ.

* قلتُ:

الذي يؤكد أن عاصي النهي عاصي الأمر:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ﴾ [الكهف: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٍ يَكُن لَّهَا وَالْأَمْرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهنا دخل النهي في الأمر.

لذلك قال تعالى: ﴿أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿لِيَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويخرج على ما سبق: إذا قال رجل لامرأته: إذا عصيت أمري فأنت طالق، ثم قال: لا تخرجي. فخرجت؛ فإن النهي داخل في الأمر فهي طالق، إن لم يرد التخويف.

وعليه:

فإن التلازم ثابت بين فعل المأمور وبين ترك المحظور.

ويؤكد ذلك:

قال تعالى: ﴿عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ إِنَّهُمْ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا﴾ [مريم: ٥٩].

* ويوضحه قوله تعالى: ﴿أَرْضَهُمْ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ بِإِحْسَانٍ قُرْآنًا عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا وَلَقَدْ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال عبد اللَّه بن مسعود: «قل خيرًا تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم».

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

التلازم بين الباطن والظاهر

– قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ بِلِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ ﴿٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ سَبِيلَنَا﴾

[البقرة : ٨-١٠] .

– وقال تعالى : ﴿ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ [آل عمران : ٣١] .

– وقال تعالى ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ [المائدة : ٥١] .

– وقال تعالى : ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ إِحْسَٰنٍ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا يَتَعَٰلَمُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ إِنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا ﴿٨٠﴾ لِلنَّاسِ فِى يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة : ٨٠-٨١] .

– قال تعالى : ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ ﴿٢٠١﴾ كَانَ خَيْرًا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ﴾

[الأعراف : ٢٠١-٢٠٢] .

– وقال تعالى ﴿ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا﴾ [الأعراف : ٢٠٦] .

– وقال تعالى : ﴿ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ سَبِيلَنَا﴾ [الأنفال : ٢] .

– قال تعالى : ﴿لِلتَّقْوَىٰ بِإِحْسَنٍ قُرْءَانًا عَيَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ وَلَقَدْ﴾ [التوبة : ٤٦] .

– وقال تعالى : ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ بِإِحْسَنٍ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ وَلَقَدْ﴾ [التوبة : ٥٨] .

– وقال تعالى : ﴿لِلنَّاسِ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٦٤] .

– وقال تعالى : ﴿بِحَٰمِلِينَ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ ﴿٧٥﴾ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ تَعْدِلُوا ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٧٦﴾ بِإِحْسَٰنٍ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ﴾ [التوبة : ٧٥-٧٧] .

– وقال تعالى : ﴿وَلَنَحْنُ خَلَٰئِفُكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ * وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ [إبراهيم : ١٣-١٤] .

– وقال تعالى : ﴿كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

* فالخوف يستلزم فعل الواجبات؛ لذلك يقال للفاجر : لا يخاف اللَّه .

وعليه :

فمن تم خوفه فعل المأمور وترك المحظور، وكان عالمًا مطيعًا؛ فإن قل الخوف : ترك بعض المأمور، وفعل بعض المحظور، وكان جاهلًا عاصيًا .

وهنا أيضًا امتنع وجود الخوف مع تخلف كل مأمور وفعل كل محظور.

- قال تعالى: ﴿ٱلْكَلَالَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ يَكُن﴾ [النور: ٥١].

- قال تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ يَكُن وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا﴾ [النور: ٦٢].

- قال تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ يَكُن وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا﴾ [النمل: ٤٣].

- قال تعالى: ﴿كُونُوا۟ ٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ﴾ [فاطر: ٢٨].

* الخشية أبدًا متضمنة للرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا.

* والرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا.

* ومن خاف اللَّه فعل المأمور، وترك المحظور.

- قال تعالى: ﴿كِتَٰبٍ يَكُن وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [غافر: ١٣].

- قال تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ﴾ [ق: ٨].

- قال تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ ۝٩ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۝١٠ تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ ۝١١ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [الأعلى: ٩-١٢].

* والتذكر كما ترى مستلزم لعبادته.

– قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانُواْ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ﴾

[الزمر : ٩] .

– قال تعالى : ﴿ فِي كِتَٰبٍ يَكُن لَّهُ بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ﴾

[الحجرات : ١٥] .

– قال تعالى : ﴿ عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ لَكَٰذِبُونَ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي﴾ [السجدة : ١٥] .

– قال تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي﴾

[المجادلة : ٢٢] .

– قال تعالى : ﴿ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم﴾ [الممتحنة : ١٠] .

– قال تعالى : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون : ١] .

– قال تعالى : ﴿ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

[الملك : ١٠] .

* فغياب العقل أدى إلى السعير ؛ لأنه ترك المأمور وفعل المحظور .

* وعليه فوجود العقل يستلزم فعل المأمور وترك المحظور ، فمن لم يفعل صح أنه جاهل .

* فالخوف من اللَّه يستلزم العلم به، والعلم به يستلزم خشيته، وخشيته تستلزم طاعته.

- قال تعالى: ﴿لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحجرات: ٧].

* فقوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا فَإِنَّ﴾ دخلت كل الطاعات؛ لأنها من الإيمان، والذي يؤكد أن كل الطاعات من الإيمان، أن اللَّه كره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وهو ترك المأمور وفعل المحظور.

* قال ابن تيمية: (الإيمان الكبير ص ٣٠):

«وكذلك من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه اللَّه ورسوله من المنكر الذي حرمه اللَّه ورسوله من الكفر والفسوق والعصيان لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه اللَّه عليه، فإن لم يكن مبغضًا لشيء من المحرمات أصلًا لم يكن معه إيمان أصلًا».

وعليه:

١ - فجميع نصوص الكتاب تثبت التلازم بين الباطن والظاهر.

٢ - أن العلاقة بين الباطن والظاهر علاقة مقدار.

* بمعنى بقدر ما في القلب بقدر ما على الجوارح.

٣ - إن كان ما في القلب ضعيفًا، لابد من لازمه على الجوارح.

* ولكن قد يلاحظ، وقد لا يلاحظ، وعدم الملاحظة ليس دليلًا على العدم.

٤ - الثابت في القلب لازمه فعل ما يناسبه من المأمورات، وترك ما

يناسبه من المنهيات.

* ألا ترى إلى عبد اللَّه بن حمار، في قلبه حبٌّ للَّه- عز وجل- ورسوله ﷺ فهذا الحب لازمه أنه لم يمنعه الصلاة.

- وإن لم يأت بها على الصفة الحكمية، ولكن هذا المقدار من الحب لم يمنعه من شرب الخمر.

* فتعين أن من ترك شرب الخمر- للَّه عز وجل- كان له حبّ أعلى درجة من شاربها، وأن صلاته أعلى رتبة من صلاة شارب الخمر.

* قال ابن تيمية مجموع الفتاوى (ج٧ ص٥٢٢، ج١ ص٤٣ الإيمان الأوسط):

«شعب الإيمان قد تتلازم عند القوة، ولا تتلازم عند الضعف».

ومعناها: إذا قوي الأصل ظهرت شعبٌ كثيرة بما يناسب هذه القوة، وإذا ضعف الأصل ظهرت شعبٌ بما يناسب هذا الضعف.

والشعب القوية تجتمع فتسوق إلى شعبة كبيرة، وهذا المعنى قد لا يحدث عند اجتماع الشعب الضعيفة.

- - قوله ﷺ: «الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ، الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ: الرَّجُلُ يَغْضَبُ فَيَشْتَدُّ غَضَبُهُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ وَيَقْشَعِرُّ شَعَرُهُ فَيَصْرَعُهُ غَضَبُهُ».

[رواه أحمد].

- قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ

الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا». [رواه مسلم عن عبد اللَّه بن مسعود].

- قال ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]». [سنن الترمذي من حديث أبي هريرة].

- قال ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ لَيسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ». [متفق عليه عن أبي موسى الأشعري].

- وقال ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهرًا بِبَابِ أَحَدِكُم يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَل يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا».

[متفق عليه عن أبي هريرة].

وجه الاستدلال:

١ - الصلوات من المأمورات، وأزالت الخطايا التي هي ناتج فعل المحظورات.

٢ - الصلوات فعل الجوارح، وإزالة الخطايا فعل الباطن.

- قال ﷺ: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ... أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا

وَهِيَ القَلْبُ» . [متفق عليه، واللفظ لمسلم من حديث النعمان بن بشير] .

- وقال ﷺ : «مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» .

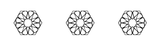
[رواه مسلم من حديث أبي بكر] .

- فتبين كذلك من نصوص السنة، ما تبين من نصوص الكتاب السالف ذكرها .

ورحمة اللَّه على علماء السنة :

قال معقل بن عبيد اللَّه الجزري : «كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات : من أصلح سريرته أصلح اللَّه علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين اللَّه أصلح اللَّه ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه اللَّه أمر دنياه» .

[رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والنية ص ٢٣ ج٢٢] .



المبحث الثالث

جنس فعل المأمورات
أفضل من جنس ترك المحظورات

- ذكر ابن تيمية- رحمه اللَّه- هذه المسألة، وبين صحة العنوان ببضع وعشرين وجهًا. في مجموع الفتاوى (ج٢٠ ص٨٥).

- وكذلك تلميذه ابن القيم- رحمه اللَّه- في الفوائد (ج١ ص١٣٨).

* وما ذكره ابن القيم هو ما ذكره شيخه.

* وهاك المفاضلة بتصريف.

- **الوجه الأول:**

* أن آدم آكل من الشجرة بعد النهي، فتاب اللَّه عليه.

* وأن إبليس لم يسجد بعد الأمر، فلم يتب اللَّه عليه.

فتبين أن فعل المحظور أقل خطرًا من ترك المأمور.

- **الوجه الثاني:**

* أن مصدر فعل المحظور في الغالب هو الشهوة والحاجة.

* وأن مصدر ترك المأمور في الغالب هو الكبر والعزة (شبهة).

ومعلوم أن الجنة لا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ويدخلها من مات على التوحيد وإن زنى وسرق وشرب الخمر.

- **الوجه الثالث:**

* أن فعل المأمور أحب إلى اللَّه من ترك المنهي.

* لذلك علق سبحانه حبه بفعل المأمور، قال تعالى: ﴿ أَتَخْشَعَقُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِوَلَا يُنقَصُ مِنْ﴾ [الصف: ٤].

وقال ﷺ: «أحب الأعمال إلى اللَّه الصلاة على وقتها».

[رواه مسلم عن عبد اللَّه بن مسعود].

* وفي باب النهي نفى حبه، فقال تعالى: ﴿ٱلْعُسْرِيُسْرًا إِنَّ مَعَ﴾.

* فإذا تبين لك ما سبق تبين الآتي:

١ - أن اللَّه يقدر ما يكرهه ويسخطه، لإفضائه إلى ما يحبه، فقدر المعصية لأنه يترتب على تقديرها ما يحبه من الجهاد، والتوبة، والاستغفار، وإظهار عدله وعفوه.

٢ - وأن اللَّه لا يقدر ما يحب لإفضائه إلى ما يكرهه ويسخطه.

فتبين: أن فعل ما يحبه أحب إليه مما يكرهه.

- **الوجه الرابع**:

* فعل المأمور مقصود لذاته (غاية).

* وترك المنهي مقصود لغيره، ألا ترى أن الخمر والميسر حرما لأن فعلهما يصدان عن ذكر اللَّه وعن الصلاة (وسيلة).

* وقد يمنعان كمال الأمر.

ومعلوم:

أن المقصود لذاته خير من المقصود لغيره.

- **الوجه الخامس**:

* فعل المأمور من باب حفظ قوة الإيمان وبقائها.

* وترك المنهيات من باب الحماية، أي حماية قوة الإيمان وزيادته وبقائه.

ومعلوم:

أن حفظ القوة مقدم على حمايته.

ألا ترى: أن الصلاة تحفظ قوة الإيمان وتبقيه وتزيده.

وأن ترك الزنى- مثلًا- يحمي قوة الإيمان وتبقيه وتزيده.

- **الوجه السادس:**

* فعل المأمور ينفع مع الإيمان، فهو غذاؤه.

* وترك المنهيات لا ينفع مع عدم الإيمان، وعدم المأمور.

فتبين:

أن جنس فعل المأمور أفضل من جنس ترك المنهيات.

- **الوجه السابع:**

* مجرد ترك الإيمان والإعراض دون وجود المقابل يعد كافرًا.

* وفاعل المنهيات- شهوة- مع وجود الإيمان لا يسمى كافرًا.

- **الوجه الثامن:**

* فاعل المأمور يسمى طائعًا.

* وتارك المأمور يسمى عاصيًا.

فمن ترك المأمور، وترك المنهيات لا يسمى طائعًا.

- **الوجه التاسع:**

* من ترك المأمور، وترك المنهي هالك.

* من ترك المأمور، وفعل المنهي هالك.

* من فعل المأمور، وترك المحظور ناج.

* من فعل المأمور، وفعل المحظور مآله إلى النجاة.

فتبين:

١ - أن فعل المأمور ينجي صاحبه سواء فعل المحظور أو تركه.

٢ - أن ترك المأمور يهلك صاحبه سواء فعل المحظور أو تركه.

والمراد بالمأمور التوحيد، والمنهيات الشرك.

- **الوجه العاشر:**

* أن امتثال الأمر عبودية، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمُؤْمِنِينَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الذاريات: ٥٦].

* وعليه لم يخلقوا لمجرد الترك، فإنه أمر عدمي لا كمال فيه من حيث هو عدم. بخلاف المأمور فإنه أمر وجودي مطلوب الحصول.

* وعليه: فالأمر مقدم على النهي من حيث هما، بمعنى أن الأمر أمر وجودي، والنهي من حيث هو أمر عدمي.

- **الوجه الحادي عشر:**

* متعلق الأمر أمر وجودي.

* متعلق النهي أمر عدمي، والأمر العدمي لا كمال فيه إلا إذا تضمن أمرًا وجوديًّا.

* وعليه: آل الأمر إلى أن متعلق الأمر أمر وجودي، ومتعلق النهي أمر عدمي تضمن أمرًا وجوديًّا.

* فدل ذلك على أن فعل الأمر، أعظم من ترك النهي.

- **الوجه الثاني عشر:**

* المطلوب بالنهي، هو إعدامه لمضادته المأمور به، وهو المنهي عنه لما فيه من المفسدة المضادة للمأمور به.

* فلابد أن يخطر بباله، ويكف نفسه عنه للَّه تعالى، حينئذ يثاب لأن الكف أصبح أمرًا وجوديًّا.

* فإن لم يخطر بباله لم يثب على تركه.

* فدل ذلك على أن فعل الأمر أعظم من ترك النهي.

- **الوجه الثالث عشر:**

* الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده.

* فتبين أن الترك غير مقصود لذاته إنما لغيره.

* والمقصود لذاته أعظم من المقصود لغيره.

- **الوجه الرابع عشر:**

* أن جزاء المأمور عشرة أمثالها.

* وأن جزاء المنهيات مثله.

* وهذا يدل على أن فعل ما أمر به أحب إليه من ترك ما نهي عنه.

* فدل على أن فعل المأمور أفضل من ترك المنهي.

- **الوجه الخامس عشر:**

* الأمر مطلوب الإيجاد.

* والنهي مطلوب الترك .

* والموجود أشرف من المعدوم .

* فدل على أن فعل الأمر أفضل من ترك النهي .

- **الوجه السادس عشر :**

* الأمر والنهي في باب الطلب نظير النفي والإثبات في باب الخبر .

* والنفي المحض لا كمال فيه ، وعليه لا يستلزم مدحًا كقولهم : لا يرى .

* ولكن النفي المتضمن ثبوتًا يستلزم المدح ، نحو ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

* وعليه فالترك الذي يتضمن إثباتًا يتضمن مدحًا وهذا أمر وجودي ، فعاد الأمر من أوله إلى آخره إلى الأمر .

* فتبين أن جنس فعل المأمور خير من جنس ترك المحظور .

- **الوجه السابع عشر :**

* فعل المأمور وما يترتب عليه من باب الرحمة .

* فعل المحظور وما يترتب عليه من باب الغضب .

* ومعلوم أن رحمته غلبت غضبه .

* فتعين أن المأمور غالب للنهي .

* ومعلوم أن رحمته من لوازم ذاته ، وأن غضبه ليس من لوازم ذاته ، بمعنى لا يكون غضبان دائمًا غضبًا لا يتصور انفكاكه . قال ﷺ : «إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله» .

[رواه الشيخان عن أبي هريرة] .

* ورحمته وسعت كل شيء، وغضبه لم يسع كل شيء.

* وكتب على نفسه الرحمة، ولم يكتب على نفسه الغضب.

* فتبين أن جنس فعل المأمور أفضل من جنس ترك المحظور.

- **الوجه الثامن عشر:**

* آثار ما يحبه زوالها أقل طرقًا وأبطأ.

* وآثار ما يكرهه زوالها أكثر طرقًا وأسرع.

* فتبين أن جنس فعل المأمور خير من جنس ترك المحظور.

- **الوجه التاسع عشر:**

* أن اللَّه قدر ما يكرهه من المنهيات لما يترتب عليها مما يحبه ويفرح به من المأمورات.

* انظر: قدر اللَّه الذنب، ففعله العبد فتاب واستغفر واللَّه يحبهما ويفرح بتوبة العبد.

* وكما ترى أن التوبة والاستغفار من فعل المأمور فأفضى فعل المحظور إلى فعل المأمور.

* فتبين أن جنس فعل المأمور خير من جنس ترك المحظور.

- **الوجه العشرون:**

* أن فوت المأمور فوت للحياة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُجَمِلِينَ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

* وأن الإتيان بالمنهيات يمرض ولا يميت.

❊ فإن قيل: الشرك يميت.

فالجواب: إنما مات بفوت التوحيد الذي هو مأمور به ولم يمت بفعل الشرك؛ لأن الشرك جاء بعد موت التوحيد.

- **الوجه الحادي والعشرون:**

❊ إن في المأمورات ما يوجب فواته الهلاك والشقاء الدائم كالتوحيد.

❊ وليس كذلك في المنهيات.

- **الوجه الثاني والعشرون:**

❊ فعل المأمور على وجهه الصحيح يقتضي ترك المنهيات.

قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ﴾ [النحل: ٩٠]

❊ ومجرد ترك المنهيات لا يقتضي فعل المأمور ولا يستلزمه.

- **الوجه الثالث والعشرون:**

❊ أن المأمورات متعلقة بالصفات.

وذلك بأن المأمورات خير وتفضي إلى الخيرات، والخير بيد اللَّه سبحانه، فإنها داخلة في أسمائه وصفاته وأفعاله.

❊ وأن المنهيات متعلقة بمفعولاته.

وذلك بأن المنهيات شرور وتفضي إلى الشرور، والشر ليس إليه، فإنه لا يدخل في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه، وإنما هو في مفعولاته، بمعنى لا يكون في كونه ما لا يريد، والفاعل للشر هو العبد، بل هو كمفعول للَّه خير، إنما الشر بنسبته إلى الفاعل وهو العبد.

الأصل السادس عشر

ضوابط علم التفسير

«عامة»

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: جواز نسبة الفعل إلى الآمر لا إلى الفاعل.

المبحث الثاني: تتبين الأشياء بأضدادها.

المبحث الثالث: هجر القرآن وأنواعه.

المبحث الرابع: لا حكم بمجرد العلم.

المبحث الخامس: لا تكفير إلا بعد قيام الحجة.



المبحث الأول

جواز نسبة الفعل إلى الآمر لا إلى الفاعل

– الملك الذي له جنود، إذا أمرهم بعملٍ فقاموا به، جاز أن ينسب هذا العمل له، بأنه الفاعل له.

* قال تعالى :لِلنَّاسِ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ﴾ [يس: ١٢].

* فالكُتَّاب هم الملائكة، وقد نسب اللَّه سبحانه الفعل له بأنه الفاعل ﴿ ٱللَّهُ﴾.

* وقال تعالى :ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ﴾ [الزمر: ٤٢].

* والذي يتوفى الأنفس هو ملك الموت، وقد نسب اللَّه تعالى ذلك لنفسه قائلًا :ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ﴾.

* وقال تعالى : ﴿يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [القيامة: ١٨].

* فالقارئ هو جبريل– عليه السلام–.

* وقال تعالى : ﴿ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا إِنَّ﴾ [ق: ١٦–١٧].

* فقوله هنا : ﴿ يَكُن﴾ هم الملائكة، بدليل تقييد القرب بقوله : بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾.

* وعليه لا حجة البتة في الآية لحلولي أو اتحادي أو معطل.

– وقد وقع لي– بحول اللَّه وقوته– تفسير الآتي :

قال ﷺ: «إن اللَّه تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي». [رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة].

قلتُ:

قوله: «في ظلي» أضاف اللَّه الظل لنفسه لأنه قام به جند من جنوده وهو العرش. والذي يؤكد صحة هذا قوله ﷺ: «إن المتحابين باللَّه في ظل العرش». [رواه الطبراني في الكبير عن معاذ].



المبحث الثاني

تتبين الأشياء بأضدادها

قال ابن القيم في (الفوائد ج١ ص١١٧ بتصرف):

- قبل الإسلام نشأ الصحابة في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة.

* فلما جاء الإسلام عرفوا الهدى والتوحيد، والسبيل الموصلة إلى اللَّه، وذلك على وجه التفصيل.

* فلما عرفوا السبيلين على وجه التفصيل، عرفوا ما هم فيه من نعمة. فخرجوا:

من الظلمة الشديدة إلى النور التام.

ومن الشرك إلى التوحيد.

ومن الجهل إلى العلم.

ومن الغي إلى الرشاد.

ومن الظلم إلى العدل.

ومن الحيرة إلى الهدى.

ومن العمى إلى البصائر.

* لذلك ظهر الصحابة على كل من أتى بعدهم إلى يوم القيامة لأنهم علموا سبيل المجرمين، وسبيل الموحدين.

* لذلك تنقض عرى الإسلام عروة عروة، كما قال: عمر- رضي اللَّه عنه- إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية.

* وكل ما يخالف الرسول فهو جاهلية، فإنها منسوبة إلى الجهل.

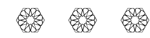
- والناس من السبيلين على أربعة فرق:

الفرقة الأولى: علم السبيلين وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: جهل السبيلين وهؤلاء شرار الخلق.

الفرقة الثالثة: علم سبيل المجرمين ولم يعلم سبيل المؤمنين، وهذا ليس على شيء.

الفرقة الرابعة: علم سبيل المؤمنين ولم يعلم سبيل المجرمين إلا من حيث الجملة والمخالفة، وهذا على خطر؛ لأنه قد يعرض له من سبيل المجرمين فيظن أنه من سبيل المؤمنين.



المبحث الثالث

هجر القرآن وأنواعه

- قال تعالى : ﴿رَبَنَا لِلنَّاسِ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ﴾ [الفرقان : ٣٠] .

❊ قال ابن القيم- ص٩٣ فوائد- :

١ - هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه .

٢ - هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به .

٣ - هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم .

٤ - هجر تدبره، وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

٥ - هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به .

❊ كل الأنواع السابقة داخلة في الآية السابقة .

❊ ولكن بعض الهجران أهون من بعض .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع

لا حكم بمجرد العلم

إن اللَّه- عز وجل- يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن كيف يكون لو كان.

* وهو سبحانه أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين.

* ومع كل هذا الجلال والكمال، فإنه لا يحكم على عبده بما يعلمه عنه، بل يحكم عليه بعد البينة التي يقيمها على عبده، ومن البينة: الإقرار.

وأدلة ذلك:

١ – قال تعالى يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ يَكُن لَّهُمْ ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [ص: ٧٥-٧٧].

وجه الاستدلال:

أن حكم اللَّه- عز وجل- ﴿ بَدَلًا﴾ جاء بعد إقرار إبليس ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾ .

واللَّه يعلم هذا منه قبل الإقرار، فلو كان مجرد العلم كافيًا للحكم عليه، ما كان للسؤال كبير فائدة.

٢ – وقال تعالى: ﴿ مَعَ ٱلْعُسْرِ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ عَلَيْكُمْ وَمَا بِحَٰمِلِينَ تَبْصِرَةً يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ...﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٤].

وجه الاستدلال: أن حكم اللَّه- عز وجل- ﴿ هُم﴾ بعد إقرارهما بالذنب وَلَا ﴿خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم﴾.

واللَّه يعلم هذا منهما قبل الإقرار، ومع ذلك لم يحكم بما علمه- سبحانه وتعالى- بل حكم بعد إقرارهما.

٣ - قال تعالى: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ﴾ [فصلت: ٢١].

وجه الاستدلال:

أن اللَّه- عز وجل- يحكم عليهم في الآخرة بعد البينة، لا بما يعلمه عنهم، فقيَّد الشهداء: الحفظة، الأنبياء، الجلود، الأمكنة، وغير ذلك.

٤ - وقد أمر اللَّه- عز وجل- نبيه ﷺ بأن يحكم بين الناس بعد البينة، ولم يأمره بأن يحكم بينهم بما علمه منهم.

* قال ﷺ: «البَيِّنَةُ وَإِلَّا فَحَدٌّ فِي ظَهْرِكَ».

[الترمذي، أبو داود، الدارقطني من حديث ابن عباس].

* ولم يحكم النبي ﷺ على المنافقين بما علمه منهم، لذلك كانوا يرثون ويورثون، وينكحون، ويُنكحون.

٥ - وقد علم النبي ﷺ أمته بألا يحكموا إلا بالإقرار، أو البينة فقال ﷺ: «البيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي، واليَمِينُ عَلَى المُدَّعَى عَلَيه».

[متفق عليه عن ابن عباس]

* وعلم اللَّه!!!

(لو التزم الناسُ هذا الأصل لحسمت مادة شرّ عظيمة بينهم) أبو إسلام.

المبحث الخامس

لا تكفير إلا بعد قيام الحجة

إن أثر الحكم لا يلحق المعين إلا إذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع، ولا يتحقق ذلك إلا بعد قيام الحجة.

وقد تضمنت كثير من الآيات والأحاديث لفظ التكفير والتفسيق.

وكذلك كلام الأئمة تضمن ذلك، كقولهم: من قال: إن القرآن مخلوق، فهو كافر.

وهذا الوعيد هو المطلق، ولا يكون في حق المعين إلا بعد قيام الحجة.

- قال ابن تيمية في (الإيمان الأوسط ١/ ١١٢، ٧/ ٦١٩ مجموع الفتاوى):

«والتحقيق في هذا: أن القول قد يكون كفرًا، كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن اللَّه لا يتكلم ولا يُرى في الآخرة، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر، فيطلق القول بتكفير القائل كما قال السلف: من قال: إن القرآن مخلوق، فهو كافر، ومن قال: إن اللَّه لا يُرى في الآخرة. فهو كافر، ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة». اهـ:

- وقال ابن تيمية (١٠/ ٣٧٢) مجموع الفتاوى:

«فإن نصوص الوعيد التي في الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك، لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعين إلا

إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع».

وأما الشروط فهي أربعة:

١ - أن يكون الفاعل عالمًا بأن ما يقوم به من أقوالٍ وأفعالٍ، هي أفعال وأقوال مكفرة.

٢ - أن يكون متعمدًا لذلك، لا هو ناسٍ، ولا نائم، ولا مخطئ.

* ولا علاقة بين التعمد وقصة الاستحلال القلبي، فإنه شرط بدعي.

٣ - أن يكون الفاعل غير متأول بتأويل سائغ.

٤ - أن يكون غير مكرهٍ عليه، أي مختارًا له.

قال ابن تيمية (٣٦/٢٠) من مجموع الفتاوى:

«والحجة على العباد تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل اللَّه، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم، كالمجنون، أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله، كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عنه جميعه».

❁ ❁ ❁

الأصل السابع عشر

فكرة عن بعض التفاسير القديمة والحديثة

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : أصح كتب التفسير القديمة .

المبحث الثاني : أصح كتب التفسير الحديثة .

المبحث الثالث : أشهر تفاسير المعتزلة .

المبحث الرابع : أشهر تفاسير الأشاعرة .

المبحث الخامس : سبب الاختلاف بعد القرون المفضلة في التفسير .

المبحث السادس : فكرة عن بعض التفاسير .

المبحث السابع : نماذج من التفسيرات الباطلة .



المبحث الأول

أصح كتب التفسير القديمة

- المراد بأصح التفاسير :

١ - ما اعتمد على الأسانيد الصحيحة في المنقول .

٢ - ما سلم من البدع .

- ومن هذه التفاسير :

١ - تفسير محمد بن جرير الطبري ، ت (٣١٠هـ) .

كان رحمه اللَّه يعتمد على المأثور بالأسانيد المقبولة ، وقد أعرض عن الموضوعات ؛ لذلك أعرض عن تفسير مقاتل والكلبي ، وقد جمع موسى بن عبد الرحمن- دجال يضع الحديث- من كلامهما تفسيرًا ، وذلك على ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس .

٢ - تفسير بقي بن مخلد الأندلسي .

٣ - تفسير عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الشامي .

٤ - تفسير عبد بن حميد الكشي .

٥ - تفسير إسحاق بن راهويه .

٦ - تفسير أحمد بن حنبل .

٧ - تفسير عبد الرزاق .

٨ - تفسير وكيع .

٩ - تفسير أبي بكر بن المنذر.

١٠ - تفسير سفيان بن عيينة.

١١ - تفسير سنيد.

١٢ - تفسير ابن أبي حاتم.

١٣ - تفسير أبي سعيد الأشج.

١٤ - تفسير أبي عبد اللَّه ابن ماجه.

١٥ - تفسير ابن أبي قتيبة.

١٦ - تفسير أبي المظفر السمعاني (٤٢٦هـ-٤٨٩هـ).

١٧ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ).

فهؤلاء هم أعلم أهل الأرض بالتفاسير الصحيحة عن النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين، وهم أيضًا أعلم الناس بحديث رسول اللَّه ﷺ وآثار الصحابة والتابعين في الأصول والفروع وغير ذلك من العلوم.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

أصح كتب التفسير الحديثة

من أصح كتب التفسير الحديثة :

١ - أضواء البيان : للأمين الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ) .

٢ - تفسير السعدي : لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت : ١٣٧٦هـ) .

٣ - حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلامة : محمد الأمين الأثيوبي الهرري .

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

أشهر تفاسير المعتزلة

- منها :

١ - تفسير عبدالرحمن بن كيسان الأصم .

٢ - تفسير أبي علي الجبائي .

٣ - التفسير الكبير للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني .

٤ - تفسير علي بن عيسى الرماني .

٥ - تفسير الكشاف لأبي القاسم الزمخشري .

- وقد قرروا في هذه التفاسير أصول المعتزلة الخمسة :

* وهي : التوحيد ، العدل ، المنزلة بين المنزلتين ، إنفاذ الوعيد ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* وهذه الأصول الخمسة تضمنت كل الإفراط والتفريط ، ولم تصب العدل ولو من بعيد .

الأصل الأول : التوحيد :

١ - من توحيدهم أن اللَّه لا يرى في الآخرة .

٢ - من توحيدهم أن القرآن مخلوق .

٣ - من توحيدهم أن اللَّه ليس فوق العالم .

٤ - من توحيدهم أن اللَّه لا يقوم به علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا

سمع ولا بصر، ولا كلام، ولا مشيئة، ولا صفة من الصفات.

الأصل الثاني: العدل:

١ - من العدل أن اللَّه لم يشأ جميع الكائنات.

٢ - من العدل أن اللَّه لم يخلقها كلها.

٣ - من العدل أن اللَّه غير قادر عليها كلها.

٤ - من العدل أن اللَّه لم يخلق أفعال العباد؛ لا خيرها ولا شرها.

٥ - من العدل أن اللَّه لم يرد إلا ما أمر به شرعًا.

٦ - من العدل أن ما لم يأمر به شرعًا يكون بغير مشيئته.

الأصل الثالث: المنزلة بين المنزلتين:

والمراد لا هم كفار ولا مسلمون، وفي الآخرة في لظى وسعير وغير مفارقين.

الأصل الرابع: إنفاذ الوعيد:

١ - نفي الشفاعة عن أهل الكبائر.

٢ - أنهم خالدون في النار وإن لم يكونوا كافرين.

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - الخروج على الأئمة.

٢ - وقتالهم بالسيف.

- ويعلم فساد قول المعتزلة في التفسير من طريقين:

الأول: من العلم بفساد قولهم.

الثاني: من العلم بفساد ما فسروا به القرآن.

المبحث الرابع

أشهر تفاسير الأشاعرة

من أشهر تفاسير الأشاعرة:

١ - تفسير السمرقندي وهو أبو الليث نصر بن محمد (ت: ٣٧٥هـ).

٢ - تفسير الثعلبي وهو أحمد بن إبراهيم (ت: ٤٢٧هـ).

٣ - تفسير الماوردي (النكت والعيون) وهو أبو الحسن علي بن محمد (٣٦٤-٤٥٠).

٤ - تفسير الواحدي وهو أبو الحسن علي بن أحمد (٣٩٨-٤٦٨هـ).

* الوسيط.

* الوجيز.

٥ - زاد المسير وهو لابن الجوزي.

٦ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وهو لأبي محمد عبد الحق بن عطية.

٧ - التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي.

٨ - تفسير الرازي وهو أبو عبد اللَّه محمد بن عمر.

٩ - تفسير البيضاوي وهو عبد اللَّه بن عمر (ت: ٦٨٥هـ).

١٠ - النسفي وهو عبد اللَّه بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ).

وتفسيره يسمى: « مدارك التنزيل وحقائق التأويل ».

١١ - تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل وهو لأبي الحسن على بن محمد المعروف بالخازن.

١٢ - تفسير البحر المحيط، وهو لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي (ت: ٧٥٤هـ).

١٣ - تفسير الثعلبي والمسمى بـ «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» وهو عبد الرحمن بن محمد الجزائري (ت: ٨٧٥هـ).

١٤ - تفسير الجلالين للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

١٥ - تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم وهو لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى.

١٦ - تفسير فتح القدير للشوكاني وهو محمد بن علي.

* لا تغتر برسالته المسماة بـ «التحف في مذاهب السلف».

* يؤوِّل إلا النادر مثل الاستواء.

١٧ - تفسير الألوسي وهو لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمد أفندي (ت: ١٢٧٠هـ) ويسمى تفسيره بروح المعاني.

* تفسيره يغلب عليه المذهب الأشعري، وأحيانًا ينصر مذهب أهل السنة كما في صفة الحياء. وقد غلب عليه التفسير بالإشارة لميله إلى الصوفية.

١٨ - تفسير المراغي للشيخ مصطفى المراغي، وهو من كبار تلامذة محمد عبده (ت: ١٣٦٤هـ).

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

سبب الاختلاف بعد القرون المفضلة في التفسير

- لقد اختلف الناس اختلافًا واسعًا بعد عصر التابعين، ويرجع اختلافهم إلى سببين:

الأول: تطويع النصوص على وفق المراد:

ومعنى الكلام: أنهم اعتقدوا معاني ثم حملوا ألفاظ القرآن عليها، فأهملوا دلالة ألفاظ القرآن، واعتمدوا المعاني التي نسجها خيالهم.

والطوائف التي اعتمدت هذه الطريقة هم الخوارج، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة، وغيرهم.

الثاني: إهمال المدلول الشرعي، واعتماد المدلول اللغوي، واعتماد الأسلوب الأدبي عند البعض.

❁ ❁ ❁

المبحث السادس

فكرة عن بعض التفاسير

١ - **تفسير الثعلبي**، أحمد بن إبراهيم:

أولًا: كان الثعلبي من أهل الصلاح والدين.

ثانيًا: كان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير.

ثالثًا: فيه أحاديث ضعيفة وموضوعة كثيرة، وخاصة في فضائل السور.

رابعًا: فيه بعض البدع، ذكرها تقليدًا لغيره.

خامسًا: فيه فوائد.

٢ - **تفسير الواحدي**:

أولًا: هو تلميذ الثعلبي.

ثانيًا: هو أخبر بلغة العرب من الثعلبي.

ثالثاُ: كان أبعد عن السلامة من الثعلبي.

رابعًا: كان أبعد عن إتباع السلف من الثعلبي.

خامسًا: فيه أحاديث موضوعة وخاصة في فضائل السور.

سادسًا: تفسيره البسيط، والوسيط والوجيز فيها فوائد.

٣ - **تفسير البغوي**: ت(٥١٠هـ)

أولًا: هو مختصر من تفسير الثعلبي.

ثانيًا: حذف الأحاديث الموضوعة.

ثالثًا: حذف البدع التي فيه.

رابعًا: أقره على بعض البدع، كما في صفة الرحمة، والغضب، والاستهزاء، والحياء.

٤ - تفسير الزمخشري (الكشاف):

أولًا: فيه كل شيء إلا التفسير.

ثانيًا: منبع البدع ومصدرها.

ثالثًا: محشو بالأحاديث الموضوعة، وخاصة في فضائل السور.

رابعًا: قليل النقل جدًّا عن الصحابة والتابعين.

خامسًا: قرر الأصول الخمسة بكل الطرق الباطلة.

سادسًا: كان فصيحًا، حسن العبارة، يدس البدع فيها دسًّا، ولا يهتدي إليها إلا بشق الأنفس. وغاية ما في كتابه لغة وإعراب وبلاغة.

٥ - تفسير ابن عطية:

أولًا: هو خير من تفسير الزمخشري.

ثانيًا: أصح نقلًا، وبحثًا.

ثالثًا: أبعد عن البدع وإن اشتمل عليها.

رابعًا: يقرر أصول أهل الكلام بنفس طرق المعتزلة.

٦ - تفسير القرطبي:

أولًا: خير من الزمخشري بكثير.

ثانيًا: أقرب إلى الكتاب والسنة وأبعد عن البدعة.

قال ابن تيمية- رحمه اللَّه- (ج٦ ص٣٨٨) من مجموع الفتاوى: «إن العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ، فالشأن في أن نقول علمًا، وهو النقل المصدق، والبحث المحقق، فإن ما سوى ذلك- وإن زخرف مثله بعض الناس- خزف مزوق، وإلا فباطل مطلق».

٧ - تفسير الصابوني، وهو محمد على الصابوني:

* حضرت له بعض الدروس في جدة.

* له مختصر ابن كثير، وصفوة التفاسير، . . .

* جاهل بمذهب السلف، ناصر لمذهب أهل البدع.

* يغلب على تفاسيره عدم الأمانة في النقل شأنه شأن غالب أهل البدع.

* محرف لكلام أهل العلم.

* أشعري المذهب، وقد وافق مذهب أهل السنة في بعض الصفات كالإتيان والمجيء والاستواء.

٨ - في ظلال القرآن لسيد قطب (ت: ١٣٨٧هـ):

* كتابه تضمن انحرافات كثيرة في حق الأنبياء والرسل، وفي حق بعض صحابة رسول اللَّه ﷺ، بل وفي حق اللَّه- عز وجل-.

ولكن: الحق أحق أن يتبع.

قلتُ:

أولًا: الرجل ليس من أهل العلم، وكان أديبًا.

ثانيًا: استخدم الأسلوب الأدبي فمط الألفاظ فخرج عن المقصود.

ثالثًا: فمن اعتبر هذا وجد أن لفظه الذي تضمن الاتحاد والحلول لا يوافق معتقد الرجل في اللَّه- عز وجل-.

رابعًا: وكذا المط في الألفاظ، والعناية بالأساليب الرنانة، أخرجه عن الجادة في الكلام عن الأنبياء والرسل، وكان يجب عليه أن يعلم أنه ليس كل لفظ يستخدم مع عموم الناس يصلح أن يستخدم في حق الأنبياء والمرسلين.

خامسًا: وكذا طعنه في عثمان رضي اللَّه عنه، اعتمد على المناكير من الأقوال ولم يعتمد على كلام أهل السنة. فجاوز الحد.

سادسًا: استخدام الأساليب الرنانة والتي لم تميز بين الجنس والنوع، ولا بين العموم والخصوص، ولا بين المطلق والمقيد، فأشهر عبارات الجاهلية بغير مدلولها الشرعي، فتلقفتها فرق أساءت إلى أنفسها وإلى الناس. وأشهرهم التكفير وأنصاف التكفير.

❁ ❁ ❁

المبحث السابع

نماذج من التفسيرات الباطلة

- لقد فسرت الشيعة آيات الكتاب تفسيرًا باطلًا، وقد جاءت بالأعاجيب، ولم يدل عليها لا نص صحيح، ولا عقل صريح.

- وفي المقابل أيضًا تفسيرات باطلة؛ فالبدعة ترد ببدعة، والشر يرد بشرٍّ.

- وهذه بعض النماذج من تفسيرات الشيعة الباطلة:

١ - قال تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: ١].

قالت الشيعة الرافضة: هما أبو بكر وعمر.

٢ - قال تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قالت الشيعة الرافضة: أي بين أبي بكر وعلي في الخلافة.

٣ - قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧].

قالت الشيعة الرافضة: هي عائشة.

٤ - قال تعالى: ﴿قاتلوا أئمة الكفر﴾ [التوبة: ١٢].

قالت الشيعة الرافضة: هما طلحة والزبير.

٥ - قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الرحمن: ١٩].

قالت الشيعة الرافضة: هما علي وفاطمة.

٦ - قال تعالى: ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢].

قالت الشيعة الرافضة: هما الحسن والحسين.

٧ - قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

قالت الشيعة الرافضة: في علي بن أبي طالب.

٨ - قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢].

قالت الشيعة الرافضة: علي بن أبي طالب.

٩ - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

قالت الشيعة الرافضة: هو علي بن أبي طالب تصدق بخاتمه في الصلاة، ومعلوم أن هذا الحديث موضوع بإجماع أهل العلم.

١٠ - قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

قالت الشيعة الرافضة: نزلت في علي لما أصيب بحمزة.

١١ - قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

قالت الشيعة الرافضة: هو علي.

- وهذه بعض النماذج من تفسيرات باطلة موجودة في كثير من كتب المفسرين:

١ - قال تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

قالوا: الصابرين هو رسول اللَّه، الصادقين هو أبو بكر، القانتين هو عمر، والمنفقين هو عثمان، والمستغفرين هو علي.

٢ - قال تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح : ٢٩] .

قالوا : هو أبو بكر .

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ قالوا : هو عمر .

﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ قالوا : هو عثمان .

﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ قالوا : هو علي .

٣ - قال تعالى : ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين : ١-٣] .

قالوا : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي .

❁ ❁ ❁

الأصل الثامن عشر

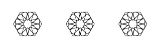
الحقيقة والمجاز

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأة تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز .

المبحث الثاني : لا مجاز في اللغة ولا في القرآن .

المبحث الثالث : الأدلة على فساد المجاز .



المبحث الأول

نشأة تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز

- تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث، وقع في كلام المتأخرين من بعد القرون الثلاثة:

١ - فلم يتكلم أحد من الصحابة بهذا التقسيم لا لفظًا ولا معنًى.

٢ - ولم يتكلم أحد من التابعين بهذا التقسيم لا لفظًا ولا معنًى.

٣ - ولم يتكلم أحد من أئمة اللغة بهذا التقسيم لا لفظًا ولا معنًى، كالخليل، وسيبويه، والكسائي، وأبي عمرو بن العلاء، والفراء، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني.

٤ - ولم يتكلم أحدٌ من الأئمة بهذا التقسيم لا لفظًا ولا معنًى، فلا أبو حنيفة، ولا الثوري، ولا مالك، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا أحمد.

* وأما قول أحمد في لفظة: «إنا، ونحن» من مجاز اللغة، أنه يجوز أن يقولها الواحد العظيم الذي له أعوان، ولم يقصد قط أنه لفظ استعمل في غير ما وضع له.

- أول من تكلم بهذا التقسيم هو أبو عبيدة معمر بن المثني، وهو معتزلي، بل أبو عبيدة لم يقصد المجاز بمسماه الحالي، والذي يوضح ذلك قصته مع إبراهيم بن إسماعيل.

فسأله إبراهيم عن قوله تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

أنها جاءت على غير النسق العربي، لأن المشبه به غير معروف، فقرأ عليه أبو عبيدة بيتًا من معلقة لامرئ القيس فيها المشبه به غير معروف:

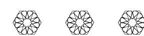
أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زُرْقٌ كأنياب أغوال

فهنا شبه سن حربته بأنه يلمع بالزرقة من حدته، بأنياب الغول وهو غير معروف، ثم وضع كتابه الذي سماه «المجاز».

وهذه الصورة لا تشبه المجاز الاصطلاحي.

* فإن تبين لك ما سبق:

فمن سلف أصحاب هذا التقسيم؟!



المبحث الثاني

لا مجاز في اللغة ولا في القرآن

- نزل القرآن بلسان النبي ﷺ، ولسان النبي ﷺ هو لسان قريش.
قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤].
فمن زعم أن اللغة فيها مجاز، والقرآن لا مجاز فيه فقد تناقض.
فإما لا مجاز فيهما.
وإما فيهما مجاز.
والصواب: أنه لا مجاز فيهما.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

الأدلة على فساد المجاز

لقد بينت هذه المسألة في التأسيس، وهنا أشير إشارةً تزيد ما في التأسيس إيضاحًا.

١ - أن هذا التقسيم ما قام إلا على الوهم المحض، وهو:

أنهم زعموا أن الحقيقة هي استعمال اللفظ فيما وضع له.

وأن المجاز هو استعمال اللفظ في غير موضعه لقرينة وعلاقة.

والوهم في هذا هو:

من أين لهم أن هذا اللفظ وضع أولًا لكذا ثم نقل بقرينة إلى كذا؟!

فمن ادعى التقديم والتأخير فهو مبطل، فلم ينقل أحد من الناس ذلك ولا يمكن أن ينقل عن العرب ذلك؛ لأن هذا مبني على وهم آخر وهو أن اللغة مخترعة.

فمن أين لهم هذا الوهم، بل لو اجتمع الإنس والجن على تأليف بعض اللغة العربية ما استطاعوا، بل هذا القول لم ينطق به أحدٌ من المسلمين قبل المعتزلي أبي هاشم بن الجبائي.

٢ - أن الكلام لا يوجد إلا مقيدًا من جهة أو جهات، ولا يستعمل قط إلا مقيدًا لفظيًّا أو حاليًّا.

مثل: «إن خالدًا سيف من سيوف اللَّه سله اللَّه على المشركين».

فإن كان الأمر كذلك فلا حقيقة، لأن المقيد هو المجاز والمطلق هو

الحقيقة، ولأن العام هو الحقيقة والخاص هو المجاز.

٣ - معلوم أن العام والمطلق وجودهما علمي، والخاص والمقيد وجودهما عيني، فلو كان المجاز هو المقيد والخاص للزم من ذلك أنه لا حقيقة في الأعيان.

٤ - هذا التقسيم لا يميز هذا عن هذا، وما يذكرونه من فروق كلها باطلة، لذلك ما قال عنه فريق منهم أنه مجاز، قال فريق آخر أنه حقيقة، وقال فريق ثالث بل هو حقيقة ومجاز جميعًا.

٥ - هذا التقسيم إما يترتب عليه مفسدة، وإما يترتب عليه مصلحة.

فإن كان المترتب عليه مفسدةً فلا حاجة لنا به، ووجب منعه.

وإن كان المترتب عليه مصلحة؛ فإما أنها مسبوقة من غير طريق المجاز، وحينئذ لا حاجة لنا بها، وغايتها أنها من باب توارد الأدلة، وإما أنها غير مسبوقة، وهذا طعن في القرآن والسنة وسلف الأمة، وأنهم اجتمعوا على باطلٍ.

٦ - المجاز ترتب عليه أعظم مفسدة، وهي الإلحاد في أسماء اللَّه- عز وجل- وآياته.

٧ - المجاز ترتب عليه أعظم مفسدة، وهي تحريف الكلم عن مواضعه.

٨ - كل من قسم الكلام إلى حقيقة ومجاز متفقون على أن الأصل في الكلام هو الحقيقة، ومع ذلك وضعوا قرائن تجعل الكلام كله مجازًا.

إذن: تبين أن النزاع ليس لفظيًّا كما توهمه البعض.

الأصل التاسع عشر

المحكم والمتشابه

وفيه خمسة مباحث:

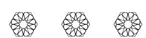
المبحث الأول: الإحكام العام والتشابه العام.

المبحث الثاني: الإحكام الخاص والتشابه الخاص.

المبحث الثالث: المعنى والتفسير داخلان في جميع الآيات المحكمات والآيات المتشابهات.

المبحث الرابع: أنواع التشابه.

المبحث الخامس: مثال للمحكم والمتشابه.



المبحث الأول

الإحكام العام والتشابه العام

- **الإحكام العام:**

١ - كما في قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١، ٢].

فهذه الآية نص في أن جميع آيات القرآن محكمة.

٢ - الإحكام هو الإتقان؛ وذلك لأنه ميز بين الصدق والكذب في أخباره، وميز الرشد من الغي في أوامره.

والذي يوضح ذلك:

٣ - قوله تعالى: ﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس: ١، ٢].

فقد سماه اللَّه حكيمًا، بمعنى حاكم، لأن فعيلًا هنا بمعنى فاعل.

ومعلوم أن الحاكم هو الذي يفصل بين الخصوم، فيتميز كلًّا عن الآخر، وهذا هو الإتقان.

- **التشابه العام:**

١ - كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

فهذه الآية نص في أن جميع آيات القرآن متشابه.

٢ - ومعنى متشابه أي متماثل، أي متوافق، بعضه يصدق بعضًا،

فلا يأمر بشيء في موضع ثم ينهى عنه في موضع آخر والعكس، إلا إذا كان نسخًا.

بل يأمر أو ينهى في الموضع الآخر بما يؤيده، أو يأمر وينهى ببعض لوازمه.

وكذلك إذا أخبر عن شيءٍ في موضع لا يخبر بنقيضه في موضع آخر بل يخبر به في الموضع الثاني بما وافق الموضع الأول، ويخبر بلوازمه.

٣ - وهذا التشابه ضد الاختلاف الذي يتضمن التناقض والتعارض.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨-٩].

فتبين الآتي:

١ - أن الأقوال المختلفة هي المتضادة، وأن الأقوال المتشابهة هي المتوافقة.

٢ - أنه لا تنافي بين الإحكام العام والتشابه العام؛ لأن الأول إتقان، والثاني توافق، والإتقان لا ينافي التوافق، بل الكلام المتقن يصدق بعضه بعضًا.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

الإحكام الخاص والتشابه الخاص

- **التشابه الخاص:**

١ - هو الحاصل من القدر المشترك بين الأشياء، مع الجهل بالقدر المميز لكلٍّ منها- وهو القدر الخاص-.

٢ - ومن هذا الباب اشتباه الحق بالباطل لرؤية القدر المشترك وتجاهل أو الجهل بالقدر الخاص المميز لكل ذاتٍ عن الأخرى، وهذا يخص الألفاظ.

٣ - ومن هذا الباب القياس الفاسد، لأنه جمع بين شيئين مع وجود القدر الخاص المميز، والذي يمنع من إلحاق الفرع بالأصل، وهذا يخص المعاني؛ لأن القياس في الأدلة العقلية، وأما السابق فهو يخص الألفاظ لأنه في الأدلة السمعية.

ورحم اللَّه- عز وجل- أحمد حيث قال:

«أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس».

- **الإحكام الخاص:**

هو الفصل بين الذوات، بحيث لا تشتبه إحداها بالأخرى.

فتبين الآتي:

أن الإحكام الخاص ضد التشابه الخاص.

المبحث الثالث

المعنى والتفسير داخلان في جميع الآيات المحكمات والآيات المتشابهات

ما من آية في كتاب اللَّه- عز وجل - إلا وهي مفهومة المعنى، سواء أكانت من المحكمات أم من المتشابهات، وقد دل على ذلك النص والإجماع.

- **فأما النص:**

١ - قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

فهذه الآية تعم المحكمات والمتشابهات، فلو قيل لا أعقل معنى المتشابه. لكان تخصيصًا بلا مخصص، لأن الذي لا يعقل معناه لا يتدبر.

ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢].

إذن:

التدبر مدح من اللَّه لمن تعرض للمعنى.

إذن:

الذم في قوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

ليس على من تعرض للمعنى، إنما لمن تعرض للحقيقة التي يئول إليها الكلام، وهذه لا يعلمها إلا اللَّه.

إذن: البحث عن الوجود العلمي ممدوح.

والبحث عن الوجود العيني مذموم.

٢ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ [الأعراف: ٥٢].

فهذه الآية وصف جميع آي الكتاب بأنها مفصلة، فلو كان المتشابه ليس مفصلًا من جهة المعنى لما صح هذا العموم.

لذلك قال تعالى في الآية التي بعدها: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

إذن:

التأويل المنتظر غير ما فصل، فلو كان هو هو، لكان نفيًا للتفصيل.

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١، ٢].

وأما المنتظر:

وهي الحقيقة التي يئول إليها الكلام، قد بينها اللَّه- عز وجل- في كتابه، وهاك بعض المفردات:

الأولى: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

أي علم وقت الساعة المعين وحقيقتها عند اللَّه وحده سبحانه.

وهذا لا ينافي أبدًا أننا نعلم بعض صفاتها وأحوالها، ولكن هذا هو الوجود العلمي، وذاك هو الوجود العيني المنتظر.

٣ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦].

ووجه الاستدلال:

أن الضمير (الهاء) في قوله تعالى ﴿يَفۡقَهُوهُ﴾ عائد على جميع القرآن، فلو كان أهل العلم والإيمان لا يفقهون بعضه لشاركوا المشركين في صفة الذم.

٤ - وقال مجاهد: «عرضتُ المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره مرات أقف عند كل آية وأسأله عنها».

فهذا الكلام دخل قطعًا فيه المتشابه، فكان جواب ابن عباس عن المعنى ويكف عن الحقيقة التي يئول إليها الكلام.

٥ - وقال الحسن البصري: «ما أنزل اللَّه آية إلا وهو يحب أن يعلم فيماذا أنزلت، وماذا عني بها». مجموع الفتاوى (ج١٣ ص ٢٨٤).

وكما ترى لم يستثن لا متشابهًا ولا غيره.

- وأما الإجماع:

قال ابن تيمية (ج١٧ ص ٤٢٣):

«... وعُلم أن من قال: إن من القرآن ما لا يفهم أحدٌ معناه، ولا يعرف معناه إلا اللَّه، فإنه مخالف لإجماع الأمة مع مخالفته للكتاب والسنة».

- والذي يؤكد صحة ما سبق:

١ - أن من زعم أن لفظًا واحدًا في الكتاب أو السنة لا يعرف معناها

فقد جعل بعض كلام اللَّه وبعض كلام رسوله ﷺ بمنزلة الكلام العجمي الذي لا يفهمه العربي.

٢ - لا يعرف عن أحدٍ من علماء المسلمين أنه قال أن النص في المسألة المعينة لا يعرف معناه.

٣ - أن الذين قالوا في المتشابه: لا يعلم الراسخون في العلم معناه. هم أكثر الناس كلامًا في معنى المتشابه.

٤ - أن الآيات المحكمات فيها إخبار عن اللَّه وعن اليوم الآخر، والكل يقر على أنهم يعلمون تأويل المحكم، فدل ذلك على:

أولًا: أنهم قصدوا المعنى.

ثانيًا: أنهم لم يقصدوا معرفة حقيقة ما يئول إليه الكلام، وهذا بعينه الموجود في الآيات المتشابهات.

- **فتبين مما سبق**:

١ - أن المتشابه كله يُعرف معناه.

٢ - أن المحكم كله يُعرف معناه.

وعليه:

فكل النصوص معلومة المعنى؛ علم ذلك من علم، وجهل ذلك من جهل.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

أنواع التشابه

- **اعلم :**

أولًا : أن المتشابه في باب الخبريات ؛ إما عن اللَّه ، وإما عن الآخرة .

ثانيًا : المتشابه ثلاثة أنواع :

الأول : التشابه النسبي أو الإضافي .

الثاني : التشابه في المعنى .

الثالث : التشابه في الكيف .

- **النوع الأول : التشابه النسبي أو الإضافي :**

وهو أن يتشابه على بعض الناس ، ما لا يتشابه على غيرهم .

فمن ميز فقد صار في حقه محكمًا .

ومن أمثلة ذلك :

١ - قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة : ٧٠] .

فلَمَّا عرفوها بالوصف الخاص المميز صارت محكمة .

٢ - قال ﷺ : «الحلال بيِّن ، والحرام بيِّن ، وبينَ ذلك أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثيرٌ من الناس» .

فقوله ﷺ : «لا يعلمهن كثيرٌ من الناس» يدل على أن القلة تعرفُ ذلك ، وهم قطعًا من الراسخين في العلم . [متفق عليه عن النعمان بن بشير]

فمن لم يعلمه فهو متشابه عنده، ومن علمه فهو محكم.

- **النوع الثاني: التشابه في المعنى:**

وهذا قسمان:

الأول: فيما أنزله الرحمن.

الثاني: فيما ألقاه الشيطان.

فالأول: فيما أنزله الرحمن:

وهذا يدخل في أبواب كثيرة منها:

١ - اللفظ المجمل؛ وهو ما احتمل أكثر من معنى، ولم توجد قرينة لتقديم إحداها.

فهذا اشتباه، فإن وجد الدليل دفع الاشتباه، وثبت الإحكام.

٢ - الظاهر؛ وهو ما احتمل أكثر من معنى، وتبادر إحداها إلى الذهن.

وقد توجد قرينة تورث شبهة الأخذ بالمعنى المرجوح، فإن وجد دليل يساعد على هذه النقلة ثبت الإحكام ودفع الإبهام.

٣ - العام قبل التخصيص:

فيه شبهة أن جزءًا معينًا منه أو ليس منه، لأنه ظني الدلالة.

فإن ثبت مخصص تناول جزءًا معينًا، ثبت الإحكام، ودفع الإبهام.

٤ - المطلق قبل التقييد.

٥ - رفع الحكم السابق مع ملاحظة أن المنسوخ قبل ثبوت الناسخ من باب المحكم.

٦ - القياس، كتردد الفرع بين علتين. فيلحق بالأقرب نسبًا.

وعليه:

فالإحكام هو فصل الشيء عن غيره، وفصل ما ليس منه منه.

القسم الثاني: فيما ألقاه الشيطان:

ويكون:

١ - في اللفظ المبلغ.

٢ - في سمع المبلغ.

٣ - في فهم المبلغ.

فإن حصل هذا تشابه الحق بالباطل، فإذا نسخ اللَّه ما ألقاه الشيطان سلم الحق وأصبح محكمًا.

- **النوع الثالث: التشابه في الكيف:**

١ - وهو الحقيقة التي يئول إليها الكلام، وهذه هي التي استأثر اللَّه بعلمها.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

فالوقف على لفظ الجلالة وقف كيف.

٢ - وقد زعم البعض أن الوقف على لفظ الجلالة وقف معنى وتفسير، وقطعًا هذا باطل، وقول مرذول له لوازم تقدح في الإيمان باللَّه، وتطعن في رسوله ﷺ، وتطعن في نفس الرسالة.

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

مثال للمحكم والمتشابه

- يجب على كل عاقل أن يعمل بالمحكم، ويؤمن بالمتشابه.

- يجب على كل عاقل إن اشتبه المحكم بالمتشابه، فسَّر المتشابه في ضوء المحكم.

* وهذا يخص تشابه المعنى، ولا علاقة له بتشابه الكيف، فلا سبيل إليه قبل وقوعه عينًا.

- وأضرب مثالًا يحتذى به.

أولًا: المحكم:

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤].

ثانيًا: المتشابه:

لما جاء وفد نصارى نجران؛ تأولوا لفظين: ﴿إِنَّا﴾، و﴿نَحْنُ﴾.

وقالوا: بأن اللَّه ثالث ثلاثة.

والسبب في ذلك أن اللفظين من المتشابه.

١ - فقد يراد بها الواحد الذي معه غيره من جنسه.

٢ - وقد يراد بها الواحد الذي معه أعوان، وإن لم يكونوا من جنسه.

٣ - وقد يراد بها الواحد المعظم نفسه.

فترك هذا الوفد المحكم، وعملوا بالمتشابه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، مع أنهم لو عملوا بالمحكم، وتركوا المشابه لسلموا.

والعجب أنهم قدموا معنًى دون أي دليل، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

ولو فهموا المتشابه في ضوء المحكم لعلموا أن اللفظين يتنزلان على المعنى الثالث، وهو الواحد المعظم نفسه- تبارك ربنا وتعالى-.

❁ ❁ ❁

الأصل العشرون

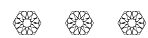
التأويل

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أنواع التأويل .

المبحث الثاني : التفسير والتأويل .

المبحث الثالث : معنى «وعلمه التأويل» .



المبحث الأول

أنواع التأويل

– التأويل من الأسماء المشتركة، فكل أهل فن استخدموه بحسب اصطلاحهم.

وعليه: فهو نوعان:

الأول: التأويل عند الأصوليين والفقهاء:

«وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به».

والتأويل بهذا المعنى لم يرد به كتاب ولا سنة.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٦٨):

«بل لا يعرف في القرآن لفظ التأويل مخالفًا لما يدل عليه اللفظ خلاف اصطلاح المتأخرين».

وهذا النوع هو الذي استخدمه المتأخرون في تأويل الصفات، فأخطئوا الطريق.

ويلاحظ: أن هذا النوع وجوده علمي أو لفظي أو رسمي.

الثاني: التأويل عند جمهور المفسرين:

١ – كابن جرير: والتأويل عنده بمعنى تفسير الكلام؛ سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه.

ومن قوله: اختلف علماء التأويل أي التفسير.

٢ - ومجاهد: هو إمام المفسرين، وقد عرض القرآن آية آية على ابن عباس يوقفه على معنى كل آية.

لذلك كان الأكابر يعتمدون عليه؛ كالشافعي وأحمد والبخاري حتى قال الثوري:

«إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به».

وإذا قال مجاهد: أعلم تأويل المتشابه؛ فمراده أنه يعرف تفسيره.

* وهذا التأويل هو الذي يعلمه الراسخون في العلم.

* والتأويل بهذا المعنى جاء في الكتاب والسنة. ومنه:

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف: ٣٧].

أي لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام إلا أخبرتكما بتفسيره في اليقظة قبل أن يأتيكما الطعام.

وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨].

ويلاحظ: أن هذا النوع وجوده علمي أو لفظي أو رسمي.

- هذان النوعان هما المشهوران بين الناس، وقد ترك معظمهم النوع الثالث من التأويل، وهو المعنى الموجود في القرآن وعليه مدار الأمر، وبه يحسم الخلاف بين الناس في مسائل الصفات كافة، بل وفي غيرها.

* النوع الثالث: التأويل في القرآن:

معناه؛ هو الحقيقة التي يئول إليها الكلام.

١ - قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

فتأويل أخبار المعاد هو وقوعها عينًا؛ مثل القيامة، والحساب، والميزان، والجنة والنار، . . .

٢ - وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فجعل يوسف عليه السلام ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا.

٣ - وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٢].

فجعل الخضر عين الموجود هو التأويل.

٤ - قالت عائشة- رضي اللَّه عنها: «كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي». يتأول القرآن. حديث متفق عليه من حديث عائشة.

يعني قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ [النصر: ٣].

٥ - قال سفيان الثوري: «السنة هي تأويل الأمر والنهي».

فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به.

ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر.

- يلاحظ:

أن التأويل في هذا النوع هو الوجود العيني.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

التفسير والتأويل

- هذان النوعان موجودان في القرآن والسنة.

* وقد وجدا في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

فقوله تعالى: ﴿لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ هو التفسير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو الحقيقة التي يئول إليها الكلام.

* فالتفسير هو الوجود العلمي، والتأويل هو الوجود العيني، وهذا حال الاقتران كما في الآية السابقة.

* وإن وجد لفظ التأويل مجردًا عن الاقتران انصرف إلى الوجود العلمي أو العيني بحسب السياق.

* والنبي ﷺ يحيط بعلم ما أنزل اللَّه عليه، وإن كان تأويله لم يأت بعد.

* والراسخون في العلم يحيطون ببعضه، ومجموع ما عندهم من الصواب هو ما بلغه النبي ﷺ لأمته.

* وعلى ما سبق يخرج:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

فالنفي وقع على التأويل بمعنى الحقيقة التي يئول إليها الكلام، أي

الوجود العيني وليس واقعًا على التفسير وهو معرفة المعنى أي الوجود العلمي .

وعلى هذا يتنزل الوقف على «إلا اللَّه» ، أي المتشابه الذي استأثر اللَّه بعلم تأويله وهو الحقيقة الموجودة في الخارج .

وهذا الذي سبق ثبت عن مجاهد ، وقد ثبت عنه أيضًا صحة الوقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ .

وهذا وقف صحيح أيضًا باعتبار آخر ، وهو الوجود العلمي ، أي المتشابه الذي يعرف أهل العلم تفسيره .

وعليه :

يمكن أن يقال :

١ - أن كل آية متشابهة معناها معلوم يعلمه الراسخون في العلم ، وكيفها مجهول لا يعلمه إلا اللَّه ، وتتنزل جميع آيات وأحاديث الصفات على هذا .

٢ - أن كل آية محكمة أيضًا معناها معلوم يعلمه الراسخون في العلم ، والكيف معلوم لهم أيضًا ، وقد يتخلف عن آحادهم لا عن مجموعهم .

- كما سبق قد فرقت النصوص بين التفسير والتأويل على التفصيل السابق ، وعليه :

١ - فلا يشتبه عليك هذا التفريق وتفريق الثعلبي بين التفسير والتأويل ؛ فالتأويل عنده هو التأويل الأصولي والذي لا وجود له في

القرآن ولا في السنة. والتفسير عنده هو التنوير وكشف المغلق من المراد باللفظ، وفي هذا تقصير أيضًا، ولم ينفرد الثعلبي بل متأخرو المفسرين كذلك.

٢ - ولا يشتبه عليك كلام بعض الفقهاء.

فالتأويل عندهم هو الأصولي.

والتفسير هو إخراج الشيء عن مقام الخفاء إلى مقام التجلي، وهذا أعم من كلام الثعلبي ومن وافقه.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

معنى «وعلمه التأويل»

- قال ﷺ لابن عباس:

«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

❊ ليس التأويل في هذا الحديث لفظًا عامًّا يشمل النوع الثاني والثالث بل اللام هنا للمعهود.

وعليه:

فالتأويل في الحديث هو بمعنى تفسير الكلام.

أما التأويل بمعنى الوجود العيني فهذا لا يعلمه إلا اللَّه- عز وجل-.

❁ ❁ ❁

الأصل الحادي والعشرون

الناسخ والمنسوخ

وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : معنى النسخ .

المبحث الثاني : استمداد علم الناسخ والمنسوخ .

المبحث الثالث : الحكمة من النسخ ومن النسيان ، ومن ينكره .

المبحث الرابع : لا نسخ إلى غير بدل .

المبحث الخامس : صور النسخ .

المبحث السادس : أنواع النسخ .

المبحث السابع : أقسام النسخ .

المبحث الثامن : السنة الآحادية تزيد على القرآن .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

معنى النسخ[١]

١ - في اللغة:

النسخ في اللغة يأتي على معانٍ منها:

الأول: بمعنى الإزالة:

قال تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ [الحج: ٥٢].

الثاني: النقل:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

٢ - في الاصطلاح:

رفع حكم شرعي متقدم، بخطاب شرعي متأخر منفصل عنه منافٍ له[٢].

٣ - في لغة الشرع:

* النسخ هنا أعم من اللغة ومن الاصطلاح، وقد يراد بـ

أولًا: رفع ما ألقاه الشيطان وإثبات ما أنزله الرحمن.

قال تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

---

(١) التأسيس (ص٤٠١-٤١٨).

(٢) التأسيس (ص٤٠١).

وقد يسمى بهذا الاعتبار مقابلًا للمحكم.

ثانيًا: تخصيص العام وتقييد المطلق، يسميان نسخًا في لغة السلف.

ثالثًا: رفع الحكم الشرعي، وهو النسخ الاصطلاحي.

رابعًا: نسخ فهم خطأ:

قال تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨].

فقد يظن أن الآيتين نسختا بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقد فهم البعض أن الآيتين تدلان على التكليف فوق الطاقة، فنسخ اللَّه ذلك بقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

وليس الأمر كذلك:

إنما الناسخ نسخ الفهم الخطأ، وأثبت بالمنطوق مراده من الآيتين، بمعنى: من قام بما يقدر عليه فقد اتقى اللَّه حق تقاته، ومن جاهد بما يستطيع فقد جاهد حق جهاده.

خامسًا: بيان المراد باللفظ بدليل منفصل.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

استمداد علم الناسخ والمنسوخ

- يستمد علم الناسخ والمنسوخ.

١ - من نصوص القرآن.

٢ - من نصوص السنة.

٣ - من الإجماع.

٤ - من الصحابة، مع ملاحظة الآتي:

أولًا: أن ابن عباس لم يسمع من النبي ﷺ إلا دون العشرين حديثًا.

وعليه: فلا يعد حديثه ناسخًا إلا بشرطٍ من شرطين:

الأول: أن يكون من الأحاديث التي هي دون العشرين.

الثاني: أن يصرح بالسماع.

ثانيًا: كل من كان على وصف ابن عباس يعامل نفس المعاملة؛ كمحمود بن الربيع.

ثالثًا: أن أبا هريرة كان إسلامه متأخرًا، كان في آخر السنة السادسة فلا يعتبر تأخر الإسلام دليلًا على تأخر الناسخ، بل لابد من التصريح بالسماع لاحتمال سماعه من صحابي آخر.

رابعًا: كل من كان على وصف أبي هريرة يعامل نفس المعاملة.

٥ - من التابعين.

المبحث الثالث

الحكمة من النسخ، ومن النسيان ومن ينكره

- أنكر اليهود وغيرهم النسخ بدعاوى زائفة، وقد حكى اللَّه- عز وجل- عنهم ذلك، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

* فهذا الإنكار منهم قابله اللَّه- عز وجل- بأمرٍ في نفس الآية وفي غيرها ومنها:

١ - أن اللَّه- عز وجل- بين أن الأمر متعلق بمشيئته سبحانه، فلا معقب لحكمه، وليس لهم من الأمر شيء، وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

٢ - أن اللَّه- عز وجل- بين أن النسخ يكون للأصلح والأنفع، وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

* ولا يلزم من ذلك أن المنسوخ لم يكن الأصلح والأنفع؛ بل كان الأصلح والأنفع في مكانه وزمانه.

٣ - أن اللَّه يحب أن يرى من عباده الامتثال، وأن الممتثل من ذوي العقول، وغير الممتثل من السفهاء.

٤ - أن الناسخ يتردد بين التخفيف فيكون من باب التيسير، وبين

التشديد فيكون من باب الخير.

٥ - وفي غير هذه الآية بين اللَّه- عز وجل- أن النسخ وقع في التوراة، فقد أحل اللَّه- عز وجل- لإسرائيل أشياء، ثم حرمها في التوراة.

- وقد يتوهم البعض أن النسخ نقص فيما أنزله على عباده، وهذا مردود؛ لأن اللَّه بين أنه يأتي بخير منها أو مثلها.

وعليه:

فإن النعمة إما باقية، وإما زائدة.

* فإن علمت ما سبق:

تبين وهم من أثبت نسخًا إلى غير بدلٍ، لأن النسخ لغير بدلٍ لا هو خير من المنسوخ ولا مثله.

- وقد يتوهم البعض أن النسيان في الآية صفة ذم. وهذا غير صحيح، وذلك لأن النسيان نوعان:

الأول: ما أضيف إلى الرب سبحانه؛ قال تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾.

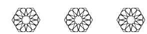
فهذا ليس ذمًّا، لأنه رفع، والرفع المجرد ليس فيه ذم، فما بالك لو كان الرفع مشروطًا بالإتيان بخير منه أو بالمثلية.

الثاني: ما أضيف إلى العبد:

فهذا قطعًا مذموم، لأن فيه فقدًا للمحفوظ، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

وهذا النسيان ناتج الإهمال، وهذا من تسلط الشيطان؛ قال ﷺ:

«بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو أنسي، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم من عقلها». متفق عليه عن ابن مسعود.



المبحث الرابع

لا نسخ إلى غير بدل

- والذي يدل على ذلك ؛ قوله تعالى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

ووجه الاستدلال :

أن إثبات نسخ لغير بدل تعطيل لقوله : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ .

- وأما قوله تعالى : ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المجادلة : ١٣] .

* فقد قيل :

إن الصدقة نسخت إلى غير بدل .

قلتُ :

١ - إن كان مراد القائل : نسخت إلى غير بدل من نوعها ، فقد يكون له وجه .

٢ - وإن كان مراده : نسخت إلى غير بدلٍ مطلقًا ، فليس بصحيح ، بل بدلها خير منها وهو الصلاة والزكاة الواجبة .

٣ - ثم النسخ في الآية وقع على الوجوب لا على المشروعية ، وعليه فالاستحباب باق .

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

صور النسخ

❑ صور لا يقع فيها النسخ :

١ - التوحيد .

٢ - أصول العبادات .

٣ - أصول المعاملات .

٤ - مكارم الأخلاق ؛ كالصدق والعفاف .

٥ - الخبر الصريح ؛ كالوعد والوعيد .

وأما الحكم الذي أتى بصورة الخبر فيجوز نسخه .

كقوله تعالى : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

نسخت بقوله تعالى : ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال : ٦٦] .

* والسر في عدم دخول النسخ في الصور السابقة هو أن لازم ذلك الطعن في المخبر ؛ إما بالتكذيب ، وإما بالنسيان ، وإما بالخطأ ، وإما بعدم العلم ، وكل هذا ممتنع .

- صور لا يصح إطلاق النسخ عليها :

١ - رفع البراءة الأصلية بدليل شرعي لا يسمى نسخًا .

٢ - تخلف الحكم لوجود مانع؛ فالحيض مانع من الصلاة.

٣ - رفع الحكم بموت أو جنون.

٤ - تخلف الحكم لفوات شرطه، كتخلف وجوب الزكاة لنقص النصاب.

❁ ❁ ❁

المبحث السادس

أنواع النسخ

- النسخ على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نسخ الحكم دون التلاوة:

وذلك مثل حكم آية العدة بالحول مع بقاء تلاوتها.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

فهذه الآية نسخت بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وكذلك آيتا المصابرة.

النوع الثاني: نسخ التلاوة دون الحكم:

١ - ولا يلزم من ذلك فقد النص؛ ومثاله: آية الرجم: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من اللَّه واللَّه عزيز حكيم).

[رواه أحمد عن زيد بن ثابت].

فهذا حديث صحيح، بل هو على شرط الشيخين وإن لم يخرجاه.

٢ - وليس مع من رد هذا النوع شيء يعتبر، وإن زعم العقل، فالعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

٣ - وقد قال: إنها أخبار آحاد ولا يثبت بها قرآنٌ.

وهذا قطعًا باطل.

فإن جميع القراءات من أخبار الآحاد، وليس مع من قال بتواترها إلا الوهم والتقليد.

وإن كانت قطعية الثبوت من طريقين:

الأول: الإجماع.

الثاني: خبر الآحاد لأنه يفيد اليقين، ولإثباته رقعة غير هذه.

٤ - وقد أقسم آخر:

أن هذه الألفاظ ليست من القرآن، لا لشيء إلا أنه زعم أنها لا تشابه القرآن.

وقد تورط بسبب رعونته، فنسب هذا الحديث إلى النبي ﷺ وقبلها رفض أن يكون قرآنًا معللًا ذلك بقوله: « . . . وأن ذلك من اللفظ الفج، والكلام المعسول . . . ».

وهل كان رسولنا ﷺ يقول كلامًا فجًّا أو معسولًا؟!

وهذا مصير كل من حارب النصوص بالدعاوي الفارغة، والتي لا سلف لها من منقولٍ ولا معقول.

النوع الثالث: نسخ التلاوة والحكم معًا:

١ - يدخل في هذا النوع ما أنساه اللَّه- عز وجل- لعباده.

٢ - ومثاله: ما رواه مسلم عن عائشة- رضي اللَّه عنها- قالت: «كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات».

٣ - وقد رُد هذا النوع بمقالات، واللَّه لا ترقى للنظر فيها، وقد سبق فيما قبله البيان.

٤ - ولكن العجب!

أن صاحب هذا القول ضعف هذا الحديث، وقال: فيه محمد بن إسحاق، وقد وهنوه، ووصفوه بالكذب.

قلتُ:

أولًا: هذا كلام ساقط لا يصدر من منصفٍ.

ثانيًا: أن هذا الحديث أخرجه خمسة عشر نفسًا:

أ - منها ثلاثة عشر لا ذكر فيها لمحمد بن إسحاق، وكلها صحيحة لاسيما رواية مالك، والشافعي، ومسلم.

ب - ورواية من طريق عبد اللَّه بن محمد بن إسحاق وذلك عند البيهقي.

ج - ورواية من طريق محمد بن إسحاق الصغاني وذلك عند البيهقي.

هب أن هذه الرواية ضعيفة، فهل تترك الروايات الصحيحة من أجل رواية ضعيفة؟!

والعجب:

أن محمد بن إسحاق الذي أشار إليه، ليس هو محمد بن إسحاق الصغاني، فهذا ثقة ثبت من شيوخ مسلم.

والعجب: أن البيهقي ذكره بما يميزه «الصغاني» فكيف يهمل قيد صاحب الرواية؟!!

المبحث السابع

أقسام النسخ

- وهو أربعة أنواع :

النوع الأول : نسخ القرآن بالقرآن :

ومثالها :

١ - نسخ عدة المتوفى عنها زوجها .

٢ - نسخ آيتى المصابرة .

النوع الثاني : نسخ السنة بالسنة :

ومثالها :

قال ﷺ : « كنتُ نهيتكم عن الأشربة في ظروف الأدم فاشربوا في كل وعاءٍ غير ألا تشربوا مسكرًا» . [رواه مسلم عن بريدة] .

النوع الثالث : نسخ السنة بالقرآن :

ومثالها :

١ - أن القبلة الأولى- إلى القدس- ثابتة بالسنة ، وقد نسخت بقوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

٢ - تحريم مباشرة النساء في ليالي رمضان بعد النوم أو صلاة العشاء الآخرة ، قد ثبت بالسنة ، ونسخ بالقرآن ، قال تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

النواع الرابع: نسخ القرآن بالسنة:

* اعلم- يرحمني ويرحمك اللَّه- :

١ - أن الخلاف واقع في جواز نسخ القرآن بالسنة.

٢ - فقد منع كثيرون من العلماء؛ كالشافعي وابن تيمية جواز نسخ القرآن بالسنة، وقد استدلوا بقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

* فقال الشافعي: «إن السنة لا تنسخ القرآن».

* وقال ابن تيمية: «لا ينسخ القرآن إلا قرآن، فلا ينسخه سنة أيًّا كانت؛ لأن السنة ليست مثل القرآن فضلًا عن أن تكون خيرًا منه». مجموع الفتاوى.

قلتُ:

١ - أنا لا أملك ناسخًا من السنة قد استقل بنسخ القرآن، وقد قال ابن تيمية: «وبالجملة فلم يثبت أن شيئًا من القرآن نسخ بسنة بلا قرآن».

[مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٣٩٨].

٢ - عدم وجود المثال لا يعني عدم صحة البرهان.

فأقول:

أولًا: السنة منزلة من عند اللَّه- عز وجل- كما أن القرآن منزل من عند اللَّه- عز وجل- وقد بينت ذلك في كتابنا «أصول الفهم».

ثانيًا: وقطعًا لفظ القرآن وما تضمنه من أحكامٍ من عند اللَّه- عز وجل-.

وقطعًا لفظ السنة من عند النبي ﷺ وما تضمنه من أحكام من عند اللَّه- عز وجل- .

وعليه :

١ - أحكام الدين- كتابًا وسنة- من عند اللَّه- عز وجل ، قال تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام : ٥٧] .

٢ - فتبين مما سبق أن أحكام السنة قد تكون خيرًا من أحكام القرآن أو مثلها ، لأن الكل من عند اللَّه العزيز الحكيم .

ثالثًا : فإن تبين ما سبق :

١ - يجب تنزيل ما سبق على قسمٍ ، وهو نسخ الحكم وبقاء التلاوة كما نسخ حكم آية العدة بالحول مع بقاء لفظها يتلى .

٢ - ويجب تنزيل كلام الشافعي وابن تيمية على قسمٍ وهو نسخ اللفظ والحكم .

وبهذا يفك الاشتباك- واللَّه أعلى وأعلم- .

❁ ❁ ❁

المبحث الثامن

السنة الآحادية تزيد على القرآن

- اخترع قوم أصلًا ما قام عليه دليل من نقلٍ صحيح ولا عقل صريح، ألا وهو:

أن الزيادة الثابتة بخبر الآحاد على ما ورد في القرآن غير معمول بها، لأن العمل بها يعني أنها ناسخة للقرآن، والسنة لا تنسخ القرآن.

- وكل هذا باطل بينته في «التأسيس» وغيره، ويكفي لرد هذا الأصل الباطل أنهم لم يلتزموه في مئات المواضع، بل هدموه وأخذوا:

١ - بما صح وهو من أخبار الآحاد وقبلوا زيادته على القرآن.

٢ - وبما هو منكر، وموضوع، ولا أصل له، وقبلوا زيادته على القرآن.

وأقول:

١ - فإن قبلتم خبر الآحاد في موضع لِمَ لَمْ تقبلوه في الموضع الآخر؟

قطعًا هناك تبريرات لا قيمة لها بأدنى نظر، وإنما مرادهم بهذا التبرير هو محض التمرير.

٢ - وإن قبلتم الموضوع في موضع لِمَ لَمْ تقبلوا ما صح في الموضع الآخر؟

- وإليك بعض الأمثلة لبيان نقضهم لهذا الأصل:

١ - اعتمدوا خبر الوضوء بنبيذ التمر وهو موضوع، وهو زيادة على القرآن.

٢- اعتمدوا قطع رجل السارق في المرة الثانية وهي زيادة على القرآن .

٣ - اعتمدوا أن أقل المهر عشر دراهم، مع أن استحلال البضع علق بالمال، وهو اسم جنس إفرادي يقع على القليل والكثير من غير فرق. وهذا زيادة على ما في القرآن .

٤ - اعتمدوا تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها مع أنه زيادة على القرآن .

قطعًا لهم تبريرات فاسدة باطلة، ومنها أن الخبر مشهور على الشرط الحنفي فيجوز تخصيص القرآن به، والخبر آحادي ولم يشم رائحة التواتر على الشرط الحنفي في الطبقة الثانية أو الثانية والثالثة .

ثم هب :

أنه كذلك فقد خصصتم به القرآن وهو إنقاص لمدلول القرآن؛ لأنه إخراج من لفظ عام، والزيادة لم تنف ما أثبته القرآن ولم يمنعها القرآن فكانت أسلم .

٥ - اعتمدوا المسح على الخفين ومنعوا المسح على العمامة .

٦ - أوجبوا الطهارة للطواف، والقرآن لم يأمر بها .

٧ - أوجبوا المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة ومنعوا الأمر بالاستنشاق للمتوضئ .

فبهذه الأمثلة وغيرها المئات نقضوا ما أصلوا .

وخلاصة القول: اعمل بالسنة متى صحت، فواللَّه إن وراء كلامهم كلامًا يعلمه من خبر أصول القوم، ومن خبر نشأة المذاهب .

الأصل الثاني والعشرون

القسم

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : أركان القسم .

المبحث الثاني : المقسم .

المبحث الثالث : أداة القسم .

المبحث الرابع : المقسم به .

المبحث الخامس : المقسم عليه .

المبحث السادس : اجتماع القسم والشرط .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

أركان القسم

- القسم من الأساليب العربية رفيعة المستوى، ويؤتى به لـ:

١ - التوكيد والتحقيق.

٢ - ويتضمن هذا القسم البرهان على صحة المقسم به.

٣ - ويتضمن الاستدراج للخصم كي يعترف بما يجحد.

- وقد لاحظتُ معنًى في القسم ألا وهو؛ أنه بمنزلة خطاب الوضع والمقسم عليه خطاب التكليف، وكما هو معلوم، ما من خطاب تكليفٍ إلا ومعه خطاب وضع لبيان متى يثبت الحكم ومتى ينتفي.

- وهذا الأسلوب يتكون من أربعة أركان:

الأول: المقْسِمُ.

الثاني: أداة القسم.

الثالث: المقسَمُ به.

الرابع: المقسَمُ عليه (جواب القسم).

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

المقْسِمُ

- إما هو الخالق سبحانه؛

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١].

- وإما هو المخلوق؛

قال ﷺ: «واللَّه إنك لخيرُ أرض اللَّه، وأحبُّ أرض اللَّه إلي، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجتُ». [رواه أحمد عن عبد اللَّه بن عدي بن الحمراء].

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

أداة القسم

- صيغ القسم نوعان :

النوع الأول : نفس الصيغة .

النوع الثاني : حروف القسم .

النوع الأول : نفس الصيغة :

١ - صيغة العام ؛ أقسمُ ، أحلفُ .

ولكن يتعدى بالباء إلى المقسم به .

قال تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ﴾ [النحل : ٣٨] .

٢ - صيغة «ايمن اللَّه» .

* وقد تحذف النون «ايمُ اللَّه» .

* وقد تحذف الهمزة والميم «مُنِ اللَّه» .

* وقد تحذف الهمزة والميم والنون «مُ اللَّه» .

تنبيه : الهمزة همزة وصل .

٣ - صيغة «يمينُ اللَّه» .

* فيقال : يمينُ اللَّه لا أفعلُ كذا .

* وتجمع على أيمن بهمزة قطع ، أو أيمان .

النوع الثاني: حروف القسم:

* وهي ثلاثة؛ الواو، الباء، التاء.

- **الحرف الأول: الواو:**

١ - تدخل على الاسم الظاهر فقط.

٢ - يحذف معها العامل وجوبًا، أي فعل القسم نحو أقسمُ.

٣ - ومثالها: قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣].

- **الحرف الثاني: الباء:**

١ - تدخل على الاسم الظاهر، والضمير

٢ - يجوز حذف العامل، ويجوز إثباته.

* مثال حذف العامل مع الاسم الظاهر:

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

* مثال إثبات العامل مع الاسم الظاهر:

قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١].

- **الحرف الثالث: التاء:**

١ - لا تدخل إلا على لفظ الجلالة (اللَّه)، وثبت أنها تدخل على الرب ولكن نادرًا.

٢ - يحذف العامل وجوبًا.

مثال:

قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

وقالت العرب: «تَرَبِّ الكعبة لأفعلنَّ كذا».

المبحث الرابع

المقسم به

- سبق بيان أن المقسم قد يكون هو:

١ - الخالق.

٢ - المخلوق.

- **أولًا: الخالق:**

١ - يقسم بنفسه المقدسة.

٢ - يقسم بمخلوقٍ من مخلوقاته.

*** الخالق يقسم بنفسه المقدسة:**

١ - قد يذكر وهو الأكثر؛ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ [مريم: ٦٨].

٢ - وقد يحذف.

٣ - وقد يحذف مع العامل؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

٤ - أكثر القسم كان في الآيات المكية، والسبب:

أن أهل مكة أنكروا الوحي، وحاربوا الرسالة.

٥ - وقد أقسم سبحانه بنفسه المقدسة في سبعة مواضع:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس : ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم : ٦٨] .

وقال تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٩٢] .

وقال تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن : ٧] .

وقال تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج : ٤٠] .

٦ - والسر في لفظ الرب في هذه المواضع السبعة، والتي كلها آيات مكية خلا آية النساء والتغابن، أن الحديث عن الكافرين، وهم يقرون بتوحيد الربوبية ؛ فجعل اللَّه- عز وجل- ما يقرون به مقدمة إلزامية لقبول ما يرفضونه، وهذه هي عادة القرآن لإقامة الحجة على خصوم الدعوى .

ومعلوم أن :

١ - توحيد الأسماء والصفات يتضمن توحيد الألوهية .

٢ - وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية .

٣ - وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات .

٤ - وتوحيد الألوهية يستلزم توحيد الأسماء والصفات .

فعلى المقدمة الثالثة تتنزل الآيات السبعة .

*** الخالق يقسم بفعله :**

قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس : ٥] .

وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ [الصافات: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ [النازعات: ١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ [المرسلات: ١].

مع التنبيه:

١ - أن اللَّه- عز وجل- أقسم بالنفس، ولم يقسم بفعلها لأنها تفعل البر والفجور.

قال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨].

وكما ترى ذكر في ضمير القسم أنه خالق أفعالها.

٢ - أن القسم بالفعل لا يتضمن الإقسام بالفاعل.

٣ - وأن القسم بالفاعل يتضمن الإقسام بفعله.

*** الخالق يقسم بمفعولاته:**

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١].

٧ - العلة في القسم ببعض المخلوقات:

الأولى: بيان علو مكانته في نفسه، وعظمته عند المقسم، ولا يلزم من هذا أن يكون فوق المقسم.

قال تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

الثانية: فضيلة هذا الشيء.

قال تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ٢-٣].

الثالثة: المنفعة.

قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١].

الرابعة: والقسم بهذه المخلوقات دعوى لمشاهدتها، والتأمل في بديع صنع اللَّه- عز وجل- فإن كانت الصنعة بهذه الروعة والإتقان والجمال، فإن صانعها أولى أن يكون له كل الأسماء الحسنى والصفات العليا، ومن كان هذا شأنه، كان حديثه أحسن الحديث وأصدقه، وقوله أحكم الأقوال وأعدلها.

ثانيًا: المخلوق:

١ - لا يحل لمخلوق أن يقسم بنفسه أو بأي مخلوقٍ.

٢ - ولا قسم للمخلوق إلا باللَّه.

قال ﷺ: «من حلف بغير اللَّه فقد أشرك». [رواه أحمد عن ابن عمر].

وهذا هو الأصل، ولا حيدة عنه البتة، وخاصة مع عموم الناس.

فإن علمت ما سبق:

شممتَ أن هناك مشكلةً.

قلتُ:

أولًا: نعم هنا مشكلة.

أنه ثبت أن النبي ﷺ حلف بحياته.

قال ﷺ: «كُلْ، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق». [رواه أحمد عن علاقة بن صحار].

ثانيًا: حلُّ هذا الإشكال، والفصل فيه بين الأنام، أن يقال:

١ - قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا

عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩].

٢ - فهذا النص قسم اليمين إلى نوعين:

الأول: يمين اللغو.

الثاني: يمين معقودة.

٣ - صورة يمين اللغو:

«باللَّه كُلْ هذه».

* صورة اليمين المعقودة:

«باللَّه افعل كذا».

٤ - يلاحظ أن الصيغتين لهما صورة واحدة، وسميت إحداهما بالمعقودة والأخرى باللغو.

٥ - أن كل لفظ له مبنى وله معنى، وكما ترى أن مبنى الصورتين واحد، فتعين أن المعنى هو الذي يجعلها معقودة وهو الذي يجعلها لغوًا.

٦ - فمن أثبت المبنى والمعنى فهي الصورة المعقودة، ومن أثبت المبنى دون المعنى فهي اللغو.

٧ - فإن جاز شرعًا اعتماد مبنى لفظ الجلالة دون معناه في الأيمان، فمن باب أولى اعتماد لفظ غير لفظ الجلالة دون معناه.

وحينئذ يكون اليمين يمين لغوٍ، ولا شيء فيه.

وعلى ما سبق:

١ - يتنزل حديث «كل فلعمري».

٢ - يتنزل حديث «أفلح وأبيه إن صدق»، ولا يحكم عليه بالشذوذ.

٣ - أن حديث «من حلف بغير اللَّه فقد أشرك» يتنزل على من أراد المبنى مع المعنى.

٤ - وحيث إن هذا التطبيق يحتاج إلى فهم وإلى نية، ويصعب على عامة الناس، لزم منعهم، واعتماد الأصل المشار إليه في أول المسألة.

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

المقسم عليه
(جواب القسم)

أولًا:

١ - جواب القسم يكون جملة اسمية.

* فإذا كانت مثبتة تؤكد بـ«إن» وحدها، أو «اللام، وإن».

* وإذا كانت منفية فلا تؤكد.

٢ - جواب القسم قد يكون جملة فعلية.

* فإذا كانت جملة منفية فلا تؤكد.

* وإذا كانت جملة مثبتة فعلها مضارع تؤكد بنون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة.

* وإذا كانت جملة مثبتة فعلها ماضٍ تؤكد بـ«قد» وحدها، أو «اللام، وقد».

٣ - ومن أمثلة ذلك:

* قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣].

* قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

* قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

* قال تعالى : ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف : ٩١] .

ثانيًا :

١ - جواب القسم يذكر كثيرًا ؛ مثل :

قال تعالى : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن : ٧] .

٢ - جواب القسم يحذف جوازًا ؛ مثل :

قال تعالى : ﴿قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ [ق : ١] .

٣ - جواب القسم يحذف وجوبًا ؛ مثل :

قال تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر : ١، ٢] وذلك على رأي ، وتقديره «لتعذبن يا كفار مكة» .

ولا يمكن حذفه إلا إذا وجد ما يدل عليه ، فإن ذكر مع وجود ما يدل عليه لكان زيادة بلا فائدة ، وهذا الحذف من أحسن الكلام .

وهذا الحذف يحصل كثيرًا في جواب «لو» ، كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام : ٢٧] .

أي لو رأيته لرأيت هولًا عظيمًا .

ثالثًا :

١ - جواب القسم قد يكون جملة خبرية وهو الغالب .

قال تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات : ٢٣] .

٢- جواب القسم قد يكون جملة طلبية :

قال تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر : ٩٢-٩٣] .

وهذه الآية قد يراد بها تحقيق المقسم عليه، فتكون من باب الخبر.

رابعًا:

١ - يقسم اللَّه- عز وجل- بالأشياء الظاهرة، كالشمس، والقمر، والضحى، . . .

٢ - ويقسم اللَّه- عز وجل- على الأشياء الغائبة الخفية، كالجنة والنار والوعد والوعيد.

والسر في ذلك: أنه سبحانه يقسم بالظاهر الذي لا يماري فيه أحد لإثبات الغائب الخفي الذي قد ينكره أحد.

٣ - فإن قيل: الملائكة من الأمور الغائبة الخفية وقد أقسم بها لا عليها.

قلتُ: لأن المشركين يقرون بها، فلا معنى للإقسام عليها.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ وَلَوۡ﴾ [الأنعام: ٨].

٤ - فإن قيل:

المولى- عز وجل- أقسم بنفسه المقدسة، ولم يقسم عليها.

قلتُ:

سبق الجواب أنهم يقرون باللَّه- عز وجل-.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن وَٱلۡفَجۡرِ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وعليه:

فإن ما أقسم به اللَّه- عز وجل- دلّ على:

١ - إما أنه ظاهر.

٢ - وإما أنه معترف به.

٣ - وإما أنه لا يمكن إنكاره.

خامسًا:

أقسم اللَّه- عز وجل- على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها:

١ - صدق التوحيد:

قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات: ١-٤].

٢ - القرآن حق:

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ تَـٰٓاللَّهِ تَبَارَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ۝٧٦ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧].

٣ - الرسول حق:

قال تعالى: ﴿فَلَآ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣].

٤ - الوعد والوعيد حق:

قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ١-٦].

٥ - حال الإنسان:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١-٤].

سادسًا: فائدة القسم:

١ - إزالة الشك، ودفع الشبهة، وإقامة الحجة.

٢ - تأكيد الأخبار، وتقرير الأحكام.

٣ - بيان منزلة المقسم به، وأنه معظم.

٤ - بيان أهمية المقسم عليه.

٥ - توكيد المقسِم بما يتناسب مع حال المخاطب، ولاسيما إذا كان من الأمور الغائبة والخفية.

٦ - مع ملاحظة:

أنه في علم المعاني يذكرون للمخاطب حالات مختلفة، ويسمونها بأضرب الخبر الثلاثة؛ الابتدائي، الطلبي، الإنكاري.

الأول: الابتدائي:

ويكون المخاطب فيها خالي الذهن من الحكم، فيلقى إليه الكلام غُفلًا من التأكيد.

الثاني: الطلبي:

ويكون مترددًا في ثبوت الحكم وعدمه، فيؤكد الحكم بغرض زوال التردد.

الثالث: الإنكاري:

ويكون المخاطب منكرًا للحكم، فيؤكد له الكلام بحسب قدر الإنكار قوة وضعفًا.

سابعًا: معنى «لا أقسم»:

قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١].

افترق الناسُ فيها:

قالت طائفة: «لا» زائدة، وعليه فالمعنى؛ أقسم بيوم القيامة، وجواب القسم محذوف تقديره: لتبعثن ولتحاسبن.

وقد دلّ على جواب القسم قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾.

وهذا مذهب غير مرضي، و«لا» ليست زائدة إسنادًا، ولا معنًى.

وقالت طائفة: «لا» ثابتة إسنادًا ومعنًى، وتصحيح الكلام بتقدير محذوف نحو: لا صحة لإنكاركم البعث والجزاء، أقسم بيوم القيامة لتبعثن.

وهذا مذهب غير مرضي، وأنه لا حاجة إلى تقدير محذوف، طالما أن الكلام يصح بدونه.

وقالت طائفة: «لا» ثابتة إسنادًا ومعنًى، والمعنى أن الأمر بَيِّنٌ لا يحتاج إلى أن أقسم عليه، وفي نفس الأمر ظهر أهمية «يوم القيامة».

❁ ❁ ❁

المبحث السادس

اجتماع القسم والشرط

- قد يجتمع القسم والشرط، بمعنى يدخل كل منهما على الآخر.

* فيكون الجواب للمتقدم منهما.

* وجواب الآخر أغنى عنه الجواب الأول.

- مثال:

تقديم القسم على الشرط.

قال تعالى: ﴿أَيَفَتِكُمُوَلَكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ [مريم: ٤٦].

١ - القسم محذوف، والمعنى: واللَّه لئن لم تنته لأرجمنك.

* فالقسم هو «واللَّه».

* وأداة الشرط «إن»، وقد دخلت عليها اللام، والتي تسمى اللام المؤذنة أو الموطئة.

* الجواب «لأرجمنك» وهذا جواب القسم؛ لأن القسم متقدم على الشرط.

* وأما جواب الشرط فقد استغنى عنه بما دل عليه السياق.

٢ - فإن قلت:

ما الذي دلك على حذف القسم، وأن الجواب له؟

قلتُ:

أولًا: من اللام الداخلة على أداة الشرط، فإنها مؤذنة بأن الجواب

بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط. ولذلك كما سبق سميت بالمؤذنة أو الموطئة، أي أنها وطأت الجواب للقسم.

وقد تحذف هذه اللام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

ثانيًا: أن الجواب «لأرجمنك» دخلت عليه اللام، ولو كان هو جواب الشرط ما دخلت عليه اللام، لأنه يؤكد فقط المضارع المثبت بنون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة.

ثالثًا: أن الجواب «لأرجمنك» ليس مجزومًا، والذي يدلك على هذا قوله تعالى: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨].

فالجواب هنا «لا يأتون» ولم يقل «لا يأتوا». وهذه هذه.

٣- فإن قيل:

لِمَ لم تعتبر الجملة الشرطية هي جواب القسم؟

قلتُ:

لا يصح، لأن الشرط إنشاء، ولا يكون الشرط إلا خبرًا.

❁ ❁ ❁

الأصل الثالث والعشرون

الأمثال

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف المثل .

المبحث الثاني : صور الأمثال .

المبحث الثالث : صيغ الأمثال .

المبحث الرابع : فائدة الأمثال .

المبحث الخامس : بعض النماذج .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

تعريف المثل

- الأمثال جمع، مفرده: مثل، ومثل، ومثيل، كالشبه، والشبه، والشبيه.

* والمثل له معانٍ منها:

١ - المثل: هو النظير الذي يقاس عليه ويعتبر به.

* قال تعالى: ﴿أَلِيمٌ ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

أي أن المشركين جعلوا ابن مريم أصلًا ونظيرًا، وقاسوا عليه آلهتهم.

* وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ﴾ [الزخرف: ٥٦].

أي فرعون هو الأصل والنظير، وكل من جاء بعده يقاس عليه، فمن فعل فعله عوقب بعقابه.

* وقال تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٣٤].

أي ذكر اللَّه مثلًا من الأمم السابقة، وجعله أصلًا للأمم اللاحقة.

قال تعالى يُؤَاخِذُكُم عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

* وقال تعالى: ﴿فَلَا قَوۡمُكَ يَصِدُّونَ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

* وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ

فِي وَقَالُواْلَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُواْ ﴿٨٧﴾
يَعْلَمُونَسَّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ضُرِبَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

* وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ فَلَآ أُقْسِمُ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

* وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ وَلَئِن وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٢ - المثل هو مجموع القياس.

* قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

قال ابن تيمية (ج١٣ ص١٧) مجموع الفتاوى: «أي لا أحد يحييها وهي رميم، فمثل الخالق بالمخلوق في هذا النفي، فجعل هذا مثل هذا لا يقدر على إحيائها، سواء نظمه في قياس تمثيل أو قياس شمول».

- ومن مرادفات المثل:

العدل، والتسوية، والقياس، والاعتبار، والتشريك، والتشبيه، والتنظير، كلها من جنس واحد.

- **واعلم:**

أن عدم التماثل ليس مرادفًا للاختلاف، بل الاختلاف أعم، لأنه يتضمن التضاد والتعارض.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨-٩].

المبحث الثاني

صور الأمثال

– الأمثال في القرآن والسنة على أربع صور:

الأولى: تشبيه شيء بشيء في حكمه:

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ [الروم: ٩].

وقال تعالى: ﴿ سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [الحشر: ٢].

الثانية: تقريب المحسوس من المحسوس:

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُواْ﴾ [هود: ٢٤].

وقال ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره».

[رواه أحمد والترمذي عن أنس].

الثالثة: تقريب المعقول من المعقول:

قال تعالى: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ نَسُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ يَصِدُّونَ فَسِيرُواْ ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٱلۡمَجِيدِ لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال ﷺ: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرةً، وإلى هذه مرةً، لا تدري أيهما تتبع». [رواه أحمد ومسلم عن ابن عمر].

الرابعة : تقريب المعقول من المحسوس :

قال تعالى : ﴿مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا﴾

[النور : ٣٩] .

وقال ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، . . . » . [رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري] .

– وقد فرق ابن تيمية– رحمه اللَّه– بين الصيغ التي يعبر بها عن التماثل ، ونعم التفريق :

١ – فصيغة الوجودين العينيين «هذا مثل هذا» .

٢ – وصيغة الوجود العلمي والوجود العيني «هذا كمثل هذا» .

٣ – وصيغة الوجودين العلميين « مثل هذا كمثل هذا» .

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

صيغ الأمثال

- الأمثال تأتي على ثلاث صيغ :

الأولى : المثل الصريح :

وهو المستخدم فيه لفظ « مثل » .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱبِٱللَّغْوِ فِيٓأَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِنيُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ عِبْرَةً لِّأُوْلِي﴾ [البقرة : ١٧] .

وقال ﷺ : « مثل المؤمن مثل النحلة ، لا تأكل إلا طيبًا ولا تضع إلا طيبًا » . [رواه الطبراني في الكبير عن أبي رزين] .

الثانية : المثل الكامن :

وهو الذي لم يصرح فيه بلفظ « مثل » .

قال تعالى : ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة : ٦٨] .

وقال تعالى : ﴿يُؤْفَكُونَ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الإسراء : ٢٩] .

وقال ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة » . [رواه الطبراني في « الأوسط » عن أنس] .

الثالثة : المثل المرسل :

وهو الكلام الذي يجري مجرى الأمثال .

قال تعالى : ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ﴾ [يوسف : ٥١] .

وقال تعالى: ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ عِبْرَةٌ﴾ [هود: ٨١].

وقال تعالى: ﴿ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ﴾ [الأنعام: ٦].

وكـان ﷺ يتمثل بالشعر: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود».

[رواه الترمذي عن عائشة]

- فإن قيل:

هل يجوز استخدام المثال المرسل في المكاتبات والمناظرات والمجادلات ونحو ذلك؟

قلتُ:

إنْ وقع موقعها جاز وإلا فلا، نحو: قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن أُو۟لَٰٓئِكَ وَلَئِن﴾ [البقرة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [النجم: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

فائدة الأمثال

- للأمثال في الكتاب والسنة فوائد كثيرة منها:

١ - إبراز المعاني في صور حية تستقر في الأذهان، وقد استخدم الشارع لها أساليب منها:

الأول: تشبيه النظير بنظيره:

قال ﷺ: «مثل البيت الذي يذكر اللَّه فيه، والبيت الذي لا يذكر اللَّه فيه، مثل: الحي والميت». [متفق عليه عن أبي موسى الأشعري].

وقال ﷺ: «مثل القلب مثل الريشة، تقلبها الرياح بفلاة».

[صحيح الجامع رقم (٥٨٣٣) رواه ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري].

الثاني: تشبيه الغائب بالحاضر:

قال تعالى: ﴿ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي﴾ [البقرة: ٢٧٥].

الثالث: تشبيه المعقول بالمحسوس:

قال تعالى: مِنۡهُ عَذَابٌ أَلِيمٞ ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ يَصِدُّونَ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ لَعَمۡرُكَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٢ - تقرر دليلًا من أدلة الأحكام وهو القياس، بلا إفراطٍ ولا تفريط.

٣ - ذروة سنام تأويل الرؤيا.

٤ – وسيلة للتفكر ؛ قال تعالى : ﴿ فِي وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ وَلَوْ﴾ [الحشر : ٢١] .

٥ – دليل على سلامة العقل :

قال تعالى : ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

٦ – العمل بها دليل سلامة القلوب :

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر : ٢٧] .

٧ – يستخدم للترغيب :

قال تعالى : ﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ يَٰٓأَبَتِ قُلْ هَٰٓؤُلَآءِ إِنَّ أُوْلَٰٓئِكَ وَلَيَالٍ وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

[البقرة : ٢٦١] .

٨ – يستخدم للترهيب :

قال تعالى : ﴿ فِي وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الحجرات : ١٢] .

٩ – يستخدم في المدح :

قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ [الفتح : ٢٩] .

١٠ – يستخدم للذم :

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا

عَقَدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

١١ - في الأمثال تأنيس للنفوس، فيسهل انقيادها.

١٢ - في الأمثال تنفير للنفوس من الوحدة والغربة.

١٣ - المثال كالشاهد، لا يزيد المعنى إلا وضوحًا.

١٤ - إقامة الحجة؛ قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ [الفرقان: ٣].

١٥ - إثبات العدل؛ قال تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ [القلم: ٣٥].

وذلك بأن اللَّه يسوي بين المتماثلين، ويفرق بين المختلفين.

١٦ - إثبات عظمة الخالق:

وذلك بأنه لا منازع له، لا في كبيرة ولا في صغيرة.

قال تعالى: ﴿مَرۡيَمَ مَثَلًا فَلِنَفۡسِكَ﴾ [الحج: ٧٣].

فإن كان المشركون غير قادرين على أصغر المخلوقات، فكيف يكونون قادرين على ما هو أكبر؟!! وبهذا تم نفي الند أو المثل.

١٧ - ضرب الأمثال قد يكون للتصوير، وقد يكون للتصديق.

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

بعض النماذج

- الأمثال المضروبة في القرآن بضعة وأربعون مثالًا، يقاس فيها الفرع بأصل، وقد يكون الأصل موجودًا، وقد يكون مقدرًا.

- وهاك تفسير ثلاثة نماذج من الأمثال:

النموذج الأول:

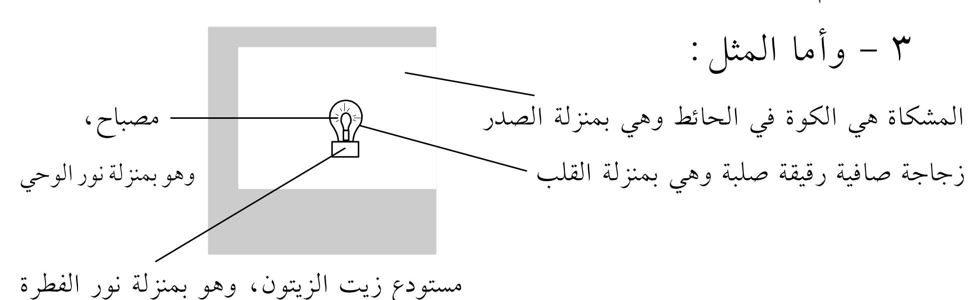
قال تعالى: ﴿كَفَرُوا۟ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُوا۟ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ مَجِيدِ لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُوا۟ بِمِثۡلِ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن أُوْلَٰٓئِكَ وَلَئِن ٱلۡفَجۡرِ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ﴾ [النور: ٣٥].

١ - فهذه الآية تضرب مثلًا لنور اللَّه في قلب عبده المؤمن.

قال تعالى: ﴿ضُرِبَ ٱبۡنُ﴾ فالضمير يعود على اللَّه، لا على النبي ﷺ ولا على العبد المؤمن.

٢ - والنور اسم من أسماء اللَّه الحسنى، اشتق من صفة النور التي هي وصف قائم بذاته.

٣ - وأما المثل:



نتائج :

أولًا : نور زيت الزيتون اجتمع مع نور المصباح نور على نور .

ثانيًا : نور الفطر اجتمع مع نور الوحى نور على نور .

ثالثًا : مثَّل المولى عز وجل القلب بالزجاجة ، ووصفها بأنها كالكوكب الدري ، فهي صافية جدًّا ، رقيقة جدًّا ، صلبة جدًّا . وكذلك القلب .

فبصفائه يرى الحق والهدى .

وبرقته تحصل منه الشفقة والرحمة .

وبصلابته يجاهد أعداء اللَّه ويغلظ عليهم .

قال تعالى : ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ يَأْتُونَ﴾ [التوبة : ٧٣] .

٤ – إن علمت ما سبق ، فاعلم :

أولًا : أنه لا يصعد إلا الكلم الطيب ؛ لأن مصدره عن النور .

ثانيًا : ولا يصعد من العمل إلا الصالح ؛ لأن مصدره عن النور .

ثالثًا : ولا يصعد من الأرواح إلا الطيبة ؛ لأن مصدرها عن النور .

رابعًا : ولا يصعد من المخلوقات إلا الملائكة ؛ لأنهم من نور .

خامسًا : أن الأرواح الشريرة لا مكان لها إلا أسفل سافلين ؛ لأنها مظلمة .

سادسًا : وأن الشياطين لا مكان لها إلا أسفل سافلين « فكل شيء في

محله المناسب» .

النموذج الثاني :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٧﴾ فَقَدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى وَقَالُواْ لَوْلَآ ﴿١٨﴾ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُواْ يَعْمَلُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ ﴾ [البقرة : ١٧-١٩] .

١ - النص تضمن مثلين ؛ المثل الناري ، والمثل المائي .

٢ - وكلاهما ضُربَ للمنافقين .

أولًا : المثل الناري :

١ - النار تتكون من مادتين ؛ مادة إحراق ، ومادة النور .

* ففي قصة إبراهيم ﷺ أذهب اللَّه- عز وجل- مادة الإحراق ، وأبقى مادة النور يتمتع بها ، إن اللَّه على كل شيءٍ قدير .

* وفي قصة المنافقين ، أذهب اللَّه- عز وجل- مادة النور ، وأبقى مادة الإحراق بها يكتوون ، إن اللَّه على كل شيءٍ قدير .

٢ - وهذا المثال صورته مطابقة تمامًا لصورة المنافق .

٣ - فصورة المنافق لها مادتان :

الأولى : باطنه ، وهو مظلم ؛ لأن الإيمان لم يدخله .

الثانية : ظاهره حقيقته أنه مظلم وزيفه أنه مضيء بما يأتي به من أعمال .

٤ - صور النار لها مادتان :

الأولى : باطنها مظلم وهو المناسب لمادة الإحراق .

الثانية: ظاهرها نور.

٥ - وحتى تطابق صورة النار صورة المنافق، أذهب اللَّه النور من النار، فصار ظاهر النار هو ظاهر المنافق الحقيقي.

٦ - وما بقي إلا مادة الإحراق المناسبة لباطن المنافق المظلم.

٧ - ومن نتائج هذه المعادلة:

الأولى: أن مادة الإحراق يناسبها الكبر والحقد والحسد.

الثانية: أن باطن المنافق المظلم مليء بالكبر والحقد والحسد.

الثالثة: أن هذه الصفات تأكل قلبه كما تأكل مادة الإحراق الحطب.

ثانيًا: المثل المائي:

١ - شبه تعامل المنافق مع الوحي، بتعامله مع الصيب.

٢ - كيف يتعامل المنافق مع الصيب- وهو المطر الشديد-.

* فالصيب يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: الظلمة.

الثاني: الرعد.

الثالث: البرق.

* فيغمض عينيه زعمًا أنه ينجيه من الصواعق.

* ويضع أصبعيه في أذنيه زعمًا أنه ينجيه من الرعد.

وهذا من ضعف البصائر والعقول.

٣ - كيف يتعامل المنافق مع الوحى:

* والوحي يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: زواجر القرآن؛ من وعيد وتهديد.

الثاني: أوامر القرآن.

الثالث: نواهي القرآن.

* فيغمض عينيه زعمًا أنها تنجيه من زواجر القرآن.

* ويضع أصبعيه في أذنيه زعمًا أنه ينجيه من سماع الأخبار.

٤ - وهذا- والله- حال كل منافق ومبتدع وضال.

* فمن قائل: سدوا عنا هذا الباب، لا تقرأ القرآن، واقرأ شيئًا غيره.

* ومن قائل: امح هذه النصوص.

* ومن فاعل حرَّف هذه النصوص؛ بالزيادة، والنقصان، والتأويل.

النموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الرعد: ١٧].

١ - وهنا أيضًا ضرب الله- عز وجل- مثلين:

الأول: مثل مائي.

الثاني: مثل ناري.

* ولكن هما في حق المؤمن، وليسا في حق المنافق.

٢ - ومن اللطائف:

أن المثل المائي سبق المثل الناري في حق المؤمن، والمثل الناري

سبق المثل المائي في حق المنافق.

أولًا: المثل المائي:

١ - شبه الوحي بالماء؛ لأن كليهما نزل من السماء.

* فالماء يتضمن حياة الأرض بالإنبات.

* والوحي يتضمن حياة القلوب والأسماع والأبصار.

٢ - شبه القلوب بالأودية؛ فمنها المتسع ومنها الضيق.

٣ - فكل قلب سال بما اتسع، كما أن كل وادٍ سال بما اتسع.

٤ - والماء إذا خالط الأرض وسال، احتمل غثاء الأرض وزبدها وترك ما ينفعها.

٥ - والوحي إذا خالط القلوب والأسماع والأبصار وسال، احتمل كل شبهة واقتلعها، واحتمل كل شهوة ودفعها.

«هكذا يضرب الله الحق والباطل».

ثانيًا: المثل الناري:

١ - شبه الوحي بالنار؛ وذلك باعتبار مادة الإحراق.

٢ - فإن النار إذا سلطت على الذهب مثلًا، فإن النار تميزه وذلك بفصل الخبث عن الجوهر، فتذهب بالخبث ولا يبقى إلا الذهب صافيًا خالصًا من الشوائب.

٣ - وكذلك الوحي متى نزل على قلب وقبله، فصل ما فيه من خبث الشبهة والشهوة، ولا يبقى إلا القلب الصافي الخالص من أدران الشبهات والشهوات.

الأصل الرابع والعشرون

القصص

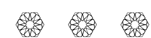
وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : القصص القرآني حقائق تاريخية لا خيال .

المبحث الثاني : أنواع القصص القرآني .

المبحث الثالث : فكرة عن القصص .

المبحث الرابع : من فوائد القصص .



المبحث الأول

القصص القرآني حقائق تاريخية لا خيال

– إن القصص القرآني يحكي حقائق تاريخية وقعت فعلًا، فكل ما ذكر في القصة الواحدة قد وقع في الزمان الذي قيد، ومن الأشخاص الذين ذكروا، وذلك بلا أدنى مبالغة.

قال تعالى: ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٱلْمَجِيدِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الكهف: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمَجِيدِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن﴾ [القصص: ٣].

– فإن تبين لك ما سبق:

فلا تلتفت إلى كلام الضال محمد أحمد خلف اللَّه في كتابه «الفن القصصي في القرآن»؛ فقد زعم الضال عدم صدق تاريخ القصص، وأن الأقدمين أخطئوا في عد القصص القرآني تاريخًا يعتمد عليه، وقد أبعد أكثر فزعم أن القصص من نسج الخيال، تعالى اللَّه علوًّا كبيرًا عما يقول الظالمون.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

أنواع القصص القرآني

- القصص القرآني هو حكاية ما سبق من أحوال الأنبياء، والأفراد، والحوادث.

- والقصص على ثلاثة أنواع:

الأول: قصص الأنبياء؛ كمحمد ﷺ وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: قصص الأفراد الطائعين؛ كذي القرنين، ومريم، وهابيل، وأهل الكهف، وطالوت.

أو الأفراد العاصين؛ كجالوت، وقابيل، وقارون، وأصحاب السبت، وأصحاب الفيل.

الثالث: قصص يتعلق بالحوادث:

كغزوة بدر وأُحد كما في سورة «آل‌عمران».

وحنين وتبوك كما في سورة «التوبة».

والأحزاب كما في سورة «الأحزاب».

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

فكرة عن القصص

١ - القصص القرآني :

* قد يذكر مرة ؛ كقصة يوسف ﷺ .

* وقد يذكر أكثر من مرة ؛ كقصة موسى ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وغيرهم من المرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٢ - تثنية القصة في القرآن ، دليل على شرفها ، وعلوها على غيرها . لذلك فإن قصة الرسل التي ذكرت أكثر من مرة أعلى رتبة من قصة يوسف .

وعليه :

أولًا : قصة من ذكر في القرآن أشرف من قصة من لم يذكر .

ثانيًا : قصة يوسف من جنس قصة أصحاب الكهف ، ومن جنس قصة ذى القرنين .

ثالثًا : قوله تعالى في قصة يوسف : ﴿ لَفِىسَكۡرَتِهِمۡيَعۡمَهُونَ ٱلۡمَجِيدِ لَّبِنِ﴾ [يوسف : ٣] .

ليس معنى الآية أن قصة يوسف أحسن القصص ، بل المراد أن قصص القرآن أحسن القصص .

والذي يبين ذلك :

أن عداوة يوسف كانت من أجل الدنيا ، وعداوة غيره كانت من أجل

الدين، وما تعرض له يوسف- عليه السلام- تعرض المرسلين لأشد منه، والحبس هو منع المعين من التصرف المعتاد فهو أعم من السجن.

٣ - تثنية القصة في القرآن ليس تكرارًا، بل هي للتنويع والتجنيس.

فمثلًا:

أولًا: قصة موسى مع السحرة ذكرت في غير موضع، وفي كل موضع يبين فيه من الاعتبار والاستدلال نوعًا غير الذي ذكر في الموضع الآخر، وهذا يشبه الأسماء المتعددة على ذات واحدة، كأسماء اللَّه، وأسماء القرآن، وأسماء النبي ﷺ.

ثانيًا: بل لو عُبّر عن جملة بلفظ معين، ثم عُبّر عنها في موضع آخر بلفظ آخر، دلّ ذلك على أن ما دلت عليه الأولى غير الذي دلت عليه الثانية.

ثالثًا: أنه لا يذكر في القرآن شيء زائد البتة، بل كل لفظ زائد لمعنى زائد.

قال تعالى: ﴿ بِمَا عَقَّدتُّمُ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ فَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

وقال تعالى ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن﴾ [المؤمنون: ٤٠].

فزيادة المباني زيادة للمعاني.

رابعًا: بل قوة اللفظ لقوة المعنى.

فالضم أقوى من الكسر، والكسر أقوى من الفتح.

فمثلًا: كُره أقوى من كَره.

لأن الأولى تدل على الشيء المكروه، والثانية على كراهة الشيء.

قال تعالى: ﴿ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُوا۟ لِعَمَلُوا۟ لَيْمَسَّ ٱلَّذِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومثلًا: ذِبح أقوى من ذَبح.

لأن الأولى تدل على جسد يذبح، والثانية على الفعل.

قال تعالى: ﴿ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ ﴾ [الصافات: ١٠٧].

ومن هذا الباب: عزَّ يعُزُّ، يعِزُّ، يعَزُّ.

خامسًا: بل قوة الحرف الهجائي لقوة المعنى.

فالصاد أقوى من السين.

فمثلًا: الصب أقوى من السكب.

والهاء أقوى من الهمزة.

فمثلًا: هَزَّ أقوى من أزَّ.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

من فوائد القصص

١ - بيان أسس الدعوة إلى اللَّه- عز وجل- وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي؛ قال تعالى: ﴿عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢ - تصديق الأنبياء السابقين.

٣ - الاقتداء بالصالحين؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ وَلَئِن وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ﴾

[الأحقاف: ٣٥].

٤ - تثبيت الفؤاد؛ قال تعالى: ﴿ٱلنُّجُومِ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ [هود: ١٢٠].

٥ - الاتعاظ والعبرة؛ قال تعالى: ﴿فَٱنظُرُواْ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ﴾ [غافر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

٦ - التسلية؛ قال تعالى: ﴿لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٱلْمَجِيدِ لَئِن﴾

[يوسف: ٣].

٧ - إقامة الحجة؛ قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ

وَلَٰكِن لِّيَأْخُذَكُم﴾ [الفرقان: ٣٣].

فكل قياس خالف القرآن ففي القرآن من الأمثال ما يبين بطلانه.

٨ - حكاية القصص القرآني أفضل الطرق لتربية النشء وتهذيب أخلاقهم، وضبط مشاعرهم، وتشحيذ هممهم.

❁ ❁ ❁

الأصل الخامس والعشرون

ترجمة القرآن

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : وجوب تعلم اللغة العربية .

المبحث الثاني : ترجمة القرآن .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

وجوب تعلم اللغة العربية

- قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

[الأعراف : ١٥٨] .

وقال تعالى : ﴿وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ﴾

[سبأ : ٢٨] .

وعليه: لابد من تبليغ هذا الدين إلى العرب وإلى العجم .

وعليه: إما أن يتعلموا اللغة العربية .

وإما أن نتعلمَ لغتهم .

قلتُ :

أولًا: الأصل أنهم مكلفون بهذا الدين، فيجب عليهم معرفته، ومعرفة مراد اللَّه ومراد رسوله، فيتعين على كل أحدٍ منهم أن يتعلم اللغة العربية؛ لأنها الوسيلة إلى معرفة الدين، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ثانيًا: يجب على فريق منا أن يتعلم لغة العجم ليدعو العاجز منهم والمقصر، بل ومن تعلم العربية منهم، فإن عقل العرب يختلف عن عقل غيرهم، ومن هنا نشأت مسألة الترجمة .

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

ترجمة القرآن

- الترجمة نوعان :

الأول : ترجمة الحروف .

الثاني : ترجمة المعنى .

النوع الأول : ترجمة الحروف :

لا يمكن البتة ترجمة الحروف العربية إلى أي لغة أخرى .

وذلك للأسباب الآتية :

١ - أن المطابقة في مدلول اللفظ تكاد تكون مستحيلة .

٢ - أن الحرف قد يأتي عامًّا أو مطلقًا ، وتحتف به قرائن لفظية أو حالية تخصصه أو تقيده .

٣ - أن المراد من ترجمة الحروف هو معرفة معنى الأساليب ، وهذا يُحدث خللًا عظيمًا في المعنى ، وعامة من ضل من الأعاجم كان من هذا الباب .

٤ - فقد اللغات الأخرى لمعاني بعض المفردات العربية .

٥ - فقد اللغات الأخرى لحروف المعاني .

٦ - فقد اللغات الأخرى للشكلة العربية ، لأن المعنى يقوى ويضعف بحسب قوة الشكلة ؛ نحو : كُره ، وكَره ، ذِبح ، وذَبح .

٧ - فقد اللغات الأخرى للعلاقة بين قوة اللفظ وضعفه وبين المعنى.

٨ - فقد اللغات الأخرى لبعض الضمائر العربية.

٩ - أن المعنى إذا ترجم هو المنطوق، وقد يكون مصروفًا عن ظاهره.

١٠ - أن الحروف المقطعة لم ولن يجدوا لها معنًى، بل لا يوجد لبعضها ما يقابله.

١١ - أن لفظ القرآن مقصود لذاته.

إذا تبين لك ما سبق:

فاعلم أن ترجمة الحروف لا تجوز بأي حالٍ، ولا يحل أن تسمى كلام اللَّه- عز وجل- فإن اللَّه لم يتكلم إلا بما نتلوه باللغة العربية.

النوع الثاني: ترجمة المعنى:

وهذا يجوز بقصد التفهيم، ولكن يجب مراعاة الآتي:

١ - يجب الاعتقاد الجازم بأنه لا يمكن الإتيان بتمام المعنى، بأي لغةٍ غير العربية.

٢ - أن يكون المترجم حاذقًا في اللغتين؛ اللغة الشرعية واللغة الأخرى وذلك لفظًا ومعنًى.

٣ - أن يكون المترجم مسلمًا عدلًا ضابطًا.

٤ - أن يعتقد أن الترجمة من باب التقريب والتفسير، لا من باب التحقيق.

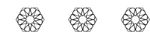
٥ - يجب أن تكتب بجوار المصحف لا منفصلةً عنه بأي حال من

الأحوال، فإنَّ فصلها إحدى طرق التحريف المعروفة.

٦ - عدم جواز الصلاة بها.

٧ - لا تعلق لها بثواب قراءة القرآن الثابت في قوله ﷺ: «اقرءوا القرآن؛ فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول: «ألم» حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر. فتلك ثلاثون». [رواه أبو جعفر النحاس في الوقف والابتداء].

* ولكن يثاب من طريق آخر، وهو طلب العلم، وذلك إن كان من المسلمين.



الخاتمة

هذا ما يسره الملك العلَّام، وقد بذلتُ فيه جهدًا لا يقدره إلا أهل العلم الكبار.

وهذا الكتاب بمثابة المفتاح لفك المغاليق، ولرد الشبهات التي حاموا بها حول القرآن. فقضى عليها، والفضل للعزيز المنان.

وكما هي العادة؛ جئت بالعناوين والكليات من الكلام، وهي تحتاج إلى بسط، ولكن لا يكون مسطورًا، بل- إن شاء اللَّه- سيكون مسموعًا.

وأسأل اللَّه: أن ينفعني به، ومن شاء من المسلمين، وأن يثبت به المهتدي المغوار، ويهدي به الضال المغرور.

والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات.

أبـــو إســـــلام

مصطفى بن محمد بن سلامة

« اللهم متِّعني بسمعي وبصري،
واجعلهما الـــوارث منـــي،
وانصرني على من ظلمني،
وخذ منه بثأري »

[رواه الترمذي عن أبي هريرة]

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**